

روایات عبری



نیرینا هیلیارد

# الزواج الأبيض





## الزواج الابيض

شقيقتان ... الجميلة الموهوبة اعتادت منذ الطفولة أن تأخذ كل شيء يخص اختها حتى خطفت منها خطيبها ، فما كان من ليلي ديرمونت الا أن تنحّت مفسحة في المجال امام شقيقتها صاحبة السحر الذي لا يقاوم ، وقبلت عرضاً بزواج ابيض ... زواج خدعة هدفه حصول مديرتها الاسباني على ارث تركه جده مشروطاً ان يكون الوارث قد تزوج ، لكن الأمور تجري على غير ما تصوّره وبات الزواج الابيض يتلون باللون اخرى .. تحت شمس المكسيك .. لكن ماذا تريد تلك الشقيقة المعروفة باسم «النجمة الداكنة» لأنها نجمة سينمائية ذات مصير غامض ... وهل تستطيع ان تخطف من اختها زوجها الاسباني الوسيم ؟

السودان ٧٠٠ م	اليمن ٨ ر	الكويت ٧٠٠ ف	لبنان ١٦٠٠ د
U.K. £ 1	تونس ١ د	الامارات ٩ د	سورية ٨٠٠ س
France F 10	ليبيا ٧٠٠ د	البحرين ٩٠٠ ف	الأردن ٥٠٠ ف
Greece Drs 120	الغرب ٨ د	قطر ٩ ر	العراق ٥٠٠ ف
Cyprus P 1	مصر ٧٠٠ م	عمان ٩٠٠ ب	السعودية ٨ ر



## ١ - أسرة ديرموت

أغلقت الباب بعنف كمن يتمنى أن يصفعه بشدة، ولكنه يحاول أن يكبح جماح نفسه. وابتسمت ليلي للفتاة الغاضبة التي ألقت بكومة من الأوراق على مكتبها وسألتها بعطف: "يبدو عليك الاضطراب، فماذا يجري؟"

أشارت الأنسة كيريفان بياس، وكان شرح ما يزعجها بدقة أمر يفوق طاقتها وقالت: "سأقول يوما لذلك الرجل رأيي فيه... وثقي أنني لن أكون مهذبة في ذلك!"

اختلجت شفتا ليلي ديرموت قليلا، وظهرت في عينيها الفانتنتين الداكنتين ومضة انشراح. ولو أن أحدا اطال النظر إليها لأعجب أيضا بلون بشرتها القرمزي الشاحب وبشرها المجدول في عناية، بعدما عقصته مثل الكليل حول رأسها الصغير. وكان مظهرها خادما إذ تبدو هادئة ساكنة الأعصاب، لكنها كانت ذات مزاج حاد وكانت كيري كيريفان تعرفها معرفة جيدة ولا ترتاب إطلاقا في الصفات الكامنة تحت كمال بشرتها الشاحبة. وأدركت كذلك أن ليلي لم تأخذ كلامها على محمل الجد. وقالت وهي تجلس على ركن من المكتب: "آه... لعله من الصعب أن أجد الجراءة... ربما يكون مديرتنا جذابا ولكنه أدهب مثال صادفته!"

فألت ليلي معلقة: "مشكلتك أنك تسمحين له بأن يثير أعصابك..." وأعدت كلماتها اللهب إلى العينين الخضراوين، فهتفت كيري:

"يثير أعصابي؟ كاد يهيج غضبي منذ لحظات، وأصارك بأنني لا أفهم كيف استطعت أن تلازميه ثلاث سنوات..." وأجالت عينيها في مخجريهما، وأردفت:

"لا بد أن عندك صبر القديسين" فهزت ليلي كتفيها في شيء من عدم المبالاة وقالت:

"كل ما هنالك أنني لا أحفل إطلاقا به ولا بأطواره..."

"هذا من حظك..." لأنك تضطرين لتلبية جرسه معظم

العنوان الأصلي لهذه الرواية بالانكليزية

DARK STAR

© Nerina Hilliard 1968  
© 1982 Harlequin (Cyprus) Ltd.

حقوق التأليف لنيرينا هيليارد  
جميع حقوق الطبع والنشر والاقتباس والترجمة محفوظة  
لهارلكوين (قبرص) المحدودة

المراسلات :

Harlequin (Cyprus) Ltd.  
29 Michalakopoulou St.  
Athens T.T. 612, Greece.

Printed in Great Britain by  
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd, Bungay, Suffolk



الوقت ! ولكن هناك كلمة حق لا أحجم عن قولها بصدد صاحب مؤسسة ميريديت، وهي انه لا يقول كلمة في غير موضعها \*  
والثبوت شفتا ليلي الجميلتان الى اعلى، وقالت:  
\* اتعنين انه لا ينساق للحب؟ يا للمسكين ! انه لا يعرف كيف يحب، اذا هو حاول \*

انطلق صوت الجرس، كانه ازيز سرب من النحل المهتاج، فبدد هدوء غرفة ليلي الصغيرة، فوثبت كيري عن المكتب، ولذت بالغرفة العامة المجاورة. وجمعت ليلي بعض الاقلام، وكراسته للمذكرات، وأسرعت الى باب المكتب الخاص برئيسها، الباب الذي كادت كيري أن تصفعه، لولا انه كان محتوما عليها ألا تفعل، لان رويز الدوريت لم يكن من ذلك الطراز من الرجال الذي قد يجيز عنفا من هذا النوع. لم يكن من الطراز الذي يسمح بأي شيء من قبيل الألفه أو الازدراء لمركزه المهييب كرئيس لدار ميريديت، وكان التصدي له بالرد يتطلب درجة من التصلب في الرأي لم توءتها كيري قطعا.

كان بوسع رويز الدوريت، أن يخمد التوتر العصبي بكلمة هادئة، أو أن يذكيه بنظرة واحدة. كان الكفاءة بعينيها، عنده معرفة كاملة ومطلقة بكل شؤون شركته، وما كان ليشفق قط على نفسه اذا دعت الضرورة للعمل الشاق، وبهذا القدر من الكفاءة التي لا ترحم، كان يتوقع نفس الكفاءة من كل امرئ يعمل لديه. ولكنه ما فصل أحدا يوما ظلما، وكانت نظراته واحدة من عينيه الباردتي النظرات، توضع انه لا يطبق جدالا. كانت كلمته هي الفاصلة في كل المناسبات، وهو صاحب السلطان النهائي.

لم تشعر ليلي بأي توجس حين دخلت حجرته ولكنها اختلست نظرة اليه لتستبين ما اذا كان مزاجه معكرا اكثر من المعتاد. كان يقف وراء مكتبه حين دخلت، يسيطر بقامته الطويلة على الموقف، بينما كان ينبش نافذ الصبر في ركامات الاوراق على مكتبه. وقدرت ليلي أن يارومتر مزاجه يشير الى درجة عاصف، فتمنت أن يكون من الممكن تفادي العاصفة. ولكنها لم تأمل كثيرا، فان رويز الدوريت كان نصف اسباني، فقد آلت اليه دار ميريديت من ناحية أمه.

\* أكنت تطلبيني يا سيد الدوريت؟ \*

\* ما كنت لأدق الجرس، لو لم اكن أطلبك. \*

كان جوابه حادا، وما من شك في أن الرجل كان جذابا، ولكن امارات الغضب كانت تشوه جاذبيته. وهتف:

\* أين ملف بروان وكينتون؟ \*

فأخرجت ليلي ملفا متخما بالوثائق من خزانة بجوار الحائط:

\* أنت طلبت مني مساء أمس أن أخذه. \*

وشعرت بارتياح ضئيل. وتناول الملف منها، وأخرج العقد منه، فقراه بأكملة وهو مقطب، ثم التفت فراها لا تزال واقفة امام مكتبه. وانعقد حاجباه الاسودان، ثم لانت أسارير وجهه وهذات، وقال:

\* حسن.. لك ان تنصرفي. \*

وأخرجت ليلي وهي تكبت رغبة طائشة في أن تضحك، بالرغم من أنها كانت تغادر مكتبه وهي تشعر كأنها كانت في معركة.

وخطر لها، وهي تعود الى مقعدها خلف مكتبها، ان كيري كانت على صواب. كان بوسع رويز الدوريت أن يثيرها، اذا سمحت لنفسها بأن تهتاج ولكنها احسن حظها كانت اكثر سيطرة على انفعالاتها من كيري المتقدمة الطباع، فضلا عن أنها كانت قد ألفت هذه المعاملة. وعلى النقيض من رويز الدوريت، كان حبيبها بروس أشبه بالملك. وسمحت لنفسها بأن تفكر في بروس وأوشكت أن تستسلم لحلم من احلام اليقظة، لولا انبعاث رنين الجرس مرة أخرى، ولكنه لم يكن متعجلا وملحا كالمرة السابقة.

كان رويز الدوريت يفرغ غرفة مكتبه، ذهابا وايابا، حين دخلت للمرة الثانية فحدها بعينين سوداوين، ثاقبتين، تشعان بغضول واهن، وقال:

\* اتعرفين مطعما جيدا، لا يبعد كثيرا عن الادارة يا آنسة ديرموت؟ أنني على موعد للاجتماع بمندوب من بروان وكينتون، ولن يتسع الوقت لأذهب لمطعمي المعتاد. \*

وفكرت ليلي بسرعة. كان ثمة مقهى أو اثنان قريبان، لكنهما ليسا من الطراز الراقى، الغالي، الذي يليق برئيسها. وقالت أخيرا، في تردد:

\* هناك مطعم ريكي، على مسيرة بضع دقائق من هنا. لا يتردد عليه من شركتنا سوى القلائل. والطعام جيد، ولكنه ليس ممتازا. \*

قال في غير تردد:

\* أنه مع ذلك يصلح. كيف اذهب اليه؟ \*

ارشدته، فشكرها في لهجة فاترة مقتضبة، ثم صرفها مرة أخرى. وفي طريقها الى مكتبها، عرجت على القاعة العامة،



لتسأل كيري عما إذا كانت سترافقها للغداء، فتطلعت كيري إليها منصرفة عن نسخ تقرير على الآلة الكاتبة، وسألتها: "في مطعم ريكي؟"

"نعم، سأقابلك هناك إذا لم يعوقني صاحب الشأن لأي أمر". وهمت بأن تعود إلى مكتبها، لولا أن كيري نادتها قائلة: "بالمناسبة جاءت مكاملة هانغية من ستيليا بينما كنت مع صاحب الحلالة منذ لحظة، قالت انها ستأتي بسيارتها في وقت ما غدا".

وبرقت عيناً ليلي، وهتفت:

"هل ستيليا قادمة؟"

فتطلعت إليها كيري بلامح متحفظة، وتساءلت:

"انك بالغة الاعجاب بها، أليس كذلك؟"

رمتها ليلي بنظرة متعجرفة، وازدادت ابتسامتها رقة، فأصبحت كتلك التي تؤثر بها بروس، وقالت:

"طبعاً، كلنا بالغو الاعجاب بها يا كيري، وفخوروها بها. ربما لانها جميلة، وموهوبة، وبارعة بدرجة غير متوقعة في أسرة عادية".

هكذا كانوا دون شك، أسرة عادية. وكان هذا سر دهشتهم من أن يكونوا قد انجبوا فتاة مثل ستيليا... النجمة الداكنة، كما كانوا يسمونها مداعبين، ولكنهم كانوا جميعاً فخوريين بستيليا نورديت، الممثلة الكبيرة، وكانوا يعجبون كل الاعجاب بها، كشخص من الأسرة.

وما كانت كيري التي شعرت بما جال بخاطر صديقتها تقرها على ذلك. فلم يكن أي من أفراد عائلة ديرموت عازباً ولو أن ستيليا كانت تظهر بالاعتراف بأنها جميلة. لم تكن ثمة دمامة أو جمال عادي في تيس و توم التوأمين اللذين يتعذر كبح جماحهما، ولا في جولي المراهقة التي أوشكت أن تخرج من كلية الفنون - حيث كانت تتلقى برنامجاً للسكرتيرية - ولا في ليلي ذات الهدوء الذي لا ينم عما بداخلها... وإلى جانب هذا كله، لم تكن كيري تقر البتة بعض آراء الأسرة عن ستيليا.

ما كان ثمة ريب في أن ستيليا جميلة، كان لشعرها الاسود المصقول لمعان جناح الغراب الاسود، الامر الذي لم يكن مرتقياً في أسرة شعر أفرادها أحمر، وكانت قسماً وجهها وبشرتها الخالية من أي عيب - والتي يعرفها رواد السينما - أقصى ما تشهيه فتاة... ولكن هذا كان أقصى ما توافق

كيري به على اسطورة أسرة ديرموت، التي كانت اسطورة زائفة تماماً. فان ستيليا كانت أنانية، لا تعني إلا بنفسها، وما كانت شخصيتها في جمال جسمها. وفي أية حال، فان كيري كانت ترى - بينها وبين نفسها - أن ليلي كانت الجميلة الحقيقية في الأسرة. كان جمال ستيليا من النوع الظاهر، أما جمال ليلي فكان في قسماً وجهها الشبيهة بنحت أرميل غنان، وفي وضع رأسها الاشم، الهاديء، وتاج شعرها اللامع الذي لا يغفل تألقاً عن شعر ستيليا... وفوق كل شيء آخر، كان في ليلي جوهر عميق، ثابت، من الاخلاص الصادق الذي كانت ستيليا تفتقر اليه بالتأكيد. كانت الممثلة المشهورة تتلقى كل الترف والاعجاب اللذين يوجهان إليها - حتى من أسرتهما - وكأنها حق واجب لها، وما كانت تمنح شيئاً سوى ابتسامة لطيفة غير صادقة، لا معنى لها.

كان هذا رأي كيري، ولكنه كان آخر ما يمكن أن تقدم على مصارحة ليلي به. وتساءلت ليلي: هل ذكرت ستيليا كم ستمكث؟ فهزت كيري رأسها قائلة:

"الواقع أنها لم تقل كثيراً إذ كانت متعجلة لحضور مؤتمر صحفي أو شيء كهذا. اتصلت بالبيت، ولكن الرقم كان مشغولاً، فاتصلت بك هنا، بدلاً من أن تنتظر خلو خط البيت". فابتسمت ليلي قائلة:

"هكذا هي ستيليا حقاً... اشتكت مرة أنهم لا يتركونها تخلو بنفسها أبداً، ولكني أخال أنها تستمتع بكل دقيقة يحيطونها بها". ووافقت كيري - في نفسها - على أن هذه الكلمات كانت صريحة خالية من الرياء. كانت ستيليا نهمة إلى الشهرة والاهتمام، فلا بد من أن تكون مركز الجاذبية باستمرار. كان لابد من أن تستحوذ على كل ما تبغي، وإذا كان ما تبغيه ملكاً لغيرها فإنها كانت تأخذه دون أي تأنيب ضمير، ودون أن تفكر لحظة فيما قد تسببه للغير أصابعها الطامعة. ولو أنها تراجعت لحظة، فمن المحتمل أن يقتصر ترويبها على هزة غير مبالية من كتفها.

وعندما استقرت ليلي في عزلة مكتبها، جلست إلى منضدة المكتب لتطبع على الآلة الكاتبة ما أعطاها روبرت الدوريت من عمل، ولكنها لم تستطع إيقاف افكارها، ورغم انسياق أصابعها على مفاتيح الآلة بكفاءة: ترى هل ستعجب ستيليا ببروس؟ طبعاً! وأضافت في سرها، وفي غيبتها



ابتسامة: من المستحيل ألا تعجب به!

وعادت الى العمل وهي تكبح رغبتها في الانسياق لأحلام اليقظة عن بروس، وهي رغبة كانت مطردة الازدياد والتسلط في الشهور القلائل الاخيرة، وهو أمر مفهوم، ماداما قد اصبحا خطيبين. كان من المستحيل - برغم كل رصانتها - ألا تحب بروس من النظرة الاولى، وأن لم يظهر عليها ذلك. وغشيت عينها رقعة لطيفة، وهي تفكر فيه... في بروس العزيز، الضخم غير المصقول! لم يكن لها مفر من أن تحبه حين دخل مكتبها، وابتسم لها، وسلمها مجموعة من التقارير من القسم الهندسي في المصنع موجهة الى روبرت الدوريت.

ولقد أقرت الاسرة اختيارها عندما رآته... ابتداء من أبيها المحامي الخشن، الى أمها المتزنة - والتي مازالت جميلة - الى جولي المراهقة، الى التوأمين الجامحين، اللذين اعربا عن تحبيذهما، بطريقتهما العابرة: لا بأس به! وكان هذا منهما بمثابة اطراء بل أكثر. وقد داعبوا جميعا أما جولي فقد استهوت فكرة العمل في شركة الدوريت، خلال العطلة الدراسية الاخيرة، ولكن كيري كانت ترى انها قد تعدل رأيها، بعد لقاء واحد بصاحب الشركة الموقرا وعلى أي حال... فكان من الرائع ان تعود للبيت بعد أيام قلائل، عندما تحبب العطلة الدراسية. وبمجيء ستيل كذلك، ستسبح فرصة لالتئام الاسرة تفوق كل ما كان متوقعا. سيكون وجود ستيل وجولي معا مناسبة بديعة حقا.

وفجأة تذكرت موعد الغداء، فنهضت لترتدي السترة السوداء الانيقة، سترة البذلة المحكمة حول جسمها الرشيق. والتفت بكيري خارج باب حجرتها الملحقة بقدراس روبرت. فسارتا متجاورتين على البوابة البيضاء للمصنع الحديث النظيف، ومضيتا في الطريق الى المطعم... على الباب العادي، كتب عليه ريكي. كان داخل المطعم عليل الهواء، فسيحا، اصطفت على طول احد جانبيه مقصورات صغيرة، أسدلت عليها ستائر.

واستقبلتهما ريكي نفسها، وكانت امرأة متوسطة العمر، ذات شعر أسود وخطه الشيب قليلا، وقادتهما الى احدى المقصورات، وهي تقول مخاطبة ليلي:

"بالمناسبة، اختك هنا."

وردت ليلي مشدوهة: اختي؟ واذا ذلك ازيحت ستارة احدى المقصورات، وخرجت منها في حركة رشيقة فتاة ياغمة،

في العقد الثاني من العمر ذات شعر برونزي عقص على شكل ذيل الحصان، وعيناها العسلتان ترقصان بضحك مأكراً. ورمقتها ليلي مصعوقة، وهتفت:

"جولي! ماذا تفعلين هنا؟"

"تفشت الحصة في المدرسة بشكل وبائي، فأرسلونا جميعا الى بيوتنا، من لم يصب بها من قبل، على الاقل. لقد انتهى الفصل الدراسي تقريبا، على أية حال."

كانت جولي تدرس في مدرسة داخلية للسكرتيرية اشتهرت بتفوق برامجها، ومناهجها العامة. ولم تلبث ان اردفت، في مرج:

"عندما يتحسر الوباء، سنختتم الفصل الدراسي، وتقام حفلة توزيع الشهادات، وحتى يتسنى هذا فأنا هنا... واحتضنتها ليلي بحنان مغتبط، ثم ألقت نظرة على حقيبة الملابس المستقرة على الارض، وقالت:

"ألم تذهبي للبيت بعد؟"

فهرت جولي رأسها قائلة:

"لم أذهب بعد. خطر لي انني سأصل الى هنا قبيل وقت الغداء، فראيت أن أفاجئك هنا..."

قالت ليلي بشيء من الجفاء:

"لقد فاجأتني قطعاً. والاسرة يتوقعون مجيئك؟"

فرمتها جولي بابتسامة مأكرة أخرى، قالت:

"كلا. كان المفترض أن ابرق لهم، ولكني رأيت أن افاجئهم هم الآخرين" ودخلت المقصورة معها فتهالكت على المقعد، وزفرت في ارتياح، قائلة:

"ها قد عدت نهائياً... اني لمصممة على العمل بشركة مريديت. فعقبت ليلي بجفاء:

"أما زلت على فكرتك القديمة..."

برقت عينا جولي، وقالت:

"بالتأكيد... أنني وقعت حقا في حب مديركم..."

ولم تبد ليلي أي ردة فعل، اذ كانت على دراية بأختها، وقالت: "ولكنك لم تره قط..."

"بل رأيته، لم احده طبعاً، ولكني رأيته فعلاً، عندما مررت بالشركة في طريقي الى هنا، كان يهم بأن يستقل سيارته التي تساوي ثروة ولابد، فأدركت من هذا ومما وصفتما به أنه هو..."

قالت ليلي وفي صوتها رنة دهشة جافة:



"اذن فقد وقعت في هواه يا صغيرتي؟ أسمحين بأن أخبريني  
ما الذي استهوأك؟"

تنهدت جولي في نشوة المراهقة، وقالت:  
"أنه جذاب، اسمر، رومانسي".

قالت ليلي في برودة:  
"وعاطفي كقطعة من جليد... حان أن تكبري أعلى نزوات  
الطالبات!"

"ولكنه رائع! لابد أنك لاحظت هذا، فأنت تعملين معه منذ  
ثلاث سنوات".

وعلقت كيري بضحكة خفيفة:  
"ألا ترينها سريعة في تفكيرها؟"

وخالت ليلي أن اختها تمزح، ولكن شيئاً من القلق جعلها  
تأخذ الأمر مأخذ الجد. فقد كانت جولي في سن تجعلها سريعة  
التأثر. ومع أنها نزوة لا بد أن تنقضي مع الزمن، فإن ليلي لم  
تشأ لشقيقتها المراهقة أن تقع فريسة لجاذبية سمرة روبرت  
الدوريت، وأن تكن جاذبية غير إنسانية. وقالت في ثورة:  
"إن روبرت الدوريت جذاب جداً، وأني لأوافقك على ذلك، ولكنه  
كرجل فهو آخر من ينبغي لفتاة أن تقع في هواه!"

"لماذا بالله؟ ما اظنني رأيت شخصاً مليحاً منذ سنوات، حتى  
بين أولئك الذين تمثل ستيلاً معهم!"

فقالت ليلي باقتضاب:

"بهذه المناسبة، إن ستيلاً قادمة غداً". وانتظرت رد الفعل،  
فصاحت جولي:

"ستيلاً قادمة؟ كم ستمكث؟"

"لست أدري بعد. احسبها ستخبرنا حين تصل".

وكان في عيني ليلي وميض الفرح، الذي ظهر حين سمعت  
النبا لأول مرة، فأحست كيري فجأة بخوف من أجلها. كان  
في ذهنها شك في أن ستيلاً ستجرح شعور اختها.

"أنني موزعة بين الولاء له، والاعجاب بستيلا، ثم الارتياح  
الفطيع في أنه سيغوص بنظراته في كيائها. إنه قد يكون  
نصف إسباني، ولكني على يقين بأنه يعتبر النساء - كنساء -  
شراً لابد من احتماله، لمجرد بقاء النوع. ولو وجدت مؤسسة  
علمية تعكف على البحث عن طريقة للاستغناء عن النساء،  
فأنتي متأكدة من أنه سيتبرع لها بجزء طيب من أرباح شركة  
مريدت!"

وضحكت جولي، ولكنها أردفت على الفور:

"لا يحتمل أن يفكر على هذا النحو وقد أوتي هاتين العينين!"  
وفي تلك اللحظة بدأ الرجل الجالس في المقصورة المجاورة  
بالاصغاء إلى حديثهما بمزيج غريب من الانزعاج والحنق، وإن  
لم يكن قد سمع شيئاً ينال منه كرجل. كان من الواضح أن  
الفتيات لم يكن لديهن فكرة عن وجوده هناك، وبدأ أن  
سكرتيرته نسيت تماماً أنه كان قد اعتزم تناول غدائه في  
مطعم ريكي. وكان قد أودع سيارته شارعاً خلفياً فلم يكن ثمة  
ما يذكر ليلي بأنه جالس في مقصورة مجاورة، منذ وصلت  
جولي، والا لاستطاعت أن تنذر الآخرين، ولما تحدثت هي  
نفسها على هذا النحو غير المتحفظ.

ولقد شعر مديرها في البداية بحرج من استراق السمع دون  
تعمد، ولكن لم يكن من سبيل لتفادي ذلك. ثم جد ما جعله  
يصغي لكل كلمة، إذ انبعث صوت ليلي جافاً، وإن لم يشبه  
ذلك الصوت الهادي الذي اعتاد سماعه منها:

"هذا هو يوم المفاجآت حقاً. حدثيني يا صغيرتي. الأمر  
الوحيد بشأن عيني هو أن لهما قدرة على الإحياء باستياء  
سيادته".

هتفت جولي في دهشة من قصر نظر شقيقتها:

"لابد أنك لاحظت، فأنا لم أره إلا في لحظة مقتضبة، أما أنت  
فتعملين لديه منذ زمن، ولا أدري كيف تسنى أن تغلتي من  
الوقوع في حبه!"

فاترضتها ليلي قائلة:

"ما كنت لأجسر. وتبينت الوميض المداعب المتراقص في  
عيني اختها، فأدركت أن جولي لم تكن جادة، ولكنها قررت  
المضي فيما بدأت فيه. فما كان ينبغي لجولي - إذا جاءت  
للعمل في الشركة - أن تشعر، خطأ، بجاذبية صاحبها. كانت  
بعد في سن الحرج، وقد تصبح كلماتها المداعبة جادة. لذلك  
هضت ليلي تقول لجولي:

"كنت أكثر انشغالا بعلمي من أن أوليه اهتماماً. وعندما  
ازدادت معرفتي به، تبينت أن من الخير ألا تساورني أية  
أفكار عاطفية نحوه. إنه رئيس جاد جداً. وهنا أولى المستمع  
غير المشتبه في وجوده، كلماتها شكراً ساخراً، وهي تستنرد:  
"هذا إذا استطعت احتمال أطواره، ولكني اعترف بأنني لا  
أوافق على أنه عاطفي على الإطلاق!"

وأخذت تعدد ميزات على أصابعها:

"إنه طويل، رشيق، ليس في هذا شيء غير عادي. وهو



## بحب السكرتيرة والمدير.

وكانت فترة بعد الظهر فترة موفقة، أتم فيها المدير توقيع عقد براون وكينتون، ثم عكف على بقية أعماله، متناسيا الحديث الذي تناهى لأذنيه، حتى جاءت سكرتيرته الى مكتبه، لتعنى ببعض الملفات. ووجد نفسه يراقبها - على الرغم منه - وهي تتحرك دون ما صوت. كانت السكرتيرة المثالية التي عهدا، والتي لا تتم اساريرها عن شيء، حتى كاد يقتنع بأنه تصور ذلك الحديث في خياله، وبالرغم من تأكيد بان ما سمعه كان صوتها. وادسهه ان يسائل نفسه عما يكون قرارها النهائي اذا ما فعلت ما طلبته اختها. ولكن وجهها وعينيها لم تكشف شيئا مما كان يساورها، برغم انه كان يراقبها عن كثب، كأنما كان فينظرها مجرد قطعة اثاث أخرى... وهذا ما كان يبتغيه... ولم يكن أى طراز آخر من السكرتيرات ليناسبه...

ووجد نفسه - هو يراقب تحركاتها في مكتبه بهدوء، ورسامة، ورشاقة - يسائل نفسه عما اذا كانت قد شعرت يوما بانفعال عاطفي حقيقي. كانت تبدو أشد سيطرة على نفسها من أن يرادها شيء من الشهوات الحارة التي قد تمزق الادميين.

وتحولت ليلي عن آخر خزانة للملفات، وألقت نظرة على ساعتها، ثم تطلعت اليه قائلة:

"أوشكت الساعة على الخامسة. هل تريد أي شيء آخر هذا المساء؟"

فقال:

"كلا... طابت ليلتك..."

وردت التحية بهدوء، وخرجت مغلقة الباب خلفها بنفس السيطرة على نفسها التي كان يبدو انها سمة لكل تصرفاتها. وان هي الا دقائق، حتى ساد الجو نشاط سريع، مع رنين جرس الانصراف. وبعد ثوان، كان المكان قد خلا، وساد الظلام، عدا الضوء الوحيد الذي ظل في حجرة رويز الدوريت، الذي بقي هناك وحيدا لساعات، وعيناه السوداوان على الاوراق التي امامه. ثم نهض أخيرا، وأودع احدى خزانات الملفات أوراقه، وضغط زرا للتليفون الداخلي، وقال:

"لك ان تأتي وتقفل الأبواب..."

وحياه حارس الأبواب الخارجية، وسيارته الفارهة تنطلق في الظلام، وهو يدرك أن أمسيته هي نفس امسية البارحة... سيذهب الى البيت - وان كان لم يعتبره مسكنه يوما

شديد السمرة، امر عادي كذلك، فمعظم الرجال ذوي الدم اللاتيني سمراء، أما أنه عاطفي! وضحكت وكأنها تطرد آخر وهم قد يكون ساور جولي وقالت:

"أنني أسفة اذ أخيب تصورك يا صغيرتي، ففي ساق المقعد الذي تجلسين عليه الآن من العاطفية أكثر مما في مديرنا المحترم. أنه لا يعرف كيف يطارح فتاة الحب لو حاول!"

وضحكت كيري في خبث وقالت:

"كم أتمنى ان أرى وجهه لو سمعت تقولين هذا!"

فابتسمت ليلي قائلة:

"لا قدر الله... أنه قد يعتبر هذا نوعا مستغربا من الاطراء..."

فغمغم شاغل المقصورة المجاورة لنفسه: أواه، هذا محتمل! واردفت ليلي:

"ليس للنساء مكان في حياة رويز الدوريت أكثر من أنهن أدوات لامسك الاقلام، وكتابة ما يمليه عليهن، واداء الواجبات الكتابية الأخرى للشركة!"

وضحكت جولي نفسها، متخيلة عن مداعباتها، ثم اضطرب الحديث ازاء عبير الطعام الذي طلبته. وبعد فترة من الصمت، انبعث صوت جولي:

"هل تسدين لي صنيعا يا ليلي؟ فأجابته هذه بمكر، وهي الخبيرة بأختها:"

"هذا يتوقف على ما تريدن" فضحكت جولي قائلة:

"عندما تعودين لمكتبك، تأملي رويز الدوريت مليا، ثم أخبريني في المساء عما اذا كنت لا تريه مليحا بعد..."

"ولأي داع هذا؟"

"لأسباب لدي!"

فهزت ليلي كتفها قائلة:

"لم أقل انه غير مليح... انما قلت انه يكاد يكون عدوا للنساء، فأكملت لها جولي العبارة: وفي ساق المقعد أكثر مما فيه من عاطفة!"

لم تطمئن ليلي للمكر المتراقص في عيني اختها، ولكن ما من شيء قبل عن رويز الدوريت بعد ذلك.

نهض شاغل المقصورة المجاورة بعد قليل، فدفع حسابه وانصرف، دون أن تفتن الفتيات اليه. ولكنه في الطريق الى مكتبه، لم يستطع - وان شغل ذهنه بأمور غير شخصية كعادته - أن ينسى الصوت الهادي، وصاحبته تتناول مظهره قطعة فقطعة، موضحة بجلاء انها لا تؤمن



بيتا - كان ثمة مكان واحد، يمثل في نظره البيت دائما ... مكان لم يكن بوسعهم قط ان يعود اليه .. المبنى الابيض، الممتد الارحاء، الذي كان يذكره بجلاء تام، وان كانت قد انقضت أعوام منذ رآه آخر مرة. وتشبثت يده بقوة بعجلة القيادة - لمجرد تفكيره فيه - حتى أصبحت سلاميات اصابعه في بياض الكاراسترانو. ثم خف تشبث قبضته، إذ أجبر ذهنه على تناسي الموضوع. والسيارة تمضي به الى مسكنه الفخم، وإلى الزوجين العجوزين اللذين يعينان به. كانا من الذقة والحرص والتجرد الذاتي كيفية عناصر حياته، ومع ذلك فقد كان يحس أحيانا بأن الاصداف الصلبة الباردة تتشقق أحيانا، فتخرج الوحدة متسللة منها، ويضطر لأن يضغط على ذاكرته، كما ضغطت يده على عجلة القيادة.

ان أي شيء كان يمكن ان يسبب ذلك الشعور ... ولكن بعض الأشياء كانت أكثر تأثيرا من سواها، شجر نخيل المنطقة الحارة في بعض الاعلانات السياحية، أو لمعان ضوء الشمس على مبنى ابيض ... ولكن الموسيقى أكثر من كل شيء. فعندما كان يسمع العذوبة المتراخية لأغنية أو رقصة من اسبانيا القديمة، مع الوقع اللوح الذي يشد الحواس تحت جاذبيته الناعمة، عندما كان يسمع ذلك كانت تعود الذكريات أقوى ما تكون.

ولكنه كان يكبح الذكريات بالشدّة الباردة التي نماها في نفسه، ويردها الى اغوار ذهنه حتى لا تعود لها أية معان تقريبا. لعله كان على وجه ما يستحق التحليل الذي أثرته به سكرتيته، فقد تعود غير السنين ان يعود نفسه على هذا النسبى، ولكن ذكرى صوتها البارد، البعيد، راح يتردد في ذهنه في تلك اللحظة على نمط غريب!

كان الضجيج الذي أثارته عودة جولي غير المرتقبة، والانفعال الناجم عن الزيارة المتوقعة لستيلا، لا يزالان قائمين - وان أخذ في الهدوء قليلا - حين وصلت الى البيت في ذلك المساء.

واستقبلت مرغريت ديرموت ابنتها الكبرى عند الباب، وهي تطوق جولي بأحدى ذراعيها كانت لا تزال جذابة، بل ومحتفظة ببعض خبث جولي ولشعرها اللينق ما لشعر ليلي من تألق يمتزج فيه اللونان البني والبرتقالي، ولا تتخلله شعرة بيضاء واحدة، وحيث مرغريت ابنتها الكبرى ليلي قائلة: "ما رأيك في هذه الفتاة إذ تعود كالتلميذة الهاربة

من المدرسة؟"

صاحت جولي محتجة:

"تلميذة هاربة؟ لقد بلغت السادسة عشرة!"

قالت أمها في سخرية وحب:

"يا لها من سن كبيرة!"

وإذ ذاك اندفع التوأمان من جانب البيت وانطلقا الى البهو. ما كان ثمة وصف غير هذا، يناسبها فما اعتادا ان يدخلوا أي مكان، انما كانا يندفعان، ومعا دائما، كأنهما شقان لاعصار غير متوقع. كان شعرهما خشناً واشبه بالجزر الاحمر. وكانت جولي شقراء ذات شعر جميل نحاسي اللون بينما لأم والابنة الكبرى جدائل يختلط فيها اللون البني بالبرتقالي، بينما شعر كيري - وهي زائرة دائمة للبيت - يدخل في نطاق الاحمر الذي تشعبت منه كل هذه الالوان. ولهذا السبب أصبحت كيري كيريغان جزءا من آل بيت ديرموت.

وقف التوأمان أمام جولي، وتطلعا اليها بوجهين يكسوهما النمش، ولهما انفان اقطسان. قال توم باغتباط عفوي:

"أذن، فأنت قد جئت؟ وأوما برأسه لتوأمة قائل:

"هيا بنا، والا تأخرنا. فحيث تيس اختها العائدة باقتضاب، واختفت لاحقة بتوأمة جولي وضعت جولي يديها على رذفيها في استياء غير جدي، ثم ابتسمت قائلة:

"ان الطفيلان لم يتغيرا البتة." فضحكت أمها قائلة:

"ما أظنهما سيتغيران يوما. والتفتت الى ليلي - وهي تغلق الباب الأمامي - وسألتها:

"كيف كان العمل اليوم؟"

فهزت الفتاة كنفيها قائلة:

"كالعهد به دائما الى حد كبير."

وتغيرت أساريرها فجأة، قائلة:

"أليس من الرائع ان ستيلا قادمة؟"

أقبل الأب وكان محاميا معروفا ومحترما، ومعه حقيبتة مليئة بالاوراق، فرفع حاجبيه إذ رأى جولي، وبدأ مشدوها قليلا لنبا مقدّم ستيلا، ووافق في شيء من الجفاء - على أن مجيء جولي، والوصول المترقب لستيلا في اليوم التالي - لن يمكنه من أن يتصرف لشيء في العمل:



أن بوسعي ان اعالجه؟  
فابتسمت جولي قائلة:  
"بل متأكدة".

وفي تلك اللحظة انفع التوأمان للحجرة، فألقيا نظرة نحو  
اخطهما، وهنقا بتحيتهما الموجزة:  
"أهلا".

ثم انصرفا لأمر أخرى. كانت ستيلتا تضحك دائما لطريقتهما  
الموجزة غير المبالية.

قالت تيس - إحدى التوأمين - وهي تتحسس المعطف  
الفرائي القصير الذي أنقته ستيلتا على ظهر أحد المقاعد في  
غير اكتراث: لا بأس به! وهمس توم التوأم الآخر، ضهوتا  
وقد ألصق أنفه بزجاجة النافذة: هذه سيارة ممتازة. كان في  
عمر تشغل السيارة فيه الأولوية بين افكاره، حتى قبل الفراء  
التمين. فأولته ستيلتا الابتسامة المشهورة في طول البلاد  
وعرضها، وقالت:

"أصطحبك في جولة، إذا كنت حسن السلوك".  
فهتف في كبرياء:

"أنتني حسن السلوك دائما، ألسنت كذلك؟"  
والثقت لأمه في اقتضاب: أحيانا! وتأملت ابتنتها ستيلتا،  
وعيناها تتحليان من ذلك الجمال الخالص. لكم كان بخيرها  
دائما انها استطاعت ان تنجب ابنة كهذه. واستدركت  
نفسها، فقالت لقد تأخر ابوك في المكتب، عطله امر لم  
يستطع تفاديه. لقد اتصل هاتفيا منذ دقائق. فابتسمت ستيلتا  
قائلة:

"لا عليك، سيتيح لي هذا أن أصلح ماكياجتي من أجله".  
وضحك الجميع لفكرة ان تتجمل ستيلتا، لأنها كانت بديعة  
بلا تجمل. وان هي الا دقائق حتى اصططحبت جولي الى  
الطابق الأعلى، وانطلق التوأمان الى مكانهما المفضل،  
الحديقة، ووقفت ليلي وأمها عندا أسفل السلم تشاهدان جولي  
وهي تثب الدرجات كأنها في سن تيس، وقد تساقطت السنون  
أمام الانفعال الطروب، وستيلتا تداعبها في حب طاغ. حتى  
إذا اختفيا، التفتت الام وابنتها الكبرى كل للأخرى،  
وابتسمتا. وقالت ليلي برفق:

"ما أطيب أن تعود ستيلتا إلينا!"  
فردت الام قائلة:

"انها جديرة بأن نفخر بها".

## ٢ - زيارة ستيلتا

وصلت ستيلتا الى البيت حوالي الساعة الثامنة من مساء  
اليوم التالي، تقود سيارتها الثمينة، ذات اللون الأزرق  
الباقوتي، التي لم تكن تقل عنها أناقة وأبهة!  
وشعرت ليلي بغصة في قلبها عندما نظرت الى أختها التي  
تصغرها عاما واحدا. ورمقت أمها فأحست من اسارير مرغريت  
بأنها تحس بالاحساس نفسه. هذا ما كان يحدث دائما عندما  
تريان ستيلتا، سواء مثلت بشخصيتها أو على شاشة السينما.  
كانت الفتاة أكمل ما تكون رونقا وبهاء.

وهمست مرغريت، وهي تحيط ابتنتها الممثلة الرائعة الأناقة  
بذراعيها: ستيلتا يا عزيزتي! ومست شفتاها الخد الناعم، فاذا  
نفحة من عطر غال تجعل أنفها يختلج في تقدير. وما لبثت  
ستيلتا ان خلصت نفسها ورمقت جولي في عجب وحيرة،  
وهنفت:

"يا الهي! أهذه جولي الصغيرة؟"

هتفت جولي محتجة:

"صغيرة؟ أنتي الآن في السابعة عشرة كاتبة اختزال مبتدئة  
ومؤهلة".

فقالت ليلي مازحة:

"قلت لها ان من الخير ألا تدع روبري يرى شيئا من عملها، اذا  
كان هذا ظنها".

كانت مضطرة لأن تخفف من لهجتها، إذ كان التثام شمل  
الاسرة ذا أهمية للجميع. ورفعت ستيلتا حاجبيها متسائلة،  
فقالت: "تعملين مع ذلك الشيخ البغيض الصارم؟"

"قالت جولي: انه ليس بغيضا، ولا شيخا، وان كان على شيء  
من الصرامة".

وابتسمت في خبث قائلة لاختها ذات الشهرة: "لقد فكرنا  
في انه يجوز ان نقدمك اليه فتلطفين طباعه قليلا".

عادت الابتسامة المميزة تبدو على فم ستيلتا الجميل،  
وقالت:

"أهو من مبغضي النساء؟ انهم عادة صنف ظريف. اتظنين



قالت ليلي برجفة مصطنعة:

\* لم تخسري شيئا بعدم ثقائه يا عزيزتي .. أن له أسلوبا رهيبا في النظر، فكأنه يكشف أعماقك !

وفي تلك اللحظة رن جرس البيت، فجرت تيمس الى الباب، صائحة بأعلا صوتها، بمجرد أن فتحت، مغلقة عن وصول كيري. ودخلت كيري وسط هذا الاعلان الصاخب، والتقت عيناها عبر القاعة بعيني ستيليا فأومضت بينهما لمحة تقور. وأخفت ستيليا ما بها بسرعة، بخبرة تشهد بقدرتها على التمثيل. ولكن كيري لم تكن أقل منها مقدرة، وقالت بصوت ناعم:

\* أهلا يا ستيليا سمعت بأنك قادمة اليوم ..

أضافت حولي بسعادة، وهي تهبط السلم:

\* ستقضي أربعة عشر يوما كاملة ..

وفكرت كيري في نفسها باكتئاب: أربعة عشر يوما، ما أطولها ! وساورها شعور غريب مقبض. لم تكن تميل الى ستيليا ولا كانت تطمنن إليها ولعل الممثلة كانت تحس بهذا، مما يفسر التناقض المتبادل بينهما !

تأملتها في انتقاد متوار، محاولة العثور على أية إشارات لها كانت تخشاه، ولكنها لم تر شيئا. كانت ستيليا تبدو في أكمل منظر، وكان عمرها لم يتجاوز الثامنة عشرة عندما أخبرت أسرتها انها أقلعت في اختيار اختيار للسليمان، وظفرت بدور في أحد الاغلام. قسماتها المتناسقة، وشعرها الاسود اللامع وعينيها الخضراوين المائلتين قليلا، كل هذه تعاونت ولا ريب، مع مقدرتها على التمثيل، لرفعها الى قمة السلم.

وبرغم ثرائها وشهرتها، فانها لم تنس أسرتها قط، ولهذا ازداد الجميع حبا لها، غير أن هاجسا أوحى لكيري وحدها بأن لعودة ستيليا ديرموت للبيت سببا آخر، ولو انها تهورت وفكرت بأن الممثلة ما جاءت لتزور أسرتها الا للسبب، وليس لأنها كانت تحفل بهم، لأنكروا هذا في شمم، ولا تقطعت صداقتها ليلي، وهي ما كانت لتريد ذلك. لهذا لزمت الصمت، برغم انها كانت مقتنعة تماما بأن ستيليا لم تكن تجد وقتا لأسرتها اللهم الا خدمة لمصالحها، فقد يكونون يوما ذوي نفع لها، ولهذا لم تقطع صلتها بهم تماما، ثم ان هذا كان يخدم الدعاية لها، فقد كانت تحب ان تظل في عيون الرأي العام حسناء البلدة التي لم تنس أسرتها برغم شهرتها، لولا

\* ولم تتغير، وهذا أروع ما فيها !

مسحت مخرجيت، الأم دمعة افلنت خلسة، ثم تحولت نحو مطبخها مستودة نشاطها، وقالت:

\* اري أن تناول بعض الشاي، فهو مقيد لاعادة الناس الى دنيا الواقع. ووضعت الابريق على النار، والتفتت الى ليلي وهي تحضر الاقداح والاطباق وتضعها بعناية، وقالت: انك تبدين متعبة قليلا. هل الدوريت يزداد صرامة؟

فابتسمت ليلي قائلة:

\* اعتقد ان ما بي نتيجة الانفعال ..

\* أهو مئزمت في صرامته؟

\* أظن هذا، بدرجة ضئيلة على أية حال ..

\* فلماذا لا تغيرين عملك اذن؟

\* لا يضايقني العمل تحت امرته .. ما أن تتعودي عليه حتى تجدي ألا غبار عليه ..

وقطبت جبينها، وهزت رأسها ورفقت امها بنظرة خائرة وارذفت:

\* بل أنتي أحيانا أشعر بأسف لأجله ..

ووضعت امها طبقا مليئا باليسكويت، ونظرت بدهشة، فأومأت ليلي قائلة:

\* أعرف أن هذا سخف .. فهو من التراء بحيث يحظى بكل ما ينبغي، ومع ذلك فأنني - أحيانا - لا أتمالك ان أشعر بأنه في داخله غير سعيد. وفي اللحظة التالية، اذا هو كالعهد به دائما، قاتر، حاد، منطو .. فأوقن انني كنت واهمة، وأن من المحتمل انه يستطيع ما هو عليه ..

\* ربما .. أو لعله تحت مظهره غير سعيدا حقاً .. حتى الاغنياء لهم مشكلاتهم ..

وارسل الابريق صغيرا، فأنصرفتا الى الشاي. وعندما تركتا المطبخ، وجدت جون ديرموت، رب الأسرة، يدخل من الباب الامامي .. وهي اللحظة، ظهرت ستيليا على السلم، فهيضت مسرعة، وبسببت ذراعها لأبيها .. واحتواها كائنه دب كبير، وضحك اذ احتجت بأنه يفسد استواء ثوبها المخملي، وقال مداعبا:

\* المخمل لا يفقد استواءه في هذه الايام. تستطيع ليلي أن تحدثك عن الاقمشة التي ينتجونها اليوم في مصنع هريديت ..

فرجت ستيليا أختها بنظرة مازحة، وقالت:

\* يا لمديرها التمهير .. لا بد لي من أن أقابله ..



هذا لنقصت ستيلا ديموت عن نعلها غبار كورقيستون،  
البلدة الصغيرة في إقليم كنت التي نشأت فيها، ونسيت أنها  
عاشت فيها، أو رأتها، يوما!

وما هي قد جاءت لأربعة عشر يوما، وسوف تسبب شرا،  
لم تكن كيري تعرفه نوعه بعد، ولكنها كانت موفقة بأنه  
سيحدث، يقينها من غروب الشمس كل مساء... وكانت ليلى  
محور القسط الأكبر من قلقها. وما كانت كيري تعرف ولكن  
حدسها أخبرها بأن ستيلا قد تكون أشبه بطفلة تمتد يديها  
بطمع إلى لعب أخوها، وأنها تخطفها دائما لأنها بارعة  
الجمال، والكل يهيمون بها، وبعد فترة، تفقد عادة اهتمامها  
بما تكون قد أخذته، وتهمله لصاحبه الحقيقية، لتأخذ ثانية  
إذا شاءت، ولكن اللعبة تكون قد تلفت. كانت كيري موفقة  
من هذا، ومن أن ستيلا ما كانت لتعاقب أو تؤنب، برغم ذلك،  
لمجرد أنها كانت ستيلا، ستيلا الجميلة!

★ ★ ★

بعد حوالي عشرين دقيقة، رن جرس الباب ثانية، وأسرعت  
ليلى لتفتح الباب لبروس. كان شابا متين البنيان، خشن  
الوجه، في السادسة والعشرين أكبر من ليلى بعام واحد، وما  
كان ليوصف بهما تساهل التصور والخيال بأنه وسيم ولا كان  
ذا رشاقة تميزه، ولكن ليلى كانت ترى دائما أن في جوهرة  
شيئا ينم عن إخلاص صادق، وعن أنه أهل للاعتماد عليه.  
وكان لكيري رأيها الخاص إزاءه هو الآخر. كانت ترتاح إلى  
بروس كثيرا، ولكنها تخال أحيانا فيه الضعف، بجانب العند  
الذي يبرز أكثر ما يبرز الحب، فلاذت كيري بالوصمة مرة  
أخرى.

قدمته ليلى إلى ستيلا بزهو باسم، وعند ذلك أدركت كيري  
ما كانت تخافه، لأن ستيلا نظرت إلى الشاب ذي الشعر البني  
والوجه الخشن، ثم ابتسمت في نعومة وصمت، وراحت كيري  
تصلي باستماتة في قلبها:

"لا تجعله هو يا رب هدفا لها... ليس هو الآخر!"

اللعب... الحب، والدمية المحطية، والآن الرجل الذي أحبه  
ليلى قد تأخذه ستيلا هو الآخر!

## ٣ - الأرت

تسلم رويز الدرويت خطايا خلق له أزمة وحطم حاجزا نفسيا  
حاول جاهدا بناءه لمدة عشر سنوات وعادوه الماضي بأكمله:  
الحنين إلى ذلك البيت الأبيض الجميل المحاط بالأشجار  
الباسقة والزهور المتكاثفة، وإلى الهواء البارد ينساب فوق  
الجبال...

وعاد يقرأ الخطاب، فإذا به ينتهه بما أنبأه به من قبل،  
كان ثريا، بعد أن آلت إليه ثروة آل ميريديت ولكن الخطاب  
كان يمنحه المزيد بشرط واحد: كان في وسعه أن يرث ثروة  
خرافية، سبق أن نبذها، بوسعه أن يعود إلى البيت الأبيض  
الذي ظل يحلم به دائما، ولكن الشرط كان بعد قائما.

كان عليه أن يتزوج قبل أن يعود، ويجب ألا يتزوج من  
مرشيديس لاستروا فإذا حاول اعتراض الوصيّة، خسر الميراث  
فورا، ليؤول إلى جمعيات معينة بدلا منه. وكان الشرط يمهله  
ثلاثة أشهر، يجب أن يتزوج خلالها وأن يخضر عروسته إلى  
كاراسترانو، أو يتنازل مرة أخرى عما نبذه في الماضي!

كان الشيخ ديفغو الدرويت على معرفة جيدة بحفيده، عندما  
أدرك أن الشاب سوف يبذل ما في طاقته ليمتلك البيت  
والضياع التي كان يحبها منذ كان طفلا!

عاد رويز يتأمل الخطاب ثانية، محاولا التفكير بروية  
للتخلص من الشرط الواضح في الخطاب. إذ أنه لا بد من أن  
يكون متزوجا، في خلال ثلاثة أشهر، وكان رويز يعلم المقصود  
من هذا: أن يغدو وريثا لقصر كاراسترانو!

زم شففته التحيلتين. كان يطمع في الكاراسترانو، ولكنه  
لم يؤت أية نية لأن يجبر على التخلي عن القرار الذي اتخذه  
هذه زمن بعيد، ألا يكون لأية امرأة وزن لديه مرة أخرى!

صاقت عيناه وهو يقرأ الخطاب بتحمس، لعل هناك مخرجاً.  
لم يكن ثمة ذكر لمستقبل زواجه، ولا لنوع المرأة التي ينبغي  
أن يتزوجها، اللهم إلا أنها لا ينبغي أن تكون مرشيديس  
لاسترو، وما كانت لديه أية رغبة في أن يتزوج من مرشيديس  
لاسترو بل ولا رغبة في الزواج إطلاقاً. ما كان شبيء أبعد.



عن رأسه بالأمس من هذا - وكان من ناحية أخرى يريد قصر  
كاراسترانوا

وتذكر - وقد زم شفتيه الرفيعتين ثانية - الرجل الذي وضع  
هذا النص اللعين المقيت في الوصية - لقد كان ديبغو الدوريت  
دائما صارخا، قوي الإرادة، وما من شك في أنه كان يظن أن  
بوسعه تنفيذ إرادته، ولو بعد موته!

لأبد من طريقة تنتهك كل كلمة من ذلك النص الوارد في  
الوصية، فترد إليه البيت الذي أحبه كثيرا، وتتيح له - في  
الوقت ذاته - استرداد المناغة العاطفية التي كان يعجزها  
كثيرا، فربما تجاري محض بين شخصين، يمكن كلا منهما من  
استعادة حريته وطريقه الخاص، بمجرد تحقيق الغاية من  
الزواج، فلم يكن الأذعان الفارغ لشروط الوصية هو الذي شغله  
في تلك اللحظة، كان شديد الفيظ - لكنه غيظ بارد - لأن اليد  
التي كانت تحكم التحكم في حياته يوما، وحرمانه من كل ما  
اعتاده - بل هدم أسس حياته ذاتها - تمسك لتحاول اعتراض  
حياته مرة أخرى، لمدة طويلة من العمر، بل إلى ما بعد  
الوفاة!

لجعت في عينيهِ ابتسامة باردة، فلقد ارتكب ديبغو  
الدوريت خطأ مرة واحدة في حياته إذ كان ينبغي أن يضع  
ذلك النص في تفصيل أوفى، أما الآن فمن السهل التخيل  
للتهرب منه، تحيرائه كان لزاما أن يفكر في الفتاة التي تكون  
مساعدة لأبرام عقد غير عاطفي كهذا، فتاة تكون مثله، لا  
تحفل بالحب، ولا مكان له في حياته، ويمكن الاعتماد عليها  
في أبعاد المشاعر العاطفية عن الاتفاق طيلة المدة التي  
ينبغي عليها قضاؤها في المكسيك! ولكن أكانت هناك فتاة  
كهذه؟

وشدته الفكرة بحدة إلى الفتاة التي في الغرفة  
الملاصقة! أنها هادئة الأعصاب، مسيطرة على نفسها، حتى  
أنها أحيانا لا تكاد تبدو من البشر - ما أبدت قط لمحة من أي  
شيء يشبه الضحك الفارغ الذي تبديه بعض الفتيات اللائي  
يعملن في بقية أرجاء المكتب، واللاتي يضايقنه أحيانا  
بثرثرتهن التي لا معنى لها - وإن لم يكن قد أصفى إليها  
قط! - أما هي، سكرتيرته الخاصة، فما كان يسمع إذا ما خرج  
إلى مكتبها سوى صمت ملتزم - وما من شك في أن الفتيات  
كن يثرثرن عن أصدقائهن، وعن الحب والحياة العامة - ما  
عدا ليلى يرموت، فأنتها كانت تبدو بعيدة تماما عن

العاطفة السقيمة التي كانت تثير حنقه، وكانت عيناها  
مشدودتين دائما إلى عملها، وما من ريب في أنها كانت من  
جلاء الذهن بحيث ترى فوائد اتفاق عملي من النوع الذي  
يبتغيه!

ومد يدا إلى زر الجرس الموضوع على مكتبه - وبدون أقل  
ارتياح في ذهن ليلى يوحى إليها باختلاف الغاية من دعوته  
أيها إلى مكتبه في هذه المرة عما اعتادته، التقطت كراسه  
الملاحظات، والأقلام، ودخلت إليه - ثم جلست في مقعدها  
المعهود، وفتحت الكراسه، مدركة أنه سيملي عليها رسائله  
كالعادة في مثل هذا الموعد من كل يوم، ثم يتركها وشأنها  
بقية اليوم، ما لم يجد شيء عاجل.

\* \* \*

لكنه قطب جبينه وعبت بالورقة التي بين يديه، ثم شرع  
يتكلم و ليلى تسجل ما كان يقول، تلقائيا، دون أن تتبين ما  
هو، وقد شرد فكرها هذه المرة غير مركز على عملها - ثم  
ترجمت لنفسها ما كتبتة بالاختزال - وراقبها، روبزالدوريت  
بامعان، ولكن علامة الدهشة الوحيدة التي استطاع لبينها،  
كانت ضيق خفيف في مقلتيها! أما ليلى فقد كانت تسأل  
نفسها عما إذا كانت قد اختبلت تماما - لكن هذا الوهم لم  
يكن اسخف أو ادعى للضحك والسخرية مما كتبت وهي تشارده  
الذهن - وتماثلت نفسها، وتطلعت إليه قائلة:

"أخشى أنني لم أحسن التقاط ما أمليته يا سيد الدوريت -"

واكتست أساريه شيء من المزاح وقال:

"بل أظنك التقطته، لقد سألت عما إذا كان بوسعك تدبر  
عرض للزواج قائم على مجرد المصلحة؟"

فعدت تنظر إلى كراسه، كان هذا ما كتبتة حقا، ولم  
تكن واهمة، وقيل أن تستجمع شتات ذهنها، استرسل يقول:

"قد ينبغي أن أزيدك وضوحا قبل أن تقول شيئا - لقد ترك لي  
جدي أخيرا عقارات في المكسيك، ولكني ملزم بتحقيق شروط  
معينة قبل المطالبة بها، والا آل كل شيء لجمعية خيرية  
معينة -"

سمعت صوتها - هادئا، رصينا - وهي تكرر كلمتي: شروط  
معينة؟ وعجبت في نفسها كيف تكون بلا شعور بالارتباك بعد  
عرض للزواج قائم على مجرد المصلحة، مثل هذا! بينما كان  
هو يستطرد: لأبد لي من أن اتزوج، وسيكون هذا تدبيراً



وقلتها طبعاً، وعاد يتأملها فشعرت باختلاجة فضول وجبيرة تساوره: أكانت هي حقاً بلا مشاعر ولا أكثرات كما بدت أم أن وجهها اكتسب قناعاً بالغ الاتقان؟ أن أي شخص - ولو كان مجرداً من أحاسيس البشر - كان خفيماً بأن يبدي دهشة لاقتراحه العجيب، ولكنها لم تبد أي تأثر، عدا تضييق عينيها قليلاً، وكأنها كان يحدثها عن الطقس!

وجذعت ليلي شتات ما تبقى من وعيها المهتز، وأجابت بهدوء، غير كاشفة عن الاستحسان الطفيف الذي شعرت به، وهي تخالقه قد توقع أن تتقبل اقتراحه بجدية: أنني أسفة، فأنا مخطوبة.

وكان هو الذي شعر في هذه المرة بصدمة حيث قوحي بها لم يكن يتوقعه. وعاد يتأملها، وقضوله يزداد، وهو يتذكر صوته في مطعم ريكي وقد كان أخف جموداً، وأينع شباباً، وأكثر تشوقاً للحديث، وعجبت ثانية، وهو يسائل نفسه، ترى أكانت ترتدي قناعاً من البرود في المكتب؟ واستبعد هذا، باستنكار ذهني، فما كان مهتماً حقاً بشخصيتها. وقال: إذن فالامر مستحيل في هذه الحال. وبالنسبة لخطبتك، اتعززمين مواصلة العمل بعد الزواج.

بل سأتركه عندئذ بطبيعة الحال. ولكن لم يحدد بعد تاريخ للزواج، ولهذا لم اتخذ أية إجراءات، وكنت اعترزم أن انذكر قبل ذلك بوقت كاف للتمكن من العثور على من تحل محلي.

فأولاً مفكراً، وقال:

طبعاً، وتكتبي لا أدري تماماً ما سيحدث. لقد قررت قبول عرض لبيع المصنع، وسيكون لأصحابه الجدد الحرية في اتخاذ تدبيراتهم بصدد المستخدمين، وقد يريدون أن تمكثي أطول ما تستطيعين.

أنا لا تفكر في إبرام الزواج قبل عامين.

عادت الابتسامة الهائلة إلى وجهه ثانية، وقال:

يبدو أنكما توءمنا بالخطبة الطويلة.

أرى أن ذلك من الحكمة، مهما كان الاثنان متأكدين تماماً من مشاعرهما. فالزواج أكبر من أن يتم بتعجل. كما أننا نذكر كلانا بقدر ما نستطيع حتى نتمكن من الحصول على بيت مناسب.

فكرة عملية ومعقولة تماماً، وأصبح من الواضح بأنه كان على صواب بشأنها. فليس لديها إلا القليل من العواطف. وساءل نفسه لحظة عن الرجل الذي كان مقدماً على

الزواج منها، أكان رزيناً وعملياً مثلها؟ ثم استبعدهما معا عن ذهنه، وتناول الخطاب، وشرع يملئ عليها وكان شيئاً غير عادي لم يذر بينهما.

أما ليلي فلم تستطع أبعاد الامر عن ذهنها، حيث شعرت بتغير مفاجيء في أعماقها ونظرت لمديرها بعينين جديدتين، حقيقتاً للمرة الأولى الجاذبية السراء التي داعبتها جولي بشأنها. كان أكثر من عرفتهم من الرجال جاذبية، بما أوتي من قوام وخفة حركة وطريقة لوضع رأسه تنطق بالشهم. كان شعره وعيناه داكني السواد، لكن العينين لم تكونا تشبهان في شيء العيون المخملية لأهل الجنوب، كما يصفها الروائيون ذو الشاعرية. كانتا حادتين، عميقتي الأغوار، ياردتين كتلحج اسود تزيان قسماته الجذابة العادة كأنها نحتتها يد فنان. وأذ قدر لهذه البرودة أن تنحسر، فأنا كانت تلحجول إلى شيء من الهزم يوحى بمرارة وراء المظهر.

ونظرت إلى يديه حين التقط رسالة أخرى، ورأت أنها رفيعتان، متناسقتان بشكل جميل، لهما طابع أرستقراطي، وأصابع طويلة بديعة، ثم عادت تتأمل وجهه وهو يتحدث بالهاتف وساءلت نفسها: هل غشي العينين السوداوين شيء من اللطف يوماً ما، وهل دق ذلك الصوت الحاد ذات الرنة الموسيقية العميقة لامرأة مثلاً؟ في يوم ما أكانت امرأة هي التي جعلته هكذا؟ ومع ذلك لم يكن يبدو محتملاً أن أبة امرأة أوتيت هذا القدر من المقدرة على تغييره، لو كان القوس الجاد لغمه في رجل آخر، لأخذ على أنه دليل مشاعر قوية عميقة، طال كبته. ولكن روبرت أدرويت لم يكن هكذا، ولو كان قد تعرض يوماً لحب عقيق.

واستغربت إذ وجدت نفسها تتساءل عما كان يحتمل أن يحدث لو أنها في وضع يسمح بقبول خطبته الباردة. لعل الموقف كان يكون بشعاً، ثلاثة أشهر يتقادي كل منهما الآخر، ثم الفاء سريع لارتباطهما، عقد مصلحة، من البداية إلى النهاية، ابتذال لكل معنى للزواج. وقالت لنفسها باكتئاب: ما أجدر الفتاة التي تقبل مثل هذا العقد، بالثناء! ومع هذا لم تستطع إقصاء فكرها عنه بقية فترة الصباح، وأن واصلت غلطها بكفاءة، لأن المرأة إذا صدمت بما يدعوها للتفكير في رجل ما كزوج محتمل، لا يعود يبدو لها كما عهدته، ولو كان الموقف بينهما بارداً تجارياً، غير عاطفي، من البداية للنهاية.



كانت ليلى في بهو البيت تتأهب للذهاب الى عملها ، حين  
اقبلت جولي من حجرة المائدة ، وأخذت تراقبها بعين منتقدة ،  
ثم قالت :  
"لا أدري لماذا تصرين على ارتداء ثياب لا تروق لأحد . انك  
تبددين دائما ، شديدة التزمّت " .  
قالت ليلى بشيء من الجفاء :  
"لا أستطيع الذهاب للعمل بشياب متحلقة ، أتحاولين أن تقولني  
أنني أبدو غير النيقة ، نابية الذوق ؟"  
فبادرت جولي :  
"كلا ، طبعاً ، وتأملت اختها التي كانت ترتدي كالعهد بها  
تنورة نظيفة ، وبلوزة لا تشوبها شائبة ، وسترة صيفية خفيفة  
وآرذفت :  
"ولكنك تظهرين دائما بمظهر سكرتيرة مثالية " .  
"هذا ما أحاول أن أكونه يا صغيرتي ، والا ما ظلت طويلا في  
عملي . كان مديري خليفا بأن يطرديني " .  
"لكم أود رؤية وجهه لو أنه فاجاك في جولة مع التوامين ، فقد  
يغير هذا من آرائه قليلا " .  
لوت ليلى إحدى خصلات شعر اختها ، في تحذير مصطنع ،  
وقالت :  
"لا تحاولي السعي لأن تكوني زوجة له . فلن تسلم لك فرصة .  
بل أنني لا أعتقد أن جميلتنا ستبلا تستطيع هدم الجدار  
الغولاذي المحيط به ، أما أنا فأود أن أتزوج بروس لا جبلا  
جليديا يسير على قدمين " .  
فقالت المراهقة الجريئة :  
"ولكنني لا أظنه الرجل اللائق بك " .  
بادرت ليلى في عجب يفوق أي شيء آخر : لا تظنيته ؟  
فهزت جولي رأسها وقالت مقطبة :  
"كلا . بل أنني أحيانا أظنه بهابك ويخشاك قليلا " .  
"بروس بهابني ويخشاني ؟ لا تكوني سخيفة يا جولي " .  
"ليس بالمعنى الحقيقي ، ولكنك تلوحين في بعض الأحيان ،  
السكرتيرة القذيرة ، أكثر مما ينبغي " .  
"انك عاطفية خيالية ، وإذا ظننت روبرت الدوريت إذا قلب  
يخفق ، فأنت لا تحسنيين الحكم على الرجال خفا " .  
"أذن فأنت لا توافقينني على رأيي بصدد بروس ؟"  
عادت ليلى تبسم ، وقالت :  
"مهما يكن ، فاني أشكرك إذ تبهتني " سارتدي ثوبا يكشف

جزءاً من محاسني عندما أذهب للقاءه في المرة التالية " .  
وأذ اتجهت الى الباب ، قالت جولي مودعة :  
"مازلت أرى أن روبرت الدوريت رائع " .  
فردت ليلى وهي تخرج :  
"أذن فلا تدعيه يسمعها منك ، إذا جئت للعمل " .  
ومع ذلك ، فإن عبارة جولي اقلقّت خاطرها ، فظلت تفكر  
فيها في طريقها الى العمل . لقد كانت ثمة غرابة بسيطة تخف  
ببروس في الفترة الأخيرة . ترى . . الى أي شيء تشير ؟  
أكان فيما قالت جولي ايعاز بشيء ما ؟ أكان ما تتخذّه من  
مسلك السكرتيرة المثالية قد أصبح يلزمها ، ويجعلها مسرفة  
في رصانتها ، وفي سيطرتها على نفسها ، حتى بالنسبة  
لبروس ؟ اتراه كان يشعر حين يقبلها بأنها تفتقر الى شيء  
ما ؟ لعلمها كانت تبدو اذا قيست بستيلا ، مجردة من الشعور ،  
بل ذات شخصية متعالية . ولكنه رأها تعمل في الحديقة ،  
مرتدية بنطلونا قصيرا قديما ، وبلوزة والثراب يلمح وجهها ،  
أي وهي بعيدة كل البعد عن شخصية السكرتيرة المثالية التي  
تعينها عليها جولي . وفي صمت أقسمت ألا ترتدي ثيابا  
مترمة عندما تكون مع بروس .



تأخرت فترة بعد موعد الانصراف للفداء ، فلما وصلت الى  
مطعم ريكي كانت كيري قد سبقتها ، واستقرت في مقصورتها  
مع جولي ، التي كانت تطوف بالمناجر ، ووعدتهما أن تلتقي  
بهما لتناول الفداء . ولا حظت كيري وهن تتداولن بشأن أصناف  
الطعام أن ليلى كانت شاردة الذهن ، حائرة تمض شفتيها  
أحيانا دون أن تظن . أكاد مجرد شعور عام بشيء ما لا يدعو  
للارتياح أم أنها علمت بأن بروس كان يلتقي بستيلا سرا ؟  
لعلمها لا تعرف ، فقد كان محض مصادفة أن رأتها كيري معاً ،  
دون أن يشعر . كانت تقيم في العاصي في مزرعة وكان  
الختين يدفعها أحيانا الى الذهاب اليها ، والسير على غير  
هدى في الحقول ، وفي دروب الريف الهادئة . وفي أحد هذه  
الدروب ، لمحت سيارة ستيلا واقفة ، وهي تجلس فيها مع  
بروس . وكانا يجلسان متباعدين ولكن منظر ستيلا كان يوحي  
بأنها لتوها تلقت قبلة . . . أو قبلات . وانسحبت كيري بهدوء ،  
عائدة الى حيث كانت تنزل وقلبيها متقل بالفتيان .



وصوت بروس يتردد في أذنيها خافتا أجش، كما سمعته في اللحظة التي برزت فيها من أحد المنعطقات فرأت السيارة، ولقد سمعته يتكلم ثانية، وهي تراجع عائدة، وسمعت ضحكة ستيل الخافتة، المبحوكة، تشوبها رنة هادئة، ولم تنتظر كيري إلى الوراء، ولكن الصمت المفاجيء الذي أعقب ذلك أشعرها بأنهما لم يعودا يجلسان متباعدين.

وراحت كيري تفكر في نفسها باكتئاب... كانت ستيل جميلة حقاً، ولكن جمال الأفعى الذي يخدر الحواس.

وارتدت إلى الحاضر، إذ انفرجت ستار المقصورة، وبرز رأس جميل أسود الشعر، وهتفت صاحبه جانيس هارتين: قالت ريكي انكن هنا، هل تمانعن في أن انضم اليكن؟ ولم تلمح صداً، فجلست مبتسمة. كانت في حوالي الخامسة والثلاثين، ذات ابتسامة متوانية، وفورة، وكانت من أكفأ العاملات بالشركة ويقال أنها أصيبت في الليلة السابقة لزواجها قبل أعوام، وقيل أن خطيبها مات في حادث سيارة، في تلك الليلة ولكنها لم تتكلم عن هذا لأحد قط.

قالت مبتسمة، حين عرفتها ليلي بأختها: "أذن فأنت جولي، كنت نواقة لأن ألك، فإن ليلي كانت تتحدث عنك باستمرار، حين كنت هنا قبل ثلاثة أشهر، وشبهت جولي في استقراء، فقالت جانيس: "ألا تصدقين؟"

وابتسمت للآخرين متسائلة: "هل حدث شيء ذو بال أثناء غيابي؟ فبادرت جولي: لقد خطبت ليلي."

أشرق وجه جانيس اغتباطاً، وهتفت: "تهاتي! أنه بروس طبعاً، أذن فقد نطق أخيراً!" قالت كيري في جفاء، أنه طبعاً بروس، فما راق ليعنيها أحد سواء، وأضافت جولي: "وستهبهما ريكي إيرني كهدية زواج... فرفعت المرأة حاجبها متسائلة:

"من يكون إيرني؟" وأد ذلك ضحك جولي قائلة: "سخان الشاي."

وسارعت كيري قائلة: "اختار بروس تعزيز أبعد الامكنة عن العاطفة الشاعرية كنا قد جئنا لتناول العشاء قبل الذهاب للمسرح، وكنا عند

طاولة الخدمة نتجاذب الحديث مع ريكي. ولا بد أننا شعرنا بموجات لاسلكية حولنا، فتحولنا قليلاً، دون أن نلفظ، تاركين المجال خالياً له والليلي وابتمت بمكر إذ لاحظت حمرة الخجل تفرج وجه ليلي فجأة، واستطردت: "الظاهر أن سخان الشاي منحه جرأة، فسألها يدها في الحال، لذلك وعدت ريكي بأن تمنحها السخان كهدية للزواج."

★ ★ ★

لم بدر روبز الدوريت ما الذي دفعه للذهاب ثانية إلى مطعم ريكي. لعل الطعام كان ممتازاً حقاً، كما كان المطعم قريباً، ولكنه لم يكن متممداً، ووجد نفسه مرة أخرى يسترق السمع، وقد أشرق وجهه، في هذه المرة، بابتسامة لا أرادية، إذ كان في تقدم رجل أنكليزي لخطبة فتاة، بين أقذاح الشاي والسخان، ما يثير الضحك. كان الأمر كما تصوره تماماً، اختارت سكرتيرته الجادة العملية رجلاً بعيداً عن العاطفة مثلاً، فيما يبدو... ثم حاول أن يتناسى شاغلته المقصورة المجاورة، كما فعل من قبل، أو كان يتعثرم ذلك على الأقل، لولا أنه كان مضطراً للاستماع، كما في المرة السابقة... وانبعثت ضحكة خفيفة، تبين روبز لديه أنه منها من سكرتيرته، التي أردفت بقولها:

"يا لبروس المسكين يابن أن يتركه يمسى هذا!" فقالت جانيس مبتسمة:

"لا يمكن لكل فتاة أن تقول أنها خطبت بين أدوات الشاي." ووجمت فجأة وبدا في عينيها ظل من ذكرى قاسية وهي تقول:

"أحياناً تكون الخطبة غير الشاعرية أفضل من خطبة تحت ضوء القمر..."

ولاذت الاخريات بالصمت. ولكنها استرسلت وكأنها تحدث نفسها:

"كان أديان فتاة في هذه الأمور حقاً... ولكن هذا لم يردعه عن الهرب مع امرأة ثرية، في الليلة السابقة على زواجنا بالذات!"

وأذ أخذت إلى الصمت سألتها ليلي بصوت خافت: "أما زلت تفتقرينه؟"

فتطلمت جانيس إليها، وحدقت في عينيها وقالت:



"أظنني سأظل افترقه دائما... ولو أنهما قتلا في حادث سيارة، في الليلة التي عذر فيها بي بالذات".  
وسرت فيشعريرة في جسد جولي فاردفت جانيس مبتسمة:  
اراني اثير فزعك يا طفلي المسكينة.  
هزت جولي رأسها، وقد اكتسى وجهها الضاحك عادة بالوجوم ما لم تره أحدا من قبل. وقالت:  
"كلا - اننا جال بخاطري أن من الفظيع أن تستمري في حب شخص، وأنت تعلمين أنه ما من أمل لك في رؤيته".  
فابتسعت جانيس، وقالت:  
"أنه أمر فظيع في البداية يا عزيزتي، ولكن الزمن يلئم الجروح. ولكن... أما من واحدة لديها موضوع أكثر بهجة؟"  
أوجات ليلى برأسها، وقالت:  
"لدي انباء عن مصنع ميريديت، وقد تريان بيانا بعد ظهر اليوم، ولكن قد يحسن أن أخبركما الآن، أنه سيباع. فهتفت كيزي بباع؟"  
كان واضحا أن النبا أفلح في محو كل فكرة عن الموضوع السابق، وقالت ليلى:  
"يبدو أن الدوريت ورث ثروة في المكسيك، وهو يبيع مشروعه ليعود الى هناك".  
لم تتأ أن تخبرهن بشيء عن شروط الوصية، لأن هذا الأمر يخصه وحده. وهتفت جولي:  
"يا للالهة! لا تقولي أنه من غلية الاسبانيين حقا".  
فقالت ليلى بجفاء:  
"لم أسأله. معظم الثروات المريعة تقترن غالبا بلقب... وأن كان اسمه الكامل كافيا في حد ذاته رويز ديبغوباليا دي الدوريت".  
وارسلت كيزي صغير دهشة، وقالت:  
"أن له وقعا! كيف عرفت اسمه الكامل هذا؟"  
"كنت أطيع أوراقا مختلفة خاصة به أحيانا، تتعلق بإقامته في هذه البلاد، أنه ليس انكليزيا كما تعرفن، ولا يزال يحتفظ بجنسيته الأصلية".  
هتفت جولي، دون أن تهتلك نفسها:  
"من المومس! لا تبدي تصرفاته شيئا من هذا".  
فقالت اختها:  
"هذا أفضل، فليست التصور أن أعجل مع رجل يطارذك في غرفة المكتب".

وضحكت جولي قائلة:

"لا أدري. فأنا أظن أن هذا ممتع، ولا سيما مع رجل مثل رويز الدوريت".  
قالت كيزي:  
"رباه! أظن الفتاة مفتونة به حقا".  
فقالت ليلى باستهانة:  
"لو صح هذا، فأنها سرعان ما ستغلب على الافتتان. ما أظن أنني أعرف نزواتك. أتذكرين بائع الحليب، وأنت في الرابعة عشرة؟ كأنما الدنيا كانت قد انتهت، عندهما نقل من المنطقة، ولكن سرعة التثام الجرح كانت عجيبة".  
فقالت كيزي قائلة:  
"ما أحسب أن رويز الدوريت سيثمر بالسرور لمقارنته ببائع الحليب!".  
وفي تلك اللحظة أقبلت ريكي بالطعام، فهيمست:  
"بالمناسبة... اتعلمن أن مديركن يشغل المقصورة المجاورة؟"  
فصاحت جولي:  
"ماذا؟ وساد صمت مرتاع. وأخذت كل منهن ترمق الأخرى، وتحاول تذكر ما قلن.  
هدأت ليلى نفسها بأن مسترقي السمع لا يتبينون بجلاء عادة ما يقال. ثم تذكرت المرة الأخرى، التي اعتزم فيها المجيء للمطعم، وسألت ريكي بصوت منخفض:  
"هل جاء هنا يوم الثلاثاء الماضي؟"  
وأومات ريكي برأسها، وقالت:  
"أردت يومئذ أن أحذركن، ولكنني شغلت إذ ذاك".  
تساءلت ليلى في يقين ورهبة عما إذا كان قد شغل في المرة السابقة المقصورة التي يشغلها اليوم:  
"أين كان يجلس؟"  
فقالت ريكي معززة الهاجس:  
"نفس المكان الذي يشغله اليوم، فأهل ألا تكن قد قلتني أي شيء غير مستحب عنه؟"  
وخرجت تاركة فترة صمت يشوبها الفرع... ونقلت جانيس نظرها من واحدة لأخرى وهيمست:  
"أتصور من الصمت المرتاع انكن قلتن شيئا بغيضا". فأومات ليلى برأسها، وهي تحاول في جزع تذكر ما قالت يومذاك! بينما غمغمت كيزي، وهي ترمق ليلى بنظرة عطف مأكرة:  
"المصروف تام الى السفهاء منذ الآن. ارتشي لك



اضطرا رك لمواجهة صاحب السيارة بعد ظهر اليوم\*.

قالت ليلى تظلمتها بنموس خفيف:

"لا أظنه يتنازل بأن يشير لهذا\* لو أنه كان قد سمع شيئا من قبل، أنه تجاوز عنه كآمر لا يليق بكرامته أن يعلق عليه. وقد يفعل الشيء ذاته هذه المرة\*"

وبرغم هذا، وجدت ليلى نفسها تتألمه باعمان، حين دخلت حجرة مكتبه بعد الظهور. ولكنها لم تتبين أي اختلاف البتة، فقد تلقى نظراتها بعدم الاكتراث البارد المعهود من عينيه السوداءين، فشعرت بالحرج ينحسر، بعد مخاوفها في البداية من مواجهته.

\* \* \*

تبينت الأسرة بأسى أن زيارة ستيليا بلغت منتصفها ولن يحقضي اسبوع آخر حتى تكون قد رحلت، عائدة الى حياتها الحافلة بالنشاط الذي يبهرها. وكان الصحفيون قد حاصروا البيت القديم، ملتقطين لستيليا صورا وهي في قاعة الجلوس البالية، وأن كانت مريحة، وواقفة تعبت بازجوحة التوامين، أو متكئة في أعماء على جرع شجرة تفاح عتيقة. لكنها صرفتهم بحزم لطيف، مصرة على رغبتها في أن يتركوا أسرتها في هدوئها، واعدة بأن تؤثرهم بقاء آخر قبل عودتها الى لندن. واعتادت بعد ذلك البقاء في الفراش حتى يقترب موعد الفداء، فتلهض متكاسلة، وقد تصطحب التوامين في جولة في السيارة، بعد انصرافهما من المدرسة، أحيانا وبالثاني تقدم الصحيفة المحلية في الصباح التالي صورا للممثلة الشهيرة مع شقيقها وشقيقتها الصغيرين. أو صورا لها وهي تحيط جولي بذراعها في مخبة، أو هي مع ليلى وبروس. كانت ضاحية كورفستون، وكل أسرة ديرموت تحب هذا

وفي أمسية اليوم الذي تبينت فيه ليلى أن تعليقاتها على روبرت الدوريت قد تنامت لسمعها، فتحت الباب الخلفي للبيت، وسط صرخات رغاء من الداخل، وتطلعت الى أمها وجولي، وهما تعدان الشاي في المطبخ، وقالت بابتسامة واهنة:

"كأنني بالهنود الحمر يهاجمون البيت\* ولم تتم كلماتها، حتى وثب عليها توم وقد خط وجهه بالحبر شفاء استولى عليه من مكان جاء ملوحا ببلطة من الورق المقوى، وتشبث بهاصرتها ليتمالك توازنه، ثم دار حولها، هطاردا تيسس وقد

خطت وجهها مثله، إذ اندفعت من الردهة، مؤرجحة حفنة من الخيط الاسود ربطت عند قمتها، وكأنها خصلة مدلاة من رأس أحد الهنود.

زمقت ليلى الخصلة بجفاء، وقالت لاختها الصغرى: "يا لك من قبيحة!"

قابست الصغرى لا مبالية. اما جولي فقد ساورتها أفكار أخرى. كانت قد ابتاعت أخيرا اول أصبع لاجر الشفاء اذن لها بشرائه، فأمسكت بأخيها وهي تصبح باستنكار: "أحمر الشفاء هذا من عندي\*"

فانكر توم متعلما، ثم اندفع، قائلا:

"ليس هذا أحمر شفاء، أنه طلاء الحرب لدى الهنود"

ثم اندفع الحديقة وراء تيس، مطلقا صرخة مروعة، وجولي وراءه تطارده من أجل اصبع الطلاء المستولى عليه.

وإذ ابتعد الضجيج، ظهرت ستيليا في مدخل المطبخ، متسائلة:

"أهيا بهذا الصخب دائما؟"

"لا بأس بهما إذا كانا يتربصان، أما إذا انطلقا من كمين، فإن الضجيج لا يطاق\*"

وصعدت ليلى الى غرفتها لتعلق سترتها، فلما هبطت، كانت ستيليا في قاعة الجلوس. وسألتها:

"ماذا كنت تفعلين؟ أمل ألا تكوني قد شعرت بضجر\*"

فرمقتها ستيليا وفي عينها وحيض هازي:

"ضجر ليس بعد، ولكني ولا بد سأحس به، فيما أظن، إذا أطلت البقاء. ألست تسامنين حياة الريف؟"

وأبتسمت ليلى، وهي تمز رأسها، قائلة:

"أحسب أن بقية آل ديرموت خلقوا لحياة الريف. ويناسبنا أن نستدفي بوجه مجدك\*"

ورمقتها ستيليا بنظرة ساخرة، وغاصت في مقعدها، قائلة:

"تري كيف تكون القناعة والرضا؟"

سألتها ليلى في هدوء:

"ألست راضية؟"

فأطلقت ستيليا ضحكة قصيرة، قاسية، وقالت:

"راضية؟ لا يشعر المرء بالرضى الا وهو ميت\*"

فنظرت اليها ليلى مذهولة، ولكنها عادت ترميها بالنظرة الساخرة:

"أيذلك هذا؟"



وهزت كتفها، واسترسلت:  
"أن لدي الكثير، أليس كذلك؟ وخليقي بي أن أكون راضية،  
ولكن هناك دائماً الكفاح لأجل المزيد، الحاجة دائماً للبقاء."  
أنا نفسي تأملت بهذه الشدة لأبلغ ما وصلت الي.  
وسألتها ليلي في هدوء:

"لماذا لا تتخلين إذن؟"

فرمقتها ستيلاً مأشودة، ثم هزت كتفها قائلة:

"أتخلي؟ هذا أسوأ، فقد أموت سجراً".

"لن يحدث هذا إذا تزوجت وصار لك بيتك الخاص. أما كان  
هناك قط شخص وددت أن تتزوجي منه؟"

هزت ستيلاً كتفها ثانية، وقالت:

"أحياناً، إلى أن كنت أضيق بهم".

وأطلقت ضحكة عجيبة، ملتوية، وقالت:

"أحسبني إذا عثرت أخيراً على شخص، فإنه سيكون من حق  
أنثى غيري سيقنتي إليه".

نظرت ليلي إلى شقيقتها الجميلة مذهولة، وقالت لنفسها  
في حكمة أن النجاش ليس كل شيء، فيما يبدو، فان ستيلاً  
برغم كل شيء، أوتيته، وبرغم مرحها لم تكن سعيدة بعد. كان  
هناك شيء ينقص حياتها، كما كانت حال رويز الدوريت.  
فبالرغم من كل ثرائه ومركزه، كان ثمة شك يلازمها في أنه  
لم يكن سعيداً حقاً. هو الآخر كان ينشد المزيد، ولكنه أخفى  
حاله وراء قناع بالقناع، وليس بالمرح كما فعلت ستيلاً. ومن  
الطبعي أنه لم يكن من السهل معرفة ما ينقص رويز  
الدوريت، بل من الممكن أن يكون أمره مجرد خيال منها، وأن  
يكون في أعماقه ضلواء مجرداً من العواطف، كما هو في  
ظاهره.

وبعد هذه الملاحظة العابرة، كادت ستيلاً تفقد توازنها، إذ  
اندفع إلى الحجرة كلب أبيض ضخمة، موقور الجيوب، وقطع  
الحجرة في وثبة واحدة، وألقى مخليه الأماميين على  
كتفها. كان الكلب المعروف باسم سنوكس، قد أدرك أنها  
موجودة، فجاء يحييها بطريقة المعتادة، فلم تعد بعد ذلك  
ثمة فرصة لأي حديث جدي. وقد سرت ستيلاً لذلك، فقد  
عاودها الشمر العجيب بأن شيئاً ما لا يسير على ما يرام.

توالت أيام الأسبوع، تتخللها الأحداث اليومية العادية  
ممتزجة بمتعة وجود ستيلاً وكانت جولي قد استقرت حتى  
لكأنها لم تبتعد قط عن البيت إلى المدرسة الداخلية. وأهدت

فليكس قطة البيت الجديع مجموعة من القططيات ذات اللونين  
البي والابيض، وجرح أحد مخليي الكلب سنوكس وكان نراها  
أخذته إلى الطبيب البيطري. ومضى العمل كالعهد به، والحياة  
في مسيرتها العادية، إلى أن حانت الأمسية السابقة على يوم  
عودة ستيلاً إلى لندن. حيث انقلب كل شيء رأساً على عقب.

كان بروس قد حظى بيوم للراحة بدلا من يوم عطلة كان قد  
قضاها في العمل منذ بضعة أشهر. وقررروا أن يذهبوا لحفلة  
راقصة في ذلك المساء. وسمع رويز سكرتيرته تكلم كبير عن  
هذا ويبدو أنه أصبح يسمع عقوا، في أبعاد الأوقات عن  
المتوقع، ففاجأها بأن دعاها للانصراف قبل جوعده بساعة،  
ليتسع لها الوقت كي تتأهب. ولم تدر فيما بعد أكان جديراً  
بها أن تشكره أو أن تكرمه لأنه صرفها قبل الموعد.

كان البيت يبدو هادئاً ساكناً، حين وصلت. وأوحى الهدوء  
بان ستيلاً كانت هي الأخرى خارج البيت، أو مستلقية، أو  
مستغرقة في القراءة.

وفتحت باب قاعة الجلوس، فسمعت:

"لا نستطيع أن نفعل بها هذا. لن اسمع لك. انتي أوتر أن  
أشقي بقية عمري على أن أؤدي ليلي".

وقفت ليلي في المدخل لحظة، تقاوم ادراكها أن الصوت  
الذي سمعته كان صوت ستيلاً، ثم تبينت الرجل الذي ضم إليه  
قوام ستيلاً المنحيل، الرشيق، وأحسني رأسه يلمص خذه  
ببشرتها الناعمة، في زمجرة خافتة، كانت أكثر إيضاحاً من  
أية كلمات.

أنه... بروس!



## ٤ - الحل الوحيد

وقفت ليلى لحظة والألم يعتصر قلبها، ثم انسحبت بحركة تلقائية، وبخس الهدوء الذي اقبلت به، واستندت ظهرها الى الباب المغلق، وكأنها لا تقوى على الحركة. لقد سمعت عن تلك اللحظات التي يسكن فيها كل شيء جامداً، ولكنها لم تتصور أبداً أن تعاني واحدة منها، وأن تعرف الشعور بأن كل ما كانت تحلم به يتلاشي في لحظة وجيزة!

لم يكن بروس يجيها... كان يحب ستيل! لم يكن للمشهد الذي فوجئت به معنى آخر، فقد كان كل منهما منصرفاً للآخر، حتى انهما لم يحسا بوجودهما. ووقفت عند الجانب الآخر للباب لحظة، وهي تضغط شفتيها بيد متشنجة، محاولة الحركة، ولكنها بدت كما لو كانت قد تجعدت في تلك البقعة، والبيت من حولها صامت ساكن، كان موعد عودتهما للبيت عادة فترة ضجة وحركة، ولكن كل شيء كان اليوم مختلفاً، لم يكن اليوم ككل تلك الايام التي انقضت من قبل.

لم تشعر بأي نذير هاجس، حين تركت العمل، ولكن جو التوتر والانتظار الذي ران على البيت كان خليفاً بأن يفذرهما. فلم يكن الكلب سنوكس هناك ليخفف لتخيتها بوثباته الطويلة، أنه كان ليسبب ما لا يحب ستيل ومن الواضح أنه اعتزل بنفسه في مكان ما في الحديقة. حتى فيليكس وقطيطاتها كانت دائمة في المطبخ، ولم تتحرك عند دخولها. ولعلها لو دخلت من الباب الامامي، بدلا من المدخل الخلفي... لعلها لو لم تترك العمل مبكرة، لما كانت قد رأت ستيل في احضان بروس... ولسمعا صوت مفتاحها في الباب الامامي... ومن المحتمل انهما ما كانا يسمعا، فهما لم يسمعا صوت باب قاعة الجلوس يفتح!

أخيرا، تمكنت من التحرك، فتجولت ببطء وعادت الى المطبخ، ومن ثم الى الحديقة، الى الطريق ثانية. وهناك توقفت واخذت تتلفت حولها مخدرة الحس. ماذا ينبغي ان تفعل الآن؟ ما كان لها أن تقف امام البيت كأحدى

شجيرات الورد التي كانت الاسرة تعني بها. كلا... كان التوقوف خطأ... هكذا أخبرها عقلها المذهول، المصدوم... ما كان لها أن تقف هناك، فان الناس قد ينظرون اليها... كان يجب أن تتحرك وأن تمشي... فسارت بخطوات سريعة، وخرجات تلقائية، دون أن تعرف وجهتها!

كيف تسنى لها أن تكون عمياء الى هذا الحد، وأن تكون مطمئنة باعتداد الى سعادتها، غير مدركة أن اثنين ممن تحبهم كانا شقيين الى هذه الدرجة؟ واستدركت حين ذلك الشعور الغريب بأن هناك شيئا غير طبيعي؟ فسلك بروس المتوتر حيانا، وفوق كل هذا ستيل، اذا أهتدت للحب أخيرا لشجده اذ ذاك من حق غيرها، من حق شقيقتها بالذات. هل خطر لها شيئا عندما قالت ستيل حتى اذا وجدت الرجل الذي تؤمن به وتتق فيه، فستجده من حق امرأة سواها، سبقتها اليه؟

ياستيل الحبيبة من فسكين! أنها بالرغم من شقاؤها وتعاسفها فكرت في الاخت التي قد تسيء اليها اذا اخذت منها سعادتها. وكان واضحا أن بروس هو الآخر فكر في ذلك، وأبى أن يفهم الخطيئة التي كان من المحتمل أن تدمر حياته هو الآخر لو أتيح لها أن تستمر. ولكن ما من سبيل الى استمرارها طبعاً، فما ينبغي السماح لهما بأن يذمرا حياتهما. مهما يكن الألم الذي سوف تقاسي منه ليلى قاية سعادة يمكن أن تليس لها من زواج تظل فيه على علم، كلما قبلها بروس بأنه انما يحاول أن يخيل أنها ستيل، وتكون فيه موقنة، أنه كان بوسعها أن تتيح لهما أن يكونا سعيدين؟

وتنهدت، وقطعت جبينها وهي تسير بسرعة، دون ما غاية. وخيل اليها كأن شخصا آخر كان يراقبها اينما تذهب، ليحرص على ألا تخطو أمام سيارة وما كانت من الجبن بحيث تفكر في ارتكاب شيء كهذا وعقلها مشغول تماما بما كان ينبغي عليها أن تفعل أراء المفاة!

ماذا كان عليها أن تفعل؟ أكان ينبغي أن تدخل الحجرة وهما معا؟ كان هذا كفيلا بأن يقرض مناقشة الأمر. أما الآن فمن التفسير اثاره الخوضوع بأعصاب هادئة. ولكن أما كان عسيرا بالدرجة ذاتها، لو أنها حاولت فسح الخطيئة في الحال؟ كان من الممكن أن تظل ستيل على رقصها الزواج من بروس وما كان ينبغي أن يحدث هذا بالتأكيد.

وتركز كل الحب الذي كانت تكنه لشقيقتها في حل



واحد في إيجاد طريقة للانتساب. كان من الخير أن يسعد  
أثنان ويشقى واحد، بدلا من العكس. ومهما يكن، فهي لن  
تسعد الآن لو تزوجت من بروس.

واصلت السير بخطواتها الحادة، والتلقائية الآلية، ومدركة  
أنه لا بد من التوصل لمخرج قبل أن تهدأ الصدمة ويسيطر  
اليأس. ومن العجيب أن ذهنها أصبح صافيا، وأخذ يعمل  
سريعا بجلاء ذكي غريب. وقالت لنفسها: لابد من البت قورا  
قبل أن تستسلم للدموع، ولكنها لم تستطع أن تهتدي إلى أي  
مخرج.

وكان لزاما أن تعود - أخيرا - إلى البيت، وأن تتظاهر بأن  
كل شيء على ما يرام. كانت بقية الأسرة قد عادت في تلك  
الأيام، ولكنها تحضنت الذهاب للحفلة الراقصة. وكان الصداق  
عذرا كافيا، وانبأتها بديمتها بأن بروس قد نشر بقرارها.

★ ★ ★

عادت ستيلا إلى لندن في الصباح، و ليلي لا تزال تبحث عن  
طريقة لغسل الخطبة دون أن تتيح للعاشقين سببا لأن يعتقدوا  
أنها اكتشفت سرهما. ما كان يوسعها أن تخسبها دون ما  
سبب على الإطلاق، ولا كان يوسعها التظاهر بالاهتمام برجل  
آخر لأن الأسرة بأكملها كانت تعلم بأنه لم تزد يوما حيلا إلى  
أي رجل آخر، بل أنها لم تكن على صلة وثيقة بأي شخص آخر  
بدرجة تسمح لها بالتظاهر بأنها وقعت في هواه. لم يكن في  
حياتها سوى روبرت الدوريت في العمل وبروس في الأمسيات.

وقبالة، أومضت الفكرة... تردد في أذنها صوت جولي  
عندما داعبتها: لا أدري كيف تستنى أن تغلبي من الوفوع في  
حبك. كان هنا الحل الشنيع... كان واضحا بحيث لا يدعو إلى  
المزيد من التفكير... فلتتزوج من روبرت الدوريت!

كان ثمة نفور متمرّد، في اللحظة الأولى، من هذا القرار.  
أنها لم تكن راغبة في الزواج من ذلك الرجل البارد المشاعر،  
الذي لم يكن بالنسبة لها طيلة أعوام ثلاثة، أكثر من صوت  
حاد قاطع. كانت تتغني في حياتها الدفء والحب، إلا  
الاستهزاء الأجوف لفترة ستكون دون شك محدودة... ثم  
تنتهي.

لم ترغب في التعرف عليه أكثر ولكن ما من ضرر من ذلك  
حيث سيعيشان في بيت واحد، كان ثمة شيء منفرد في

تلك الشخصية الباردة، المنطوية، التي لم تكن تحتل في  
العمل، فكيف تكون الحال في بلاد محربية عليها، وهي وحيدة  
متزوجة من رجل كانت تكاد تكرهه؟

ارتجفت ولكنها مع ذلك لم تتزعزع عن قرارها. ولم تكن قد  
قالت شيئا بعد لأسرتها، ولا لبروس، حيث أرادت أن تضعهم  
أمام امر واقع، فكان لزاما أن تتريت حتى تتحدث إلى روبرت  
الدوريت.

لم تستطع أن تمنع انهماك بعض الدموع، حين خلت لنفسها  
في حجرتها ليلا. ولكن الرغبة في البكاء تلاشت في الصباح.  
ولكن سررت لشدة سيطرتها على نفسها، وعززت القناع المجرد  
من أية سمة شخصية، والذي كانت ترتديه دائما في العمل،  
حتى إذا استدعاها روبرت الدوريت لطرفت بابه ودخلت ساكنة  
النفس. ولم تجفل إلا للحظة حين خطر لها أنه ربما كان قد  
عثر على سواها، ولكنها هزت كتفها مستبعدة الفكرة، لو  
حدث هذا فما عليها إلا أن تبحث عن حل آخر.

ووجدت نفسها بطريقة غير ارادية تتأمله في ذلك الصباح  
بعمتين مهتمتين بشخصه، فعادوها الذمول إذ اكتشفت أنه  
كان جد جذاب، بل أنه خليلي بأن يكون مغناطيسي الجاذبية،  
لولا بروذه وعدم اكترائه. ورمقتها عيناه السوداوان عبر  
مكتبه وفيهما تساؤل، فجتمعت اطراف شجاعتهما، وسألتها:

"أمن الممكن أن أتحدث معك ليضع لحظات، إذا ثم تكن جد  
مشغول، يا سيد الدوريت؟"

فأجاب:

"طبعاً. وأوماً برأسه نحو مقعدها المعتاد وأردف: أجلسي!"  
خطر لها وهي تجلس، أنه ليس ثمة سوى طريقة واحدة  
لأداء مهمتها، وهي أن تكون هادئة، غير مرتبكة، كان الامر  
لا يتعدى مشروع المصلحة كما سماه... وكما كان في الواقع،  
وأن تناول أوثق رباط بين رجل وامرأة!

ترددت، وعضت على شفتيها بالرغم من تمالكها نفسها،  
وقالت:

"مشروع المصلحة الذي ذكرته من قبل، ألا يزال مطروحا؟"  
لأنني... لأنني... لو..."

فأكمل عنها قائلاً:  
"لأنك لو لميرت رأيك؟"

وتفرست العينان السوداوان في وجهها متفحصتين، وأن  
ظلتا لا تكشفان عن شيء، وأردف:



\* وخطبتك؟ \*

وتقبلت ليلى تغرسه بجلد، وقالت:  
\* فسخت. \*

\* حديثاً... مساء أمس مثلاً؟ \*

قالت مؤكدة:

\* نعم. \*

وعادت تشعر بتغرس عينه السوداوين اللتين لا تشيان بشيء، وقال:

\* هكذا. وهل بدلت رأيك بصد اقتراحي؟ \*

عادت تقول:

\* نعم، وهي تقاوم رغبة رعاء في أن تضحك كطفلة، لأن كلمة اقتراحي بدت لمريبة. كانت بطريقة ما تقرن هذه الكلمة دائماً بالشفراوات، والماس، والفراء، وعلاقات الحب المحرم، وما من شيء من هذا يصلح للموقف الراهن. بل أن علاقات الحب بالذات محرمة أو غير محرمة، فتساءلت:

\* أحسب أن الناس لن يعلموا أنه مجرد مشروع مصلحة؟ \*

صحيح أن فكرة أية علاقة غرامية بينها وبين رويز أدوريت تبدو لها سخيفة تماماً، ولكن كان لابد من جعل بروس وستلا يعتقدان عكس الحقيقة تماماً. ولو تطايرت مجرد اشاعات عن الوضع الحقيقي لكان ذلك كفيلاً بجعل الفكرة كلها عقيمة تماماً وغير مجدية!

أجاب رويز بهدوء:

\* على أية حال غليس لذي الرغبة في نشره على الملاء. وفي الوقت الراهن، لا يعلم بشروط الوصية سوى المحامين وأنت وأنا طبعاً. \*

فتساءلت وهي تسيطر على صوتها بحرص ليبدو هادئاً...  
تجارياً:

\* ما المطلوب تماماً؟ \*

\* لابد من قضاء وقت قصير في قصر الكاراسترانو بعد الزواج، لنضيف عليه مظهر الزواج الطبيعي. وبعد أن تكون شروط الوصية نفذت، يمكن فيما بعد تدبير الغاء للزواج في هدوء. فلا سبيل هناك لأي نزاع قضائي بهذا الصدد. ومن الجائز لأي زواج أن يفشل! \*

\* هذا يبدو مقبولاً تماماً. \*

واهتز القناع المنيع على أسنانه قليلاً، وارتفع أحد حاجبيه السوداوين في عجب ساخر وقال:

\* ألا تريدین معرفة يتود الاتفاق أولاً؟ \*

فأجفت ليلى مرعدة:

\* يتود؟ \*

\* لا أتوقع طبعاً أن تمضي في هذا السبيل دون مقابل... أنه، برغم كل شيء، اتفاق تجاري. \*

قالت في بطة:

\* ما فكرت في هذا، في الواقع. \*

ثم خطرت لها فكرة متوهجة ومتواقة، فهتفت:

\* إذا، إذا تضمن الاتفاق أي ثمن، فأنتي أوثر أن يكون في شكل آخر. \*

وعاد القناع يخفي ما في نفسه، وتلاشى العجب الساخر، وسألها:

\* مثل؟ \*

\* مثل أن تتظاهر بأنك تحبني؟ \*

وران ضمت مذهب، وفي انحصاره البطيء ثعبت. لو استطاعت أن تلجج بأي شيء لتسحب هذه الكلمات التي لا تفتقر ولم تجسر على النظر إلى وجهه، بل ركزت عينها على يديها اللتين التحمتا في حجرها، وهي ترتجف وتنكمش ازاء نفخة من الازدراء الجليدي في أية لحظة. ثم وجه إليها سؤالاً كان آخر ما توقعت سماعه:

\* لماذا انقصمت خطبتك؟ \*

وجعلتها المفاجأة تنظر إلى وجهه بسرعة، ولكن ملامحه ظلت جامدة لا تشير لها بأي رد فعل لما طلبته... ولساءلت بدورها بعد لحظة:

\* هل لهذا أهمية ما؟ \*

\* كلا... ما لم يكن قبولك اقتراحي مجرد محاولة لاثارة لميرة خطبتك السابق! \*

\*\*\*

\* إثارة غيرة بروس؟ \*

محاولة لتفخيص سعادته مع ستلا، وهي التي تحبهما معا حبا جما؟ كانت الفكرة بغيفية ومهينة، فبدأ الشر ينطلق من عينيها، وكان أي أمريء أكثر معرفة بها من هذا الرجل خليقاً بأن يأخذ هذا على أنه إنذار. ولكنه استأنف حديثه:

\* إذا تورطت في هذا الاتفاق، فأني أتوقع أن تمضي فيه



حتى نهايته، لا أن تفسخيه في آخر لحظة!

قالت وهي تكبح غضبها:

"انه مقدم على الزواج من أختي".

ثم انفجرت غاضبة بعد أن أدركت ما يخطر له وقالت:

"أنا لا تفهم شيئاً على الإطلاق. أنني أحب أختي حباً جما،

ولكني أحملها على الاعتقاد بأنني لم أعد أحب بروس، لا بد لي

من أن أخبرها بأنني سأتزوج بشخص آخر".

وأطلقت ضحكة قصيرة خشنه، وأردفت:

"لا تقلق... سامضي حتى النهاية".

المطجع رويج في مقعده بتؤدة وهو يأملها، وظلت أساريره

لا تظهر شيئاً كالعهد بها، ولكن فضولاً نصف حثوار بدا في

عينيه... أنها لم تكن المخلوق العديم الانفعالات العاطفية كما

تصورها يوماً. كانت عيناها الداكنة الزرقاء تبرقان بدموع

مكبوحة... ولكنها عصت شفتيها بقسوة تقريبا، وعادت

تتكلم بالصوت الذي اعتاد سماعه منها:

"اعتذر عما بدر مني. ولكنك تفهم الآن على الأقل كيف تقوم

الأمور. أنني مازلت أحب خطيبي، ولم أقصم الخطبة بعد..."

ولكن هذا سيتيح لي عذراً لذلك.

"امتأكدة كل التأكيد من ضرورة هذا؟"

أطرقت لبلي وقالت بهدوء:

"كل التأكيد... لقد تصادف أن... أن سمعت شيئاً، ولست

أنوي أن أدعها يفسدان حياتهما بالتشبث بأفكار سخيفة عن

واجبهما نحوى. وهذه هي الطريقة الوحيدة التي أستطيع

أقناعهما بها، ولهذا فلن أكون الطرف الذي يتراجع".

قال:

"أناك تبدين تضحية رائعة في ظروف كهذه،"

فرمقته بهدوء:

"أصبح هذا؟ لم أكن قادرة على التصرف بطريقة أخرى."

فقال لنفسه... لعلها ما كانت قادرة فعلاً، وبدأ يتمثل

صورة جديدة، تماماً لسكرتيرته الكفء، المجردة من المشاعر

الشخصية، كما كان يخال. ثم عاد لعينيه وميض الاهتمام

المتحكم، وقال بصراحة متعمدة:

"أنني لأعجب أن تعتمدين علي لاداء دور كهذا، على ضوء

الرأى الذي أفصحت عنه يوماً في مطعم ريكى."

شعرت لبلي بالذم يتصاعد إلى وجهها، وقالت:

"أذن فقد سمعت! "

قال بجفاء:

"سمعت كثيراً، كان ما قلت شجياً كاملاً، أهذا ما تعتقدن

حقاً؟"

فبادرت منكزة:

"كلاً بالطبع."

وراحت تحاول تذكر ما قالت في وقت الغداء، ولكنها لم

تستطع أن تتذكر شيئاً معيناً، سوى أنها وافقت على كل ما

قيل أذ ذاك، ولم تر مبرراً لأن تغير اعتقادها الآن. وقررت

أنه ما كان يجب أن تبدي الاقتراح الذي أبدته منذ دقائق.

فألى جانب جراءة ما طلب، ما كانت تتصور لحظة أنه يستطيع

اداء هذا الطلب، ولكنه فاجأها قائلاً:

"أظن، ورغم الآراء الموحية بالنقيض، فبوسعي أن استجيب

لطلبك، ولكن ما موقفك أنت؟"

فاجأها بسؤاله، فإذا بالدماء تتصاعد إلى وجهها ثانية،

وفكرت لأول مرة في موقفها هي كطرف في الصفقة.

لم تكن حين أبدت اقتراحها قد فكرت في الأمر من ناحيتها

الشخصية، كيف كان بوسعها أن تتظاهر بحب شخص مثل

رويج الدوريت؟ وكبحت مشاعرها وقالت بهدوء:

"أظن بوسعي هذا. أن الناس عادة لا يعرضون مشاعرهم

علانية لذلك فلا أظن الأمر سيحتاج لكثير من الجهد."

"في هذه الحال، نعتبر أن الاتفاقى مستقر."

كان هذا كل ما أيداه بالنسبة لرجائها الغريب، وكانت

تتوقع رفضاً متعالياً. وبعد أن تأكد من أنها لم تكن محاولة

لاثارة غيرة بروس، قال في نبرة مبالاة:

"من الممكن أن نتزوج في نهاية الشهر، إذا ناسبك هذا."

وأضاف وكان الأمر لا يتضمن شيئاً شخصياً:

"لا يبدو هناك أي نفع من الانتظار. والاجراءات تسير جاليا

لبيع المصنع. ما أحسبك تعرفين شيئاً من اللغة الآسيانية؟

لهذا فقد يحسن أن تتلقي بعض الدروس، فستجدين هذا

مفيداً. أذ أنك ستقضين بضعة أشهر، على الأقل، في

كاراسترانو. وسأتكفل بكل النفقات طبعاً، كما سأدبر تحويل

مبلغ محترم إليك."

وشرعت تقول:

"ولكنني قلت أنني..."

ولكنه قطع عليها الحديث بإشارة من يده الرشيقة، غير

مألوفة بين الإنكليز، مما ذكرها بدمه اللاتيني الذي



كانت تنسأ أحيانا بالرغم من سمرته • وقال بحزم:  
 "لا مجال للجدل، فقد قلت أنه مشروع مصلحة •"  
 فهزت كتفها قائلة في غير أكثرات:  
 "أنتي أترك هذا لك •"

ووعده بتدبير دراستها اللغة، فقالت:

"أنتي أنكلم الإسبانية • • • ولأول مرة منذ عملت معه، شعرت  
 بارتياح إذ رأيت قسما منه تكشف عن شيء للحظة، ولكنه تمالك  
 نفسه في الحال وهتف:  
 "تتكلمين الإسبانية؟"

ثم سألتها بالإسبانية:

"ما الذي جعلك تدرسينها؟"

وتردبت ليلي إذ أدركت أنه يتوقع، وقد خاطبها بهذه  
 اللغة، أن ترد بها، فقد يحتمل أنه أراد اختبارها والتأكد من  
 مدى إجادتها إياها، وأجابت بخذر، وقد فوجئت بأن رأته  
 يبتسم بطريقة غيرت ملامحه:

"كنت أعترم ذات مرة أن أذهب، في العطلة إلى اميركا  
 الجنوبية أو المكسيك •"

"أن لهجتك جيدة إلى حد كبير •"

أجابت وهي مازالت مذهولة بالتغيير الذي يمكن لابتسامته  
 أن تفعله:

"شكرا لك •"

كانت تلك أول مرة تراه فيها يبتسم دون استهزاء أو  
 تهكم • وسألها:

"ألم تذهبي إلى هناك أبدا؟"

فهزت رأسها قائلة:

"كنت أعترم الذهاب في العام الجاهلي، ولكن • • •"

وأسقفها قائلا، وهو يعود إلى اللغة الانكليزية:

"ولكنك ارتبطت بالخطبة بدلا من ذلك؟ اعترف بأنني أكن  
 للمكسيك اعتبارا كبيرا • وسيكون من الطريف أن أريك  
 الأماكن التي عرفتتها معرفة جيدة •"

★ ★ ★

وفجأة تلاشى كل طابع غير شخصي، لم يكن ممكنا للصفقة  
 أن تحدث مثل هذا التبدل ولكن المسألة لم تعد تبدو بشعة  
 بمجملها كما كانت قبل فترة وجيزة، فأخذت تناوله

بفضول لا بد أنه تجلى على أساريرها • وجابها بنظرة متسائلة  
 قائلا:

"هل من شيء يحيرك؟"

أسرعت تنكر قائلة:

"كلا، في الواقع • • ثم اردفت: إنما خيل الي أنك تبدو مختلفا  
 قليلا • لم يبد الأمر باردا، وبشعا •"

"بشع؟ أظنه كذلك بوجه ما، ولكن ليس ثمة ما يبرر ألا نكون  
 صديقين، ثم حكم الضرورة إذا راعينا الدور الذي علينا أن  
 نؤديه •"

وخالط عبارته الأخيرة نوع من الفكاهة الساخرة أرسل الدم  
 إلى وجنتيها ثانية • فقالت بارتباك:

"نعم • • • نعم، طبعاً • فعقب في تلفظ حملها على أن ترمقه  
 مأخوذة: اعترف بأنني أجذك غير ما توقعت تماما •"

فقالت بعد لحظة، وهي في حيرة من حقيقة هذا الرجل  
 الكامنة تحت مظهره:

"أحسب أننا جميعا لسنا كما تبدي مظاهرتنا • كانت قد بدأت  
 تشعر بأن رأيها عنه غير صحيح كل الصحة •"

قال موافقا:

"هذا حقيقي، أرى أنه كان يخلق بك أن تحدثيني قليلا عن  
 أسرتك، فسيبدو غريبا ألا أعرف شيئا •"

وأثار بهذا مشكلة أخرى • فلا بد من أن يلتقي بأسرتها، وما  
 كانت تدري ما يكون عليه شعور كل من الطرفين إزاء الآخر •

لقد ظل ثلاث سنوات يبدو منطويا، وإذا بها خلال دقائق  
 معدودة ترى وجهين من شخصيته الحقيقية غير المعروفة •

التلطف الماجر عندما أطرى لهجتها في الحديث بلغة وطنه  
 الأصلي، والسخرية الهازئة التي بدأت تكتشف أن لها قدرة

على أن تخرق رباطة الجأش التي كانت تخرص على ألا تجسها  
 أية ارتباكات أثناء العمل •

ثم انتهت إلى نظرتها المترقبة، وكأنها تنبهها إلى أنه رجل  
 جرم المشاغل، وأنه يجب عليه العناية بمثل هذه التفاصيل  
 الشخصية، فأسرعت بوصف موجز لأسرتها • حتى إذا فرغت  
 عقب قائلا: وهل سئلا هي التي كانت سبب فسخ خطبتك؟ لم  
 يبد بادرة دهشة أو اهتمام بأن سئلا نورديت الشهيرة كانت  
 أختها •

وأومات في تأكيد صامت، غير مطمئنة إلى الكلام إذ شعرت  
 بأنم خطبتها المفسوخة، فاضطرت إلى مواراته عنه، لا



سيما وقد خامرها شك غير مريح، أوحى اليها بأنه سيقابل كلامها باهتمام خال من المشاعر.  
بعد هذا الحديث العجيب، ألم على أن يتفأفأ الفداء معاً، ليألف الذين في الإدارة ما كان مقدراً أن يحدث، وادركت ليلى المفاجأة التي كان سيصاب الجميع بها، على أنه كان لزاماً أن يقع ما هو أسوء، أن تفضي بالنبا إلى بروس وتحمله على أن يصدقها، بل أنه كان ثمة ما هو أسوأ، عندما تضطر للبدة في أداء الدور الذي أصرت بنفسها عليه، كان هذا خليفاً بأن يكون اقصى الامور جميعاً، أن تكون باقية على حب بروس، ومضطرة للنظاير بعب رجل ما كانت تشعر معه بالارتياح!

\* \* \*

لم تقل شيئاً حين عادت إلى البيت، وإنما انتظرت حتى جاء بروس ليصطحبها لمساهمة فيلم كانا قد اتفقا من قبل على مشاهدته. كان يبدو متعباً ومهموماً نوعاً ما، وقد سرها أن تكون أخيراً قادرة على أن تمنحه أملاً جديداً. ولم يكونا قد ابتعدا كثيراً عن البيت وبروس منصرف لقيادة السيارة حين خرجت الصمت المتوتر قليلاً بينهما: "أستبح بايقاف السيارة؟ لذي حديث أريد أن أقضي لك به...". رفقا بروس ينظره سريعة، ثم عرج بالسيارة إلى شارع جانبي غير مطروق، وأوقف المحرك. واستدار إليها منتظراً، فقالت بايجاز:

"أريد أن تحلني من خطبتنا".

وشمرت به يجل إلى جوارها، وهتف:

"أحكك؟"

فهزت كتفها بحركة سريعة، رجت أن تساعد في شبه الملمعة السائدة على النظاير.

"نعم". كنت أظنها خطبة موفقة، ولكنني أرى الآن أن ما من أمل في نجاح الزواج بيننا.

صمت بروس فترة طويلة، ثم التفت ليرمقها مباشرة، وسألها:

"ما الذي دعاك إلى هذا القرار المفاجئ؟"

"يخجلني أن أعترف، ولكنني لم أحبك، حتى في بداية خطبتي إليك. كان هناك... شخص آخر..."

وصمت ثم أردفت:

"هذا كل ما هنالك لا أستطيع المضي...".

سألها بروس باقتضاب:

"من هو؟ أجابت باقتضاب:

"رويز الدوريت...".

كانت نظرتها المذهولة أشبه باهانة للرجل الآخر، وقال:

"رويز الدوريت؟ أنت جادة؟"

أجابت وقد غصت شفتيها مرة أخرى، وتيدي عليها أنها

توشك على اليكاه:

"كل الجدا"

وكأنت موشكة على اليكاه فعلاً ولكن لسبب آخر...".

واسترسلت:

"لم أكن أن أؤذي مشاعرك، ولكنني هويته ثلاثة أعوام، دون أن يقطن أحد، حتى روي نفساً".

وتعمدت أن تنطق باسمه بالقة، وهي تسائل نفسها عما إذا

كانت تستطيع أن تفعل ذلك امامه؟ ثم خلعت عن اصبعها

الخاتم، يماسه البراقة الصغيرة، وكان من عاداتها ان ترتديه

في المصاء، بعد انصرافها من العمل، وناولته أياد، وأصبعها

تشمع كأنها عارية تماماً. فأخذ بروس يغير وعي تغريماً،

وسألها:

"أرجو ألا يكون لهذا علاقة ب... ستيل؟"

وتعمدت أن تجتذب قدراً كافياً من الحيرة والعجب إلى

صوتها:

"ستيل؟ أي شأن لستيل بهذا؟"

"الواقع، ظننت... أعني ليس لهذا علاقة بستيل وبني؟"

رددت وكأنها لا تفقه ما يشير إليه:

"ستيل وأنت؟"

فتردد في غير ارتياح، ثم أطلق ما بصدرة:

"أنا وستيل... اكتشفنا أننا متحابان، ولكنها أبت أن

أخبرك...".

رددت وكأنها مصعوقة تماماً:

"ستيل وأنت؟"

ثم انحضت ضحكة وقالت:

"هذا رائع! الآن لا أشعر بالخجل من فسخ خطبتنا هكذا..."

ثم أكسبت صوتها جدية من جديد، وأردفت:

"ماذا تعني، بأنها لم تشأ أن تخبرني؟"

فأجاب:



"أبت أن تحطم خطبتك، قالت أن من الخير أن تظل الأمور كما كانت قبل مجيئها".  
ضاحت وهي تعض شفتيها في اسف واضح:  
"وتركتها تعود الى لندن والأمور بينكما هكذا، أنني مستحبة من نفسي إذ لم أظن من قبل. لا بد أنك تبيعس، وكل هذا يسببي".  
قال:

"لم يعد هذا ذا بال".

ضمها يصدق فاق كل ما اعتاده، فكان هذا هو الذي هدم الوهم الذي شيده. فقد تعلقت به دون ارادة منها، فلما أبدعها بعد لحظة، كادت تبكي في خزي وأشمتزاز من نفسها.  
قال بهدوء:

"كانت كل هذه أكاذيب... وكيف تسنى لرويز الدوريت أن يدخل في الأمر؟"  
عضت شفتيها وقالت:

"رايت أن هذا يبسر موقفك وستيلا... لذا، وافقت حقا على الزواج به".  
"ولكنك لا تحبينه".  
"كلا، ولكن لا قيمة لهذا".  
"لا قيمة لهذا لا يمكن أن ترتبطي بزواج هكذا، أن ستيلا لن...".

فقطعت حديثه بحزم:

"يجب ألا تعلم ستيلا بشيء من هذا".  
وبدا لها ألا سبيل للأخناعه إلا بأن تخبره بالحقيقة، فأقضت بها بعضلة وأردفت:

"هكذا ترى أنه مشروع مصلحة لن يستمر".  
وأستطاعت أخيرا أن تغمه بأنه لا بد للأمر أن يمضي كما دبرت. فما كان بوسعها الآن أن تتزوج منه. ولو علمت ستيلا بالحقيقة، فمن الأرجح أنها ستأبى أن تتزوج منه. وكان الحل الوحيد أن يجعل أختها تعتقد بأن زواجها برويز. زواج طبيعي... يجب ألا تعلم يعودتي للبيت مبكرة واكتشافي جا بيتكما... لقد تقبلت الواقع. ثم إنك أخذت روبرت الدوريت الآن. أنها عملية تجارية، لن تضيرني، ولن تغير شيئا ولكنها ستجعل ستيلا سعيدة، ولن تلوم نفسها، ويجب ألا تخبرها بأنها عملية مصلحة عذني بذلك".

عندما استقرت السيارة أمام البيت، التفت بروس إليها بسرعة وسألها:  
"أتودين أن أدخل وأعلن النبا عنك؟"  
هزرت ليلي رأسها وقالت:  
"لا... أفضل أن أعلنه بنفسي".  
وقبل أن يجادلها، حيثه وأسرت بالدخول. وحياها سنوكس بوثيته المعهودة، فاستطاعت أن تهدئه بجهد كبير فتستجمع أراقتها. كان عليها أن تتظاهر بمسادة ماهرة. وأن تبدأ من الآن.  
سرعا حين دخلت حجرة الجلوس، أنه لم يكن سوى أمها وجولي، إذ ذهب التوأمان إلى الفراش.  
تطلعت مرغريت بابتسامة، وقالت:  
"حسنا كما ذاهبين إلى السينما. هل عدتما؟"  
قالت:  
"نعم".  
ثم تريثت، كان لا بد من مصارحة جريئة، كالثي استجعت أعضائها لتخبرها مع روبرت ثم مع بروس، غير أنه كان لا بد من أن يكون تظاهرها موقفا، في هذه المرة، فقالت بهدوء مصطنع:  
"لم أعد خطيبة لبروس".  
وبسطة يسراها لتريا أصبعها عارية. وبدا القلق على وجه الأم فابتسمت ليلي قائلة:  
"قررنا أن ما بيننا كان غلطة...".  
وأبترسلت ضحكة مقتضية، وأردفت:  
"لا تنزعجي، أن الدنيا لم تنته".  
قالت الأم:  
"ولكنك قلت...".  
فقطعت حديثها بهدوء:  
"يخجلني أن اعترف بأنني قلت أشياء كثيرة لم تكن صحيحة. أنني لا أحب بروس، ولا أحبته يوما".  
وساد الصمت لحظة، ثم قالت مرغريت بنفس هادئة:  
"يحسن أن نخبرينا بها حدث".  
فقالت ليلي:  
"ليس هناك الكثير ليقال في الواقع".  
حاولت ليلي أن تنسق وقائمه وتطلقها متتابعة، فأسوا ما في الخداع أن يضطر المرء إلى تذكر ما قاله من



قبل بحذافيره . ومضت تقول:

«حاولت فترة أن أحمل نفسي على تقبل بروس، ثم حدث اليوم شيء، فأدركت أنه لا بد من أن استجمع الشجاعة لأخبره بأنني لا أستطيع أن أتزوج منه، وأنتي أريد الزواج من شخص آخر».

وتوقفت لحظة، ثم أردفت وهي تشعر بالجسور تحترق خلفها، فلا يبقى سبيلا للتراجع:

«هو... روبرت الدوريت».

صاحت جولي:

«روبرت الدوريت؟»

وردت مارغريت الاسم بلهجة أكثر هدوءاً، ولكن نظرة ذهول ذهول قفزت إلى عينيها . ولعلها تذكرت وصف ابنتها لصاحب شركة ميريديت، فسألت نفسها كيف تود فتاة الزواج من ذلك الرجل اليارء المنطوي بالرغم من اعتباره جذاباً فوق المستوى العادي . وأردفت الأم: هذا شيء لم يكن مرتقباً .

فربتتها ليلي بامتداز، وقالت:

«تمنيت أن أثير من قبل، ولكن ذلك كان كان مستحيلاً».

وسألتها جولي وهي لا تمالك نفسها:

«هل ستتزوجينه حقاً؟»

فأومأت ليلي بالإجابة، وقالت:

«سعلن خطبتنا عما قريب جداً، ولا نعتزم أن يطول أمدها».

وستعقد القران في نهاية الشهر».

وكان عليها بعد ذلك، أن تروي بعناية وحذر القصة التي اعتتها للأسرة: أنها كانت من اللحظة الأولى لالتحاقها بالعمل تقريباً، قد أحببت روبرت ولكنها لم تر جدوى من الأمل في أن ينتهي ذلك الحب إلى شيء، كان من الغريب أن تبين سهولة أداء دورها، وأدائه باتقان... وشعرت بالضيق إذ مكنت بروس الشعور بالأمر، ولكن الخطبة خليقة بالشفاع إذا لم تكتشف ستيلا الحقيقة.

كان غريباً بل رهيباً أن تثبت أنها سترتبط في القريب برجل غريب تقريباً بالنسبة لها، من الناحية الشخصية برباط من أوثق الروابط بين أي رجل واية امرأة، وأن كان ذلك في الظاهر غريباً... فما كانت لتتصور أن تطمئن إلى حرص أي رجل على التجرد من الطابع الشخصي للارتباط، ولكن مجرد التفكير في ألا يحرص روبرت الدوريت أمر يدعو للضحك.

قالت جولي في فضول:

«ولكنك لم تبدي انفعه إشارة من قبل عن شعورك حتى أنك يوم تقدينا عند ريكي كدت تهاجمينه».

«كنت مضطرة . كان انفعه شيء كفيلاً بأن يجتذب اهتمامه . وأنت تعرفين كيف تنتشر النقولات في مؤسسة كبيرة . أفترضني أن شخصاً سمعني أقرك على ما قلت . وسرعان ما كانت الشائعة تنتشر بأنني أحبه».

ابتسمت مارغريت لابنتها الكبرى، وهي شهز رأسها، ومازالت الدهشة الحائرة واضحة على محياها . وعادت تكرر:

«الامر لم يكن مرتقباً يا عزيزتي ولكن إذا كان هذا ما تريدن حقاً، فيسرنى ما حدث».

والفقت إلى ليلي وايتسامتها تكتسب بعض الخيث، وقالت:

«ومتى سنرى هذا الروبوت الدوريت المثير؟»

فأجابت الفتاة:

«عما قريب، كما أمل».

رهفتت جولي في جزع مفاجيء:

«رباه! كيف سيكون صاحب العمل زوجاً لاختي؟ ألا تشعرين بأن الموظفة تكون وقحة حين تناديه باسمه الأول؟»

فوافقتها ليلي:

«أحياناً».

وما كانت لتعتزم أن تبين أنها لم تناده باسمه مجرداً . بل كانت موقنة من أن جولي مصيبة في ما قالت . ولكن مجمل الموقف وتصنعها للحب كان موقفاً سيئاً .

وحانت في وقت لاحق مهمة اطلاع الوالد جون ديرموت على النبأ . وسألت ليلي نفسها:

«تري كيف سيتلقاه؟»

\* \* \*

تقارب حاجباه الكثيفان حين أنبأته زوجته مارغريت، وتساءل في حدة:

«ماذا؟»

وتضرج وجه ليلي وعضت شفتيها . ولم تكن لهجته مشجعة، ولو قبول روبرت بنفور متوارء، لكان الموقف محرراً . ولكنها لم تكن بحاجة لأن تقلق، حديقته عينا أبيها الذي قال:

«أنه رجل طيب ما كنت لتفتراري أحسن منه».



قالت زوجته مستنكرة:

"كان ينبغي أن تبدي شيئا من الدهشة..."  
فسألتها:

"لماذا؟ أنه من النوع الذي ينبغي أن تتزوج به. أما بروس فكان يحب الاتكال على سواه؟"

"أذن فهكذا كان بروس في رأيك؟"

ما أعجب ما يتبينه المرء عن المشاعر الحقيقية للناس عندما يحدث أمر كهذا. كيف سيتلقى الاب أخبار خطبة بروس وستيلا المقبلة؟ أثرت ليلي أن تخبر الأسرة بنفسها.

كان يجب أن تعاد القصة مرارا وتكرارا، وأصبحت ليلي بالخجل من أنها أصبحت تجيد الكذب. بل أنها أصبحت تضيق للقصة بعض الزخرفة وتذكرت ما اعتزمه رويز الدوريت من بيع المصنع والعودة إلى المكسيك، وأن هذا جعله يوقن من أنه لن يراها ثانية، وأذ لم يكن على علم بخطبتها لعدم ارتدائها الخاتم أثناء العمل فقد أخذها على غرة، وسألها فجأة إن تتزوجه. بل كان من السهل أن تقنع كل امرئ بأن تفرطها في بروس بدأ يسبب لها تأنيب الضمير بدرجة مؤلمة.

ولكنها استغرقت في البكاء، إذ أدت إلى فراشها، حتى بلت وسادتها، ثم تماثلت نفسها، وكبحت دموعها، واستلقت على ظهرها محبقة في السقف. لقد أدت المهمة، وأصبح كل امرئ يعرف أنها ستزوج من رويز الدوريت بدلا من بروس.

وفي طريقها إلى العمل في الصباح التالي شعرت ليلي بعزيم من الغثيان، لأنها مضطرة للتظاهر بحب رويز عندما يكون معها. وراحت تتمثل حاجبيه السوداوين يرتفعان في عجب بارد، إذا ما نادته باسمه مجردا، فما بالك بالاضطرار لبعض النظرات الناعمة وكلمات الاعزاز. وتمنت من أعماق قلبها لو أنها لم تقترح قط التظاهر بالحب، ولكنها أصبحت ملزمة بالمضي في ذلك، لأنه السبيل الوحيد لنجاح الخدعة.

وشعرت بلحظة ارتباك، حين سمعت الجرس يدعوها إليه، بعد وصولهما إلى المكتب. ولكن ما كان ثمة ما يدعو للانزعاج، إذ كان كالعهد به دائما، حتى أنه لم يذكر شيئا عن خطبتها!

غير أن كيري اتخذت وضعا مختلفا تماما. فقبل انتهاء عمل اليوم أقتضمت مكتب ليلي، وأثارت الموضوع مباشرة، بصراحتها المعهودة:

"هل علمت أن هناك شائعات بأنك ستتزوجين من

رويز الدوريت؟ لقد بلغتني منذ لحظات فقط، والا لكنت أوقفنها... لكم أود أن أخلق الغيبة التي أطلقها الله وحده يعلم ما سوف يقول إذا ما تراجعت إلى أدنيه!"

تطلعت إليها ليلي، وقد ارتسمت على شفيتها ابتسامة بطيئة متعمدة، وقالت:

"أنا التي أطلقها..."

فحملت فيها كيري بغيا... وأردفت ليلي:

"أنها ليست شائعة أنني سأتزوجها!"

"أنتك مجنونة!"

"كلا، بل أنني أحبه حقاً..."

صاحت كيري في استهجان، وأصرت على أن تعرف الحقيقة، فروت لها ليلي القصة التي أصبحت تجيد روايتها، و إذا كانت القصة مقنعة لكل امرئ فانها لم تكن ذات أثر يذكر على كيري، التي قالت في استهجان:

"هذا أسخف كذب بكشوف سمعته يوما! الآن إلي بالحقيقة! أنني عرفتكم أمدا طويلا، ونظرتي لأشورك مختلفة تماما عن نظرة أهلك..."

أخيرا، هزت ليلي كتفها وقالت في أعياء:

"الحق، ما من أحد هنا يهوى الآخر. أنه اتفاق مصلحة منذ البداية للنهاية. فهو مضطر للزواج والعودة للمكسيك ليرث ضياع الأسرة..."

وأرسلت كيري صبغرا خفيفا، وهزت رأسها قائلة:

"هذا أقرب للعقول. ولكن ماذا يدعوك بحق السماء لا تفارق مصلحة؟ وبروس؟"

قالت ليلي معززة ما كان في خاطر صديقتها:

"بروس يريد الزواج من ستيلا. وشعرت بالارتياح في حديثها إلى كيري، وهي لا تدرك أن صديقتها كانت تتحرق شوقا إلى أن يخلق شخص ما ستيلا، وهي تصفى في صمت واجم إلى ليلي وقد راحت تروي كيف اكتشفت الأمر، وكلماتها المقتضية تكشف عن مدى ألها... واختتمت ليلي حديثها قائلة:

"هكذا رأيت أن شيئا كهذا كفيل بأن يساعدنا. فان ستيلا قد تلوم نفسها وتأسى الزواج من بروس، إذا لم تصدق أنني أحب سواه..."

ودار بخلد كيري: ما كان محتيلا لستيلا أن تلوم نفسها على شيء. ما، وودت كيري في تلك اللحظة أن تفجر كل شكوكها في ستيلا، ولكنها كبحت جماح سخطها، مدركة أن ليلي



"ماذا؟ لا أصدق!"

هزت ليلي كتفها وقالت:

"انتظري... وسترين."

فابتسمت كيري فجأة، وقالت:

"لا أستطيع الانتظار."

ثم ضحكت، وتحولت عن الخوف من مكر ستيليا إلى الفكرة الجديدة المثيرة، فكرة تظاهر رويز أندوريت بالحب لسكرتيرته، وقالت:

"أتمنى لو أختلس النظر خلال ثقب الباب، عندما يحتويك الرجل في عناق حار."

وأبتعت كلامها بابتسامة تستثير بها صديقها مداعبة، ولدهشتها، تضرع وجه ليلي، ولو كانت الظروف غير هذه، لرمتها كيري بنظرة متفحصة، ومثالية.

وأسرعت ليلي قائلة:

"لا أكاد أظن أن هذا محتمل... ثم أننا لن نضطر لهذا ونحن وحدنا!"

فهزت كيري رأسها قائلة:

"مازلت لا أتصوره يتظاهر بالحب لأي امرئ، وأن كان الجدير به ألا يكون جبل الجليد الذي يمشي على قدمين، كما هو حقا إذا راعينا أنه نصف أسباني."

وتطلعت إلى صاحبته، وأبتسمت في مداعبة خبيثة، وأسترسلت:

"لا أقول هذا لأنني أظن أن هناك ما يدعو للاكتراث بهذا الصدد، وإنما لأنني لا أستطيع أن أتصوره يتحول إلى هذا الطراز، وأن لم يكن بوسع المرء أن يتكهن بما قد تفعله به بلاهه الأصلية!"

رمقتها ليلي بجفاء، وامتنعت عن التعليق على الفكرة البسيطة، فكرة أن ينهك رويز اتفاقية عذريا، أفلاطونيا. بل

كانت لا تزال مرعوبة في أنه سيكون قادرا على أن يتغلب بنجاح الخدمة البسيطة التي لم يكن منها بد أمام الملا، وأختلست

كيري نظرة جانبية، وهي تعجب... كيف سينتهي هذا الارتباط المتورط الرهيب؟ وودت لو تنصح ليلي بالألا تلغجل

الأمور وأن ترجي، هذا الزواج غير العاطفي أطول ما تستطيع، فقد كانت موقنة بأن ستيليا ستدخل تغييرا جديدا على الموقف

في القريب، كانت موقنة بأن ستيليا لم تحب يروسي، وأما كانت تدفع المثل فحسب بانتزاعه من أختها، ولعلها

لن تصدقها، وبأن تعزف عن صداقتها، أو تستبقها متوترة. لذلك عادت تلزم الصمت... ثم ازداد أسفاؤها وجزعها فجأة، إذ خامرتها فكرة، فرمقت صديقتها بنظرة مترددة وقالت:

"هذا ال... الاتفاق التجاري... ألا يلزمكما بانجاب وريث للاراضي؟"

شعرت ليلي بالدماء تندفع لوجهها بشدة، وأسرعت تقول:

"كلا طبعاً وأن لم تتمالك أن تشعر بأن الوريث هو بالذات ما قصد به شرط الوصية، ولكن إذا كان رويز يؤثر أن يتغافل عن هذا الجزء غير المكتوب من الشرط، فليس لها أن تثيرة ولا

كانت راغبة فيه. فما كانت تتصور شيئا من أن تسلم نفسها لرويز أندوريت البعيد عن المشاعر الأدمية. ولو كان هذا صريحا في الشرط لما قبلت مهما تكن الظروف!"

وتساءلت ليلي في شيء من القلق:

"أنظنين أن أحدا غيرك سيشرح بالنسب الحقيقي للخطبة؟"

فهزت كيري رأسها وهتفت بحرارة:

"يا الله... كلا أنا نفسي لم أكن متأكدة..."

وقالت:

"قد تعتقد الاخريات أنك كنت تحبينه طيلة الوقت، ولكن كيف ستتخلين على أنه مجرد اتفاق تجاري؟ لو استمر صاحب

السيادة على سلوكه المتباعد المعناد، فإن امك أول من سيرتاب..."

وأقرت ليلي وقالت، وهي تحاول معرفة تأثير كلامها على صديقتها:

"لقد سألته عما إذا كان يمانع في أن يتظاهر بالحب..."

ولم تخيب كيري توقعها، ففجرت فعما لحظة، واختلجت اهذابها، ثم هزت رأسها وهتفت:

"ماذا؟ لا داعي لأن تكرري ما قلت، فقد سمعته ولكن لم أصدق..."

وأبتسمت ثم سألتها بصراحة، وفضول مقتبط، في تلك اللحظة:

"كم دام الصمت الجليدي، وكيف انفجر صاحب السيادة عندما تطلب على الصدمة المتدوكة؟"

قالت ليلي بهدوء:

"لقد وافق..."

وعادت كيري بحمق فيها، وتهز رأسها وتقول:



## ٥ - المدير \*\*\* الخطيب

تنامت بلدة كورفيستون في سرعة فائقة. وحرصت بلديتها على توزيع الابنية القديمة والحديثة في تناسق. وتحيط بها طيعا الضواحي السكنية بمنازلها الصغيرة، بينما ظلت على الجانب الآخر للنهر الضواحي القديمة، محتفظة بطابعها الريفي الهادي... وعلى قمة أحد المرتفعات، كانت دار أسرة ديجوت تحمل أسما مستغربا جينفلتوب. كانت دارا ذات طابع يوهي بالود، بنيت من الطوب الذي أصفى عليه الجو طبقة رمادية...  
كانت مرغريت في المطبخ تغسل الأطباق بمساعدة أبنيتها، إذ كان يوم السبت، وليس من عمل يشغلها، كما راح التوأمين يساعدان، وأن كان الشطر الأكبر من مساهمتهما صغبا أكثر منه عملا، مما أنهى بطردهما إلى الخديقة. والتفتت الأم إلى أبنيتها مبسمة فحورة بهما، وقالت منقبة كلماتها:

"يبدو أن أحداثا تلم بهذه الأسرة أخيرا".

وما كانت الفتاتان في بهاء ستيل حقا، ولكنهما كانتا جذابتين... جولي بشعرها النحاسي الطويل، ينساب معقوصا على شكل ذيل الحصان، وليلي بشعرها البرونزي المجدول في ذلك الصباح في صغيرتين التفت كل منهما مع الأخرى في مؤخرة عنقها.

قالت جولي موافقة أمها:

"أبني أرى هذا، لا سيما إذ فاجأتنا ليلى باعتزامها الزواج من روبرت الدوريت، وبروس يوشك أن يدبر أمره مع ستيل".  
فقالت مرغريت ضاحكة:

"أن الأمور لا تسير في رتبة حقا".

كان نيا بروس وستيل يحير الأسرة منذ تسعة أيام ولكنهما لم يستطيعا بعد أن يعلننا خطبتهما. فقد ذهب بروس إلى لندن ليقابل ستيل، فوجد مسكنها مغلقا، وذهب إلى شركة الاقلام، فتلقى جوابا غير مشجع... كان من الواضح أن أحدا لم يدر بشيء عن الخطبة المتوقعة بين نجتهم الأولى

في الحقيقة كانت تعتزم أن تتخلص من بروس وتصد بهشيد عاطفي، قبل رحيلها إلى لندن، وكان الأمر بالنسبة لستيل مجرد لعبة، ولكن ليلى ولا ريب قلبت الأمور بوصولها إلى البيت دون أن يقطن أحدهما، وما كانت ستيل في رأي كيري ليستسيع أن تجد بروس يلاحقها، ولم تعد تربطه إلى ليلى أية خطبة، إذ كان هذا كفيلا بأن تضطرها إلى إيضاح وتفسير لبروس، فقد كان آخر رجل نود أن تتزوج به، وقد أصبح لزاما عليها بعد تحرره من خطبة ليلى أن تتخلص منه. فعندما تقرر ستيل الجميلة المشهورة أن تتزوج، فما من شك في أنها ستنتقي رجلا موفور المال، لتحظى بكل الرفاهية والفرف الذي تشتهيها، دون أن تضطر للعمل باستمرار. إذ كانت ستيل بزعم حياء الشهرة، خاملة.

لم تكن كيري تملك سوى أن ترجو أن تحدث ستيل نفسها تطورات في الموقف، قبل أن تحضي ليلى بعيدا مع روبرت الدوريت، فلو رغب بروس في أن يعود إلى ليلى، فلن يشدها روبرت الدوريت بالتأكيد إلى ذلك الاتفاق التجاري غير المعقول.



الكاسي، وبلوزة بيضاء بدون أكمام وأخذت تقطع الحشايش... واتجهت مرعرت بالسيارة الى الجزء الحديث من كورفيستون، فأودعت السيارة في موقف السيارات، ريثما تشتري لوازمها... وأتمت مهمتها، ولكنها حين عادت للسيارة وجدت أنها لا تعمل فوقفت حائرة... فسألها حارس الموقف: "أهناك مشكلة يا سيدة ديرموت؟"

والفتت فجأة عند سماع اسمها. رجل كان على بضع ياردات... بينما أجايت مرعرت الحارس:

"لست أدري ماذا أصاب هذه السيارة المتعبة!"

ورفع الحارس غطاء المحرك، وتأمل ما تحته، وعبث بأصابعه فترة، ثم استوى واقفا وهز رأسه قائلا:

"ما من شيء واضح فيها. يبدو أنه لا بد من إرسالها الى الكاراج."

وانبعث صوت عميق، ينطوي على اختلاف بسيط عن الاصوات المحيطة بها:

"هل أستطيع تقديم أي عون؟"

فالتفتت مرعرت لتري أن الرجل الاسمر الطويل الذي كان يقف بجوار سيارته على بضع ياردات قد أقبل عليهما. كان له

طابع مميز، ولاحظت عيناها على الفور ثيابه الانيقة، وقد ارتداها في عزيمة الشخص الذي ألف هذه الثياب، وعزز ظنها

أن الحارس أجابه باحترام بالغ:

"بعض الخلل في السيارة يا سيدي..."

لا بد أنه كان رجلا ذا مكانة.

قال الرجل وقد أشرقت في وجهه الابتسامة النادرة:

"أذن فقد يكون بوسعي أن أقبل السيدة ديرموت الى البيت."

وأردف مخاطبها:

"أنني روبير الدوريت."

وشعرت مرعرت بهزة دهشة تعتربها، ثم باهتمام طريف يفشاه. أذن فهذا الشخص هو الصهر الذي كانت ليلى تعترم

أن تقدمه اليها! ودبر، بروح الشخص الذي اعتاد إصدار الاوامر، وهو موقن من أطلاعتها أمر نقل سيارتها الى الكاراج،

فشكرته وهي ترمقه بنظرة أنثوية شائقة، يخالطها شوق الأم لمعرفة نوع الرجل الذي اختارته ابنتها!

ولاحظت بحاشتها الانشوية على الفور جاذبيته السحراء، ودقة القسمات والعينين السوداوين، والشعر الأسود اللامع

يتخلله وميض أزرق تحت الشمس، والاسنان البيضاء.

وهذا الرجل غير المعروف الذي يوهي مظهره بأنه غير ذي أهمية، فظنوه من أولئك الذين يلاحقون نجوم السينما، فرفضوا أن يعطوه عنوانها. كل ما تفضلوا به عليه أن التقطات الأخيرة في الفيلم الذي تمثله كانت تلتقط في موقع أحداثه، ولكنهم لم يخبروه أين كان ذلك الموقع. وعاد بروس متوتر الاعصاب محبطا الى المدينة، وحاول أن يثمين ما إذا كان آل ديرموت يعلمون أين يستطيع الاتصال بستيلا. واضطر طبعاً أن يحدثهم بما جرى. ولم يجد لديهم عنواناً، فاضطر في النهاية الى أن يكتب لها بعنوان مسكنها، أملاً أن تصلها رسالته.

كبرت كبري تعليقاً حاداً، حين سمعت أن ستيلا سافرت لموقع أحداث الفيلم دون أن تسمع تحلل بروس من خطيته

لاختها. ورأت في داخلها أن الاقدار كانت في صف ستيلا. كانت تأمل أن ترفض ستيلا الشاب صراحة، فيثوب الى

رشده... واتفاق المصلحة يزداد اقتراباً من مواعده.

وقالت جولي معلقة على ذلك:

"أن أمر بروس وستيلا مستغرب. ما خطر لي قط أنها تختار شاباً مثل بروس."

وأبتسمت وهي ترنو الى ليلى بخيثة، مرددة:

"أما روبير الدوريت، فأوقن الآن بأنه خير بجدالة الفتيات الغرام."

وشعرت ليلى بدفء يثير الشك يتصاعد لوجهها، نذيراً بالخجل، وأن لم تكن تتصور حدوث شيء كهذا، ولكن ضحكة

جولي أكدت ذلك وهي تقول:

"هذا هو الدليل! وأراهن بأنه لا يقل حرارة، ولعل لانتهاه للإسبان يدا في هذا."

وعاد التوأم الى المطبخ، وأن هي الا لحظة، حتى تصاعدت ضيحاتهما من الحديقة ثانية، منبئة بأنهما يمثلان

حرب الهنود الحمر... وكان جدار من الحجر الذي كسسته الطخالب، يفصل الحديقة عن بستان الفاكهة ويحول دون رؤيتهما، ولكن صرخاتهما وضجيجهما كانا يعلنان أن الحرب

الهندية أو رقصة الحرب مستمرة.

\* \* \*

تناولت جولي كتاباً وخرجت الى الحديقة، بعد تنظيف الأدوات، بينما ارتدت ليلى سروالاً قديماً بلون



قطع على ليلي أنهما كهما في العمل في الحقيقة، وعلى جولي أنصراها القراءة، قدوم التوأمين وقد خططا وجهيهما بأحمر شفاه جولي، وزينا رأسيهما بالريش، وأخذا يصرخان بجنون، وهتفت جولي:

"يا الهي! عاد الهنديان إلى الحرب ثانية!"

فقالت تيس في صرامة:

"المرأة الشاحبة الوجه أسيرتنا!"

وهتفت جولي بأن تبادر بالانسحاب، وأبتسمت الصغيرة ابتسامة متحلقة، وقالت لجولي:

"أنا تقيلي؟"

فأوامت جولي بأستسلام، والتفتت تيس إلى ليلي قائلة:

"وأنت الأخرى؟ أنك لا تصلحين أسيرة، فأنت تجيدين تسلق الشجر!"

وتأملها نوم بعناية، ثم قال لجولي:

"أنتك تصلحين لأن تكوني أميرة هندية، أسرتها قبيلة أخرى!"

وأوما إلى ليلي: وأنت الزعيم الشهير، الذي يحاول إنقاذها.

وكان لزاما أن يخطط التوأمين أخيهما بأحمر الشفاه، وتحمس جولي، وأخذت تعبت بشعر أختها الكبرى وهتفت تيس، مغتبطة:

"الآن تبدو هندية حقاً!"

وأقبلت تزين جبينها بنطاق من الريش، وأخذت ترمي خطوطاً على وجهها، غير آبه باحتياجها، وأنصاعت ليلي وهي تشعر بأنها ما كان ينبغي أن تفعل ذلك، وأتكات جولي على شجرة تفاح قديمة تتأملها صامتة، بينما غاب نوم لحظات، وعاد يحمل صندوقاً كبيراً من الورق المقوى، مصطحباً كيري التي بهتت لأول مرة، ثم انطلقت ضاحكة لزميلتها:

"ليتك ترين شكلك!"

جلس التوأمين القرفصاء حول الصندوق يتشاوران، بينما راحت جولي وكيري نظرات متبادلتان نظرات مغتبطة، تتمجلان الأحداث، وليلي ترمق الصغيرين بخذر، ثم رأت نوم يقبل بقطعة من الطباشير الأزرق، فيرسم خطاً عريضاً بعرض جبينها، وآخر على طول أنفها، وهي صامتة مستسلمة، ثم أحاط السروال الكاكي الذي كانت ترتديه بحزام جلدي، تدلت منه مديّة، وأعطاهم بلطة من الورق المقوى ووقف وتيس يتأملان نتيجة ما فعلا، وهتفت كيري وعيناها ترقصان:

القوية، والغم الدال على الحزم، والذقن الناطقة بعناد يكاد يبلغ درجة القسوة. وكانت بشرته شاحبة، لا عن مرض ولكن... كأنما كانت بحاجة إلى لمسة من الشمس أشد مما أتت خلال السنوات العشر الأخيرة. كانت عينا الأم أكثر خبرة من عيني الابنة، فلاحظت أموراً كثيرة ما كانت ليلي مدركة لها... فالغم الحازم كان حازماً عن قصد، كأنما صالحته سنوات من السيطرة العميقة على النفس، ومع ذلك فقد بقي ظل واحد من توجس يكاد يبلغ مبلغ التجهم الصبائي، وبقي النفوس الغريب لشفته العليا، الذي خيل لليلي يوماً على أنه شاهد على مشاعر قوية، وأستبعدته في الحال مستنكرة مجرد التفكير بهذا ولكن أمها رأت فيها أموراً أخرى... فها إذا رجل معتد وحيد، أصيب بجرح نفسي بالغ في وقت ما من الماضي، فأنطوى على نفسه متظاهراً بأنه فوق أن يصاب ثانية بجرح من نزوات الدنيا وقسوتها، وتجلّى للآم أن الكبت البارد الذي كسا قسماته وصوته ظاهرة غير طبيعية، فلم يساورها قلق مما قد يكون له من تأثير على ليلي، وعلى أي حال فإن شكله كان يتغير تماماً إذا ما أبتسم، ولعل هذه هي الناحية التي عرفت بها ليلي فيه.

قال روبر آذ انسابت السيارة الفخمة السوداء بهما:

"أجل ألا تكون خطيبتنا قد وقعت موقع مرة مفاجئة!"

فهيئت مرعريت رأسها، وقالت ضاحكة:

"هزة؟ الواقع لا أدري كيف أستطاعت أبنيتي التكتّم إلى هذا الحد!"

ومرة أخرى لمحت ومضة الابتسامة الدافئة التي كانت تغير شكله، وهو يقول:

"أجل ألا تحمليها في نفسك ضدي!"

فابتسمت وهي تهز رأسها ثانية، وقالت مطمئنة:

"سأصفح عنك..."

وعجبت من نفسها أن ليلي اوجت إليها بأنه كان جامداً... كان رجلاً فائناً بالرغم من الغم الحازم الذي كان يوحى بقسوة، لكنها أدركت بفريزتها أنها لا يمكن أن تكون قسوة ظالمة. كان رجلاً قادراً على أن يمزج الحزم باللطف. وأذ ذاك تبددت آخر هواجسها نحو الاختيار المفاجئ، الغريب الذي صدر عن ليلي فبالرغم من قصر عمر المعرفة، أدركت مرعريت أن روبر آذوريت كان أهلاً للثقة وأنه كفيل بأن يسعد ليلي.



"النتيجة النهائية تفوق ما يصدق العقل... هذا منظر جدير بالتسجيل". والتفت الى جولي، وقالت:  
"هل أحضر آلة التصوير؟"  
صاحت ليلى معترضة:  
"لا..."

ولكن الصغيرين أخذاً يلحان، فأنصاعت مرة أخرى، ودخلت كيري الدار لتخضّر آلة التصوير بينما استسلمت جولي وهي مستمتعة بما جرى للصغيرين اللذين أخذاً يوثقانها الى الشجرة بطريقة كان يوسعها أن تتحرر منها متى شاءت. وأبست ليلى وقالت للتوأمين، وهي ترفع البيلطة الورقية فوق رأس جولي:

"أتودان أن أقف مهددة، عند التقاط الصورة؟"

فصاحت جولي:

"المفترض أنك جئت لانقاذي".

وتأملت تيس المنظر ثم قالت لأختها الكبرى:

"أرى من الأفضل أن تتسلقي الشجرة".

وتحت الحاج الصغيرين، اضطرت لتسلق شجرة التفاح بمهارة اكتسبتها في ماضي السنين. وبسطت جسمها على أحد الفروع غير العالية، متمشئة بالشجرة باحدى يديها، ممسكة بالبيلطة الورقية باليد الاخرى.

\* \* \*

في تلك الاثناء، كانت كيري قد دخلت البيت، وعندها سمعت سيارة تقف في الخارج. وتناولت آلة التصوير، ثم خرجت معتقدة أن مرغريت ديموت قد عادت... وأنسعت حديثها ذمرا، حين رأت الشخص الذي كان يصحبها!  
هتفت مرغريت مبتسمة:

"مرحبا يا كيري! أظنك على معرفة بالسيد الدوريت".

وغص حلق كيري انفعالا، وكان رويز قد رآها في العمل طبعاً، ولكنه لم يولها انتباهه، أما الآن فقد أدرك أنها كانت مع ليلى في مقصورة المطعم، يوم أوسعته هذه انتقادا...  
نساءلت مرغريت:

"أين الفتاتان؟"

واضطرت كيري وهي مترددة الى أن تقول انهما في الحديقة، وأن هي اللحظة، حتى أنبعثت صيحة حرب.

منكرة، فضحكت مرغريت قائلة، وهي ترمق آلة التصوير:

"ألتقطان صوراً للهنديين؟"

فاقرت كيري ذلك متلعثمة، وهي تسأل نفسها... كيف تستطيع أن تنبه ليلى وقالت أخيراً:

"أرى من الأفضل أن أخبر ليلى بأنك رجعت..."

وفي هذه اللحظة أنبعثت صرخة من الحديقة، وبذت أنها صرخة ليلى، فقالت مرغريت ضاحكة:

"أذن فقد استدرجا ليلى الى إحدى العايبهما الهندية؟"

فقالت كيري تنبها، وهي ترمق رويز بنظرة جانبية:

"أجل... وقد أكسبها هيئة الهنود... يحسن أن أخبرها... أعني..."

ونظرت مرة أخرى نحو خطيب ليلى.

وهزت مرغريت رأسها، وقالت ضاحكة:

"أعتقد أن السيد الدوريت لن يمانع".

وأبست للرجل، وفي عينيها وميض مكر، وقالت:

"أنه منظر جدير بالمشاهدة حقاً... إذا كان شبيبها بما فعله بها التوأمين في آخر مرة..."

فقالت كيري في ارتباك:

"أنه أسوأ... ولكن مرغريت قالت:

"هذا أفضل، وتناولت آلة التصوير من كيري وهي تقول:

"وأنى أوافق على أن نلتقط لها صورة..."

وعندما خرج الثلاثة من البيت، كانت ليلى فوق الشجرة.

وهكذا وصلوا الى الحديقة في لحظة مثالية، ليرى رويز الدوريت أعجب منظر أذهله في حياته... فالى شجرة تفاح عتيقة، كانت ثمة فتاة حسناء جوثقة بطريقة بدائية، والريح تعبت بشعرها، وعلى وجهها تظاهر بالخوف تخالطه الرغبة لا تقاوم في الضحك، ومن خلف شجرتين صغيرتين برز وجهان صغيران مخططان بالاكوان، يعلوها ريش، ولكن المشهد الرابع هو الذي سبب الشعور بالمفاجأة المذهلة الواضحة على وجهه... فعلى أحد فروع الشجرة كانت سكرتيرته الكفء -

التي اعتادت السيطرة على نفسها - وقد تدلى شعرها البرونزي اللامع واصطبغ وجهها بالخطوط الحمراء والزرقاء.

والتفتت ليلى إذ سمعت أزيز آلة التصوير، فاذا الذعر يغمر فجأة الى عينيها وودت لو أنها تستطيع أن تفوص في جوف الشجرة... وأظلت غير مصدقة فالتفت بعيني رويز الدوريت

السوداوين اللذين تجلست فيهما، الدهشة الطاغية مع



انبساط لا سبيل لأنكاره \*

وأذ اقترب من الشجرة تحركت ليلي بغية الهرب بطريقة ماء ولو بالتسلق لارتفاع أكبر، والاختباء بين أوراق الأشجار، ولكن حيرتها وأرتباكها أفقدها توازنها... وحاولت أن تستعيد بالتثبيث باليد التي كانت تمسك بالبلطة الورقية... وأذ بها تهوى فيلقاها بين ذراعيه، وظلت لثانية واحدة بينهما وقد جمدا حراكهما من الصدمة... ثم أنتزعت نفسها متخلصة، وهي تغغم بكلمات غير واضحة، وجرت بكل ما أوتيت من قوة، فلم تتوقف إلا حين لاذت بحجرتها، وهناك، رأت لأول مرة كيف كان شكلها تماما!

كان البنتال والبلورة قديمين، وعليهما آثار من التربة خلقتها عنايتها بالحديقة، وبضع يقع من طلاء أخضر منذ ساهمت في طلاء الكاراج... وعلى كل شفة ثلاثة خطوط عريضة من طلاء الشفاد الأحمر، وشريطان أزرقان عبر الجبهة وخط يفرع إلى هندي حقيقي، بالإضافة إلى عصابة خضراء تلف الشعر البرونزي، وفوقها ريشة جائلة. وكانت المديّة تتأرجح عند خصرتها... وأنتبهت إذ ذاك فقط إلى أنها كانت مازالت قابضة على البلطة الورقية التي طليت باللونين الأحمر القاقع والأسود... كانت صورة غنية بالألوان غير التي اعتاد روبر أن يواجهها!

\* \* \*

ما لبثت أن ألفت بالبلطة، وجلست على السرير، وتملكها ضحك كضحك الأطفال. وهكذا وجدتني كيري حين دخلت الحجرة، فحملت فيها في البداية، مزعجة، ثم عاودتها الابتسامة إذ أبصرتها وقالت:

"الحق أن منظر عجب!"

فقلت ليلي وهي تكاد تبكي:

"ماذا تريئيني فأعلة يا كيري؟ لا أستطيع أن أنزل وأواجهه!"

فألت كيري:

"يبدو أنك مضطرة لذلك... أنني أسفة إذ لم أنذك، ولكن أمك سمعت ضيحات الحرب، فأدركت ما كان يجري، وظننت أن خطيبك العزيز سيعجب بالمنظر..."

فصرعت ليلي في الضحك ثانية، وهي تقول:

"ما رأييت على وجه أحد ما كان على وجهه من دهشة،

ولكنه ضحك!"

ونهبست فخلعت خزام: توم ومديته، ونزعت العصابة والربيش، وقالت وهي تغيب في الحمام:

"يحسن أن أشرع في إزالة أصباغ الحرب!"

وعادت بعد برهة، كانت بشرتها ناصعة لامعة، وخصلات شعرها متهدلة على كتفيها... فلما خلعت ثوبها، رأت صديقتها أنها كانت أكثر فتنة من أن ترتبط بزواج مصلحة، ولكن روبر الدوريت كما تبادر لذهنها كان أبعد ما يكون عن العذرية المزمته.

ورأقت كيري ليلي وهي تتناول تنورة سوداء وبلوزة بيضاء، ثم قالت مبتسمة:

"ألا ينبغي أن ترتدي شيئا أكثر أنوثة؟ أنك لست في المكتب الآن... والمفترض أنه الخبيب المفضل..."

فترددت ليلي لحظة، ثم أعادت القطعتين وتناولت ثوبا أكثر أنوثة، ذا لون أخضر ضاربا للأصفر اللامع، كان خير ما يبرز لون شعرها. ورأقتني كيري في تقدير، ملاحظة التصاق الثوب بقوام صديقتها المشقوق، بينما كانت ليلي تفكر في أن هذا كله كان عناية ضائعة بالنسبة لروبر، فما كان ليلاحظ أي اختلاف فيما ترتدي. كان بروس هو الجدير بأن تتأنق له، وليس الرجل البارد المواطف الذي ينتظر بالطابق الأسفل!

وألفت على كتفيها وشاحا، وتحولت تعنى بشعرها البرونزي البهي المتموج على ظهرها، ولكن كيري تناولت القرشاة منها، قائلة:

"دعي هذا لي، فذلك أسرع..."

وبعد فترة وجيزة، كان شعرها ناجا براقا معقوصا حول رأسها، وأكتسى وجهها بزيئة خفيفة ذات لون طبيعي. وتهيأت ليلي للنزول، وهي موجبة تماما... كيف سيقدر لها اقتناع أسرتها بأنها كانت تحب رجلا لا قيمة شخصية له لديها؟ والاسوأ أنه رجل مخلوق بارد من الناحية العاطفية، اعتاد أن يبعث فيها اضطرابا، كتلميذ يخشى أن يبدد عنه ما يعتبر قشة!

كان التلطف الوجيز الذي أبداه في أول صباح لخطبتها قد تلاشى، وعاد لطبيعته العادية إلى حد كبير، مما جعلها تسأل نفسها: عما كانت ستضادف في ذلك الصباح.

\* \* \*



غمغمت كيري، وهما تغادران الخجرة:

«اعاننا الله... أن نيس على الأقل بعيدة عن طريقنا»  
وتصاعدت صيحات التوأمين من الحديقة، فقد كانت لتيس  
عادة النطق بما يتبادر إلى ذهنها.

وأخذت ثوبها خفيفا وهي تهبط الدرجات... وشعرت أنه  
كان يجدر بها ارتداء هذا الثوب لبروس... وأحسبت بحنين  
يفوق ما كان يخالفها في أي يوم قبل اكتشافها حبه لستيل.  
كان الألم في أعماقها قاسيا، حادا، وساءلت نفسها:  
«هل ستكون مثل جانيس مارتن، تنحسر بقية عمرها على رجل  
ما كان من الممكن أن تحظى به».

لقد قادت جانيس مارتن، أن الزمن يلثم الجرح ولكن الوجد  
الصامت يظل كامنا حتى لحظة إثارة الكوامن. وكانت تلك هي  
اللحظة التي لا ينبغي لها أن تتذكرها. كان عليها أن تجبر  
نفسها على التسيان، بقدر ما تستطيع، وأن تركز اهتمامها  
على ما ينبغي أن تفعله. كان هذا صعبا والموقف على ما هو  
عليه، دون حنين إلى الرجل الذي أحبت، لا الرجل الذي  
تظاهرت بحبه، لأن عليها أن تكون اربع آداء من أية ممثلة.  
بل أن دورها أصعب إذ أنها تمثل في الحياة وليس على  
المسرح.

أجتازت اليهو وكيري إلى جوارها، ودخلت قاعة الجلوس  
الكبيرة وكانت دائما مريحة، نظيفة، يسودها جو البيت  
الحقيقي، بما للبيت من معنى الطمأنينة والسكن.  
وكان أبوها قد عاد في تلك الاثناء، وأنضم إلى الأسرة.  
ولاح أن رويز كان يتحدث إليه بقدر من عدم التكلف. ولكنه  
نهض واقفا إذ دخلت الفتاتان وعيناه السوداوان  
تأملانهما... كانت الرابطة الوثيقة بينهما واضحة له، ثم  
صادفت نظرتة عيني كيري، قرأ بأنها مثل ليلى لم تكن  
شديدة الاطمئنان إلى مقدرته على المشي في التنشيلية...  
كانت موزعة بين قلقها على ليلى، واستغرابها فكرة أن يقوم  
بدور كهذا. وتذكر كلمات سمعها في مقصورته بمطعم ريكي.  
أما ليلى، فكانت لا تجسر على النظر إليه، ولكنها لاحظت  
لأول وهلة بمجرد دخولها إذ رائته يتحدث مع أبيها، أنه كان ذا  
طباع لطيفة، إذا ما شاء أن يبدئها، وكان جذبا بدرجة غير  
عادية. وبذلت مجهودا لترسم ابتسامة على شفاهها،  
ولدهشتها إذا به يحييها بابتسامة كانت كمفاجأة اذهلتها،  
ولكنها مفاجأة سارة ولو أنها اضطربت لها قليلا... جا

كانت تصور قط أن تحدث ابتسامة كل هذا التغير... كانت  
ثمة مناسبات في العمل شهدته فيها يتسم، ولكن الابتسامة  
في هذه المرة كانت تنطوي على شيء مختلف بدرجة كبيرة،  
حتى أنها جعلت أنفاسها تتهدج بطريقة غريبة، وأوجت إليها  
بأنه يستطيع أن يكون خطرا على راحة بال أية امرأة يفنته  
السراء، ومغناطيسيته عندما يتسم.

وقال وهي تجاهد لتفقي من هزة ابتسامته غير المرتقية:  
«مساء الخير يا عزيزتي».

ولدا وكأنه كان يستخدم كلمة الاعزاز منذ سنوات  
طويلة... قد يكون استعملها لأنه لم يكن يعرف اسمها الأول،  
فقد كانت متأكدة من أنه لم يفكر فيها قط الا ك... أنسو  
ديرموت. ثم ليزيد من دهشتها جذبها إليه وأحاط كتفها  
بذراع مسيطرة نوعا ما وكان ذلك كان تصرفا طبيعيا بالنسبة  
إليه.

وأردف بلهجة جعلت الأسرة تضج بالضحك:  
«لعلك تعرفيني بالآنسة التي قابلتها فوق الشجرة منذ  
قليل».

فقالت وهي تحاول أن تألف ملمس ذراعه حول كتفها:  
«أرجو أن تنساها».

وضحكت بمرحبة قائلة، وهي تهز رأسها:  
«كلا... لقد اتقننا لها صورة جميلة، وسأعطي خطيبك نسخة  
منها».

وأجاب رويز:

«شكرا لك، أستطيع أن أبررها لها إذا حاولت الإسراف في  
الوقار فهي».

وابتسم لها، بالطريقة ذاتها، فضحكت ليلى باضطراب،  
وتخلصت من ذراعه بالجلوس على الأريكة.  
ضحكت أمها قائلة:

«أستطعن أن تقنعه بأنه لا يتزوج هندية حمراء، ولكن هذا  
تطلب جهدا».

وأثار قولها الضحك من جديد، فسرت ليلى لذلك، لأنه كان  
كفيلا بتهريب الارتباك والخمرة اللذين تجليا على أساريرها.  
وقد جلس رويز إلى جوارها، وأحاط كتفها مرة أخرى بذراعه  
بنفس الحركة الطبيعية، المسيطرة، وما كانت بقادرة على أن  
تتقبل الشعور بذراعه وهي متمالكة الجاش... ورادها  
اضطرابا غريبا وجوده قريبا منها.



حيك لها ، تود أن نسمع مزيداً عن المكسيك ، فصاحت مرعوبت  
وقد عرفت صوت ابنها الصغرى دون أن تلتفت اليها تيس  
كانت الصغيرة تجلس على حافة النافذة ، مدلية ساقيها داخل  
الغرفة ، وحول رأسها أحد اربطة عنق ابيها ، تلتصق به ريشة ،  
كان منظر تيس أو تيريزا ديموت مضحكا ، وأن لم يبلغ مبلغ  
اختها الكبرى قبل قليل ، وأبتسم رويز وهو يقول لها :

« ما ذا تودين أن تعرفي ؟ »

كانت ليلى جديرة بأن تنذره بأن اختها لا تقنع بالقليل .  
ورمقته تيس باهتمام صريح ، ثم انزلت عن النافذة ،  
واقتربت تتأمله عن قرب . وارتجفت ليلى أشفاقاً مما قد يصدر  
عن اختها التي لا سبيل لكبح جماحها ... وأخيراً قالت تيريزا  
الصغيرة :

« هل ينحدر أجدادك من سلالة الفاتحين ؟ »

« أجل ، كان منشي » فرعنا من الأسرة دون اكراغوير ويقال  
انني أشبهه نوعاً ما »

هتفت تيس عجباً ، وعادت تتأمله باهتمام وتساؤل ، وقالت :

« ما شكل قصركم ؟ »

قال :

« كاراسترانو ؟ »

وأبتسم بطريقة أنبات ليلى بأن أفكاره ارتدت الى هناك ،  
وقال :

« انه كبير مترامي الاطراف ، عتيق جداً ، تحف به الزهور من  
كل جانب . وفي الفناء الداخلي نافورة يبدو كأنها تغرد ، لني  
بالزهور ، لا سيما الورود لأن أمي كانت تحبها أكثر من  
الزهور ... كانت انكليزية ، ولكني لم أعرفها قط ، لأنها ماتت  
عند مولدي ... وأعتيل والذي بعدها ببضع سنوات »

وشعرت ليلى بجزع ، اذ سكث خشية أن تسأله تيس عما  
دعاه لترك موطنه والاقامة في انكلترا . ولكن الصغيرة قالت :

« وكأنها تسدي اليه صديقا : « أتود أن تحضر حفلة عيد  
ميلادي ؟ »

همت ليلى بأن تعتذر نيابة عنه ، ولكن رويز اذهشها اذ  
ابتسم تيس وقبل دعوتها بجدية رصينة قائلاً :

« شكرا يا آنسة ديموت ... يشرفني أن أحضر ، فلتلك  
تخبريني اذا كان جوعه »

وأطرب تيس أن يدعوها الآنسة ديموت ، ويادرت باخياره  
بأنها وضعته فعلا في قمة معارفها من الكبار . وفي اللحظة  
ذاتها ، التفت عينا ليلى بعيني خطيبها فابتسما ...

راحت مرعوبت ترمقها مبتسمة ... وأنا كانت قد لاحظت  
بعض التحفظ في مسلك ابنتها ، فكان من السهل تفسيره  
بأنها ما كانت ابدا ممن يكشفن عواطفهن أما الملام ... وأذهلت  
ليلى اراء التبسط الذي أنساق به رويز لدوره . وتبادلت مع  
كبري نظرة تظهر انها غير صادقة ، بينما قالت نظرة كبري  
صراحة : ما كنت أظنه ينطوي على شيء كهذا ... واعتزمت  
نظرة رويز نظراتها ، ولعل هذا ما دفعه بابتسامة مفاجئة الى  
فمه الخازم . وسرها وادهشها سهولة اندماجه مع أسرته ، فلم  
يبد أن أحدا جنهم كان يفكر في مركزه أو ثروته ، لهذا خلا  
الجو من أي توتر ... بينما تجلى عليه شيء من الجاذبية جعل  
نظراتها تتعلق به مبهورة رغما عنها .

★ ★ ★

تحول الحديث بعد فترة الى موضوع وطنه القديم ، فسألته  
مرعوبت بابتسامة :

« حدثنا عن بيتك في المكسيك ، أظنه كما قالت ليلى يسمى  
كاراسترانو »

فأومأ برأسه قائلاً :

« هذا صحيح . انني لم أره منذ عشر سنوات »

وشردت نظرات عينيه السوداوين بعيداً ، وأختلجت شفتاه  
بابتسامة شبه حزينة ، وكأنما نسي كل الموجودين ، وهو ينظر  
الى ماضي دفته . فقالت ليلى باندفاع لم تتحملكه :

« ما أحسبك نسيت ابداً ! »

التفت اليها وقد رقت نظراته بدرجة لم تكن تصدها ، فلم  
تدر اكان هذا جزءاً من التمثيل ، أم أنها كانت رقعة صادقة  
لأنه كان يفكر في شيء مهم له ... وقال بركة :

« كلا ، لم أنس قط ... وبدأ في عينيه السوداوين للحظة عابرة  
ألم مريم ، جعلها تود ان تهد اليه يدها ... وأزدد :

« ما أظنني سأنسى أبداً . وما كانت ثمة حاجة به لأن ينسى ،  
وقد آل قصر كاراسترانو اليه »

وما لبث أن ابتسم فأدركت في هذه المرة أن ابتسامته  
تظاهر لأنها كانت الابتسامة الدافئة التي كانت تثير فيها  
اضطراباً ، وقال :

« سنعود الى هناك معاً ، وهكذا أفضل بكثير من ذهابي وحيداً »  
وقطع الصمت صوت صغير سليل : عندما تفرغ من أبداً »



وبسبب النظرة الوجدية، والأيسامعة، أدركت ان الأمر لم يكن ادعاء، إذ شعرت بخجل لا تفسير له، غصت بصرها وبدلت موضوع الحديث.

وبعد تناول الشاي خرجت ليلى مع رويز الى البهو، وهو ما بدا ان الجميع توقعوه، كغنية منها في الفرار من الحرج، ورغبة منهم هم في ان يخلوا لهما الجو، لتودع ليلى خطيبها، ويادرت ليلى بأثارة موضوع عيد ميلاد تيس، فقال بصراحة: "أتريين الا أحضر؟"

وأجابته:

"كلا... كلا، طبعاً. انما عنيت انها لا تكاد تكون مناسبة مما يروق لك."

"لعلك لا تعرفين ما يروق لي... الا تريين هذا؟"

وظلت للحظة أنه ليس راعياً في الحضور، فقالت:

"بلى... لهذا اتيس لك الفرصة، أن شئت الرفض، وبوسعي أن ادعي اصابتك بانفلونزا طارئة، أن حفلات تيس عادة تنتهي بصخب."

فنظر اليها وأساريره تنم عما في نفسه، وسألها:

"أكان خطيبك السابق يحضر حفلاتها؟"

قلما أومأت بالإيجاب، قال بحزم قاطع:

"أذن فلست أرى ما يدعوني لرفض دعوة أختك."

وقالت في نفسها:

"أذن فلا يلومن الا نفسه، اذا تورط في دعايات تيس. على انها، وهي تفكر في إحدى اللعب المحببة الى أختها، رأت ان تبذل جهداً أخيراً لتحذيره."

"من ألعاب تيس المفضلة لعبة العقوبات فهي توجه أسئلة، بحيث تفرض عقوبات على أحد منا. وفي عيدها يطلق لها العنان أكثر من المعتاد، وأذا أمكن فنانا ننفذ كل ما تقضي به. وسيكون مرتقباً منك أن تحذو حذونا."

أبتسم وسألها:

"ما الذي تخافينه بوجه خاص؟"

فقالت:

"لا أدري... ولكن لا يستغرب من تيس أي شيء."

وتحولت نظرته اليها فجأة الى نظرة شافية، متفحصية، وقال:

"أذن سنحاول الاندع أسئلتها توقعنا. وهناك امر آخر... تمثيلنا هذا... عليك أن تكون أفضل أداء، والا كشفت

انه تظاهر وادعاء!"

تصرح وجه ليلى وقالت:

"أنني أسفة... من العسير..."

ومنعها صوته المتميز بشيء من السخرية، من أن تكبل، إذ قال:

"هذا صحيح، ولكنه كان اقتراحك، وليس لك ان تتراجعني في هذه المرحلة."

فنظرت اليه ورفعت رأسها في كبرياء، وقالت:

"ما كنت أفكر في التراجع يا سيد الدوريت. انني لا أبداً عادة الا ما أوقن أنني سأكمله."

قال في رفق:

"أنني متأكد من هذا."

ثم عاد يرمقها بتطفل ساخر بدا يضايقها، وأردف:

"أسجي على فكرة رويز... مثل لويس فيجا عدا تغير الحرفين الاول والأخير في كل منهما، وسيبدو مستغرباً أن تواصلني مخاطبتي بتكلف، لا سيما أمام اسرتك." وأومأت برأسها، وهي تشر بشيء من الحرج إذ تضطر لأن تناديه باسمه.

وفجأة قال وقد عاودته اللهجة الهائلة، وكأنه شعر بما ساورها:

"أنني أسمح لك تماماً ان تناديني به، ثم هناك أمر آخر."

ودس يده في جيبه، وأخرج علبة سوداء صغيرة، وحدثت بغريزتها ما جعلها تعقد يديها خلف ظهرها في حركة طفولية لم تستطع مقاومتها. كان تقديم الخاتم رمزاً للحب وعهداً للمستقبل، ولكن هذا الخاتم بالذات كان وجهاً آخر من وجوه الظاهر... كان الدليل الظاهري لصفة فارغة لم يعرف حقيقتها الا كيري طبعاً، وروس.

أرتفع الحاجبان الاسودان في استغراب هازيء واضح، وأمسك بأحدى يديه الرقيعتين رسغها الايسر، وقال:

"يؤسفني أنه شر محتوم. أنني أدرك هواجسك، ولكن لا داعي لا اعتباره رمزاً لا ارتباطاً."

فرفعت رأسها بتحد وهي تتسأل عما عساه كان يساور أفراد الأسرة لو رأوا هذا المشهد. رويز يقف محسكاً بمعضمها بأحدى يديه لا يفلته، بينما يمسك بيده الأخرى علبة وقد أرتفع غطاؤها عن خاتم ذي حجر من الياقوت العميق الزرقاء. وقالت أخيراً:

"ما كنت أفكر على هذا النحو... انما بدا لي أنه... تبيذير



"حسن. أترين من المناسب الآن أن أنصرف؟ أترينهم أنهم أفسدوا لنا وقتا كافيا؟"

وشعرت ليلى بالدم يتدفق الى وجهها ثانية، وسخطت في نفسها إذ خطر لها أن أي أخرى خليق بأن يظنها تلميذة طائشة... ما الذي أصاب هدوء أعصابها وأترانها اللذين اعتادت الاحتفاظ بهما مهما تكن الازمات؟

قالت في تردد:  
"أظن... أظن ذلك."

وأجفلت على الرغم منها، إذ هد بدا قوية الى شعرها، غصبت بتناسقه، قائلا في اقتضاب:

"هذه إضافة ضرورية! لا سيما لفئة المفترض أنها كانت تدوع الرجل الذي تحبه!"

وهرة أخرى شعرت بوجهها يتضرج، ولم تجد كلمة واحدة تقولها، وهي بعد تشعر بلمسة شغثيه الجادتين ليدها. وأخيرا، رفعت رأسها في كبرياء غير متعمدة، وقالت:

"طبعاً، إذا كنت تعتبر أن التأثير غير واقعي بدرجة كافية..."

لم تكن ثمة حاجة الى التوهم في صوته إذ قال:

"أنني أعتقد أنه واقعي بدرجة كافية."

وتلاشت تحت توهم صوته ونظراته الكبرياء التي خالطت صوتهما. بينما أردف هو:

"أذن، أرى الوقت قد حان لأقول... أديوس."

وذهل للمفاجأة مرة أخرى، إذ استعمل الكلمة الاسبانية للوداع، ومع ذلك فقد لاحظت مناسبة تماماً، في تلك اللحظة!

ردت ليلى بالكلمة ذاتها، وهي تعجب مما جعله يستعملها، فما عهدته ينثر الكلمات الاسبانية في حديثه. أترى فكرة العودة الى كراسراته تحطم حاجزاً ما؟ وأذا صبح هذا، فبماذا

كان خلف الحاجر؟ وقال:

"ليس لديك شيء آخر تضيفينه؟"

فقالت والخياء يغلبيها:

"أديوس... يا روبر."

وقفت بعد أنصرافه مستغرقة في التفكير، لا تدري حقيقة رأيها به. كانت الشخصية البارزة المتباعدة في المكتب

مألوفة لديها، حتى الطريقة الساخرة، الهازئة... أكان هكذا في كل معالقاته مع النساء، إذا تجاوزن التكلف المحض؟ ولكن

الشخصية الثالثة لروبير ألدوريت هي مبعث

لا داعي له...  
"ولكنني أظنك توافقين على أنه إجراء طبيعي... فستتوقع

أسرتك أن ترتدي خاتماً."

وأقرت رأيها وهي تقف بلا حراك بينما أحاط أصبعها

بإصبعها، بعكس ما توقعت من أن يعطيها العلية ويطلب منها

أن ترتدي الخاتم. كان هذا أكثر تمثيلاً مع اتفاقية المصلحة

التي أبرمتها معه، ولكن هذا لم يخطر له، وإذا كان قد خطر

فإنه أثر أن يتجاهله، لتكون الخطبة أقرب الى ما هو متعارف

عليه، وأدهشها أن الخاتم ناسب أصبعها تماماً، وكأنه صنع

خصيصاً لها!

قال وفي عينيه نظرة غامضة المعنى، وجدت أن من العسير

أن تصمد لها:

"أتمنى أن يكون قالاً حسناً..."

ولم يذكر لأي شيء هذا القول، ولكنه زادها ذهولاً إذ أنحنى

ومس بشغثيه النحيلتين يدها، قائلا بفكاهة ساخرة:

"وهذا أيضاً متعارف عليه عند تقديم خاتم الخطبة..."

بينما تحاشت ليلى النظر الى وجهه!

\*\*\*

تمتعت أخيراً:

"أنه خاتم جميل جداً!"

قال وفي صوته رنة التهكم ثانية:

"لعله كان ينبغي أن أقول أنني اخترته ليناسب لون عينيك..."

فعميت على الرغم منها:

"ما تصورت أنك تعرف لونهما!"

رفعت يده ذقنتها فجأة للحظة أمسكت فيها أنفاسها، إذ

خاضرتها فكرة رغاء بأنه يوشك أن يقلبها. ولكنه اكتفى بأن

يقسم في شيء من الاستهجان - أراه حدس ما جال بخاطرها -

وتركها قائلاً:

"لا بد أنني أعرف الآن أن لونهما لون الختم تماماً. أنتي على

الأقل لم أفكر في أنك قد تفضلين الباس..."

ما كانت تقفه يعرف شيء عما تفضله، ولا عن لون

عينيهما... كان أعجب رجل حقاً. وقالت متلثمة:

"أنني... أفضل الياقوت..."

قال وهو يوجه بصره الى باب قاعة الجلوس المغلق خلفهما:



الدهشة الكبرى لديها، شخصية مجهولة منها تماماً...  
شخصية الرجل الذي أنبسم لها في دفء متكاسل، والذي  
جعلتها لمستته تغفن بقوة إلى جاذبية شخصية شديدة، ما  
كانت تعلم أنه أوتيتها!

\*\*\*

كانت عينها توهجان باستغراب في التفكير، حين عادت  
إلى قاعة الجلوس لتقابل بنظرة مبتسمة من أمها، وهي  
تأذرها قائلة:  
"أعرف أنك ستوجهين سؤالاً لأمصاص منه، وسأوفر عليك  
العناء... أنني أميل إليه... كثيراً جداً..."  
فتحولت ليلى إلى أبيها تسأله:  
"وَأَنْتِ؟"

قال جون دبرموت، وهو يهز رأسه، مقطبا نوعاً ما:  
"رجل بدیع، لا أتمنى سوى أن أتأكد من أن الأمور ستنتهي  
خير انتهاءً بالنسبة لستيلا وبروس..."  
فسألته وهي تخرص على ألا يبدي صوتها الفضول العادي:  
"ولم لا؟"

قالت مرغریت:  
"أنا لم نصارك من قبل، ولكننا كنا نغير مطمئنين قليلاً  
حيثما خطبت إلى بروس..."  
فعدت ليلى تتسأل:  
"من حيث؟"

فقال أبوها:  
"لقد قلتها مرة من قبل، حين فسخت الخطبة... أنه ضعيف،  
يريد الاتكال على الناس..."  
فقالت:

"لم لاحظ هذا أبداً..."  
قالت أمها:  
"أنه شيء متوار، تحسبته أكثر مما تعرفيته عن يقين، لهذا  
دهشنا حين قيل أن ستيلا وقعت في هواه..."  
فقالت جولي:

"لعله دبر هذا اصطفاً..."  
فبادرت ليلى بالندفاع غير أرادي، وهي تتذكر ما رآته حين  
فتحت باب قاعة الجلوس بهدوء:  
"كلا... أعني أن هذا شيء سمعت ستيلا تقولهُ..."

وأذ نظروا إليها في تساؤل، لم تشأ أن تذكر لهم السبب  
الحقيقي في تأكيدها، وقالت:  
"لم أشك في البداية، ولكن الأمر تجلى لي فيما بعد..."  
علقت جولي قائلة:

"هذا غريب حقاً، عندما يفكر المرء فيه... ما تصورت قط أن  
ستيلا قد تود الزواج من شخص مثل بروس، ولكن، قد يكون  
هذا رد فعل لما تلقاه من الرجال الذين تمثل معهم..."  
وأضطرت ليلى لأصطناع ابتسامة واهنة، وهي لا تدري ما  
يدعوها لتقبل هذه الملاحظات عن بروس وهي ساكنة النفس،  
وماليت أن قالت:

"أعتقد أنه عادي... والأمر كما قلت رد فعل من ناحية  
ستيلا، ولكنني أثق بأن كل شيء سينتهي إلى خير نهاية..."  
وفكرت كيري مكتئبة:

"سينتهي إلى خير نهاية لستيلا، فهكذا حظها دائماً..."  
يبدو أن فكرة صغيرة، لحربية، خطرت لها في تلك اللحظة...  
كان من المؤسف أراء الإداء الذي مثل به رويز الدوريت دوره  
في ذلك اليوم ألا ينتهي الزواج إلى زواج حقيقي. إذا كان  
الرجل الذي رآوه في ذلك اليوم هو رويز الدوريت الحقيقي،  
وليس مجرد ممثل، فقد داخلها شعور بأنه كفيلاً بأن يفوق  
بروس بكثير في أسعاد ليلى.

ابتسمت مرغریت فجأة في تخابث، وقالت:  
"أليس صاحبك رويز فارساً أسبانياً عظيماً حقاً؟"  
فتصرح وجه ليلى وقالت:

"نعم، أراه كذلك. الواقع أنني ما لاحظت هذا من قبل. لقد  
أعتقد... أن يكون بارداً متباعداً، منطوياً، حتى أنك لتنسبين  
أنه نصف أسباني..."

فابتسمت جولي قائلة:  
"أراهن أنه يدعك الآن تنسين هذا..."

ما كان من سبيل لتفادي جزمة الخجل، وهي تتذكر الدفء  
الذي كان في عينيه اليسوداوين، والذي كان أبعد الأمور عن  
التوقع. وتساءلت كيري وهي ترمقها:  
"أصبح هذا؟"

والتفت نظرائهما، فابتسمت ليلى ابتسامة ضئيلة، وقالت:  
"لن أتكلّم!..."

ولكي توقف تدفق الأسئلة، أرثهم أخيراً خاتم الخطبة،  
وكانت حتى تلك اللحظة تبقي يدها متوارية لسبب لم



تدر كنهه، وهي خجلى مترددة، وصاحت جولي في أعجاب  
 ردهه الآخرون، وهم يتأملون الحجر الياقوتي المريع،  
 والحجرين الماسيين الدقيقين اللذين أحاطا به.

\*\*\*

عندما استلقت ليلى في فراشها في ذلك المساء وجدت  
 فكرها يستعيد كل دقيقة من تلك اللمسية - القارس العظيم  
 كما وصفته أمها، كيف سيكون في كاراسترانو؟ كان يبدو  
 بالتأكيد أنه يتمتع بالشهامة والمجاملة التي فطرت عليها  
 العائلات الإنسانية العريقة، ولكنه لم يؤت الخصلة الأخرى  
 التي أشتهر بها عنصره... ثم تذكرت اللجة الخاطفة التي  
 مرت بها في البهو، حين خالت أنه يوشك أن يقبلها... أكان  
 ذلك مجرد شوهم، أم أنها كانت نزوة لم ينشأ أن يستسلم  
 لها؟

ثم بدأت تتذكر الفكرة التي ساورتها قبيل انصرافه. أكان  
 التفكير في العودة إلى كاراسترانو يحطم حاجزا أخفى نفسه  
 وراءه خلال السنوات العشر التي قضاه في انكلترا؟ وإذا كان  
 الأمر كذلك، فكيف كانت حقيقته أكان الرجل اليارد المشاعر  
 المتباعد، الذي عرفته في العمل؟ أم الغريب الساخر؟ أو كان  
 هناك رويز أندوريت ثالث، ثم تحدث وجوده قط قبل اليوم، ولا  
 عرفت عنه سوى أنه كان قادرا على أن يبتسم وفي عينيه ذلك  
 الدفء التماسل؟

وعندها، فطنت إلى أنها ظيلة الوقت الذي قضاه معها، لم  
 تفكر في بروس، وكان هذا الحرب الأمور جميعا!

## ٦ - التوأمان

لم يرد أثناء العمل يوم الاثنين التالي أي ذكر للتمثيل الذي  
 أدياه بعد ظهر يوم السبت، فيما عدا تساؤل متهمك إذا كان  
 كل شيء في البيت على ما يرام، فاستطاعت ليلى أن تجيب  
 في رصانة كاملة بأن كل شيء بخير وعندها انغلق رويز على  
 نفسه، واستأنف أملا \* خطاباته. وفي وقت لاحق من ذلك  
 اليوم، أخبرها بأنه كان معترضا السفر إلى كاراسترانو في  
 يوم الأربعاء، وأنه كان يتوقع أن يغيب حوالي أسبوعين.  
 وتلقت ليلى هذا النبأ على الفور على أنه طريقته لتفادي حفلة  
 تيس، وهذا ما لم تلمه عليه، لأن أي أمرىء لم يأنف هذا  
 النوع من الأمور، كان خليقا بأن يراه ثقيلًا على أعصابه،  
 ولكنه يادر بتبديد هذه الفكرة، إذ أردف قائلا أنه عائد في  
 وقت مناسب لحضوره الحفلة!

جاء بروس بعد ظهر ذلك اليوم ببعض تقارير لرويز، كما  
 حدث حين التقت به لأول مرة. وحشدت ليلى صلابتها لتسيطر  
 على نفسها، ولكن السحر كان قد غاب للمرة الأولى، وقالت  
 في نفسها لعل هذا طبيعي، فأن السحر قد تهشم على أي حال  
 يوم عادت إلى البيت فوجدته وستيلا بين ذراعيه، وما خطر  
 لها أن ألم ذكرى تلك اللمسية لم يكن بالغ الخدد، أو أنها  
 تذكرت قول جانيس أن الزمن يلثم الجروح، إذا ما اتبحت له  
 فرصة مما خفف عليها.  
 وسألته:

"ألم تتلق بعد نبأ من ستيلا؟"

واستغربت في نفسها أنها استطاعت إطلاق السؤال دون  
 أنفه تهديج في صوته! فأجاب في شبه اكتئاب:

"كلا... بيد وأن خطابي لم يصلها بعد..."

فقالت تطحنه:

"لا تقلق، فهي ستلقاه، وعندها ستصل بك على الفور..."

وهزت رأسها، وأردفت:

"إنني أسفة لأنني لم أفاتحك في... في اليوم ذاته، ما كان  
 ينبغي أن أرجيء ذلك إلى أن ظننت أنني أوتيت عذرا



معقولاً لفسخ الخطبة !

وكاد بروس يقطب جبينه ولكن لسبب غير الذي خطر لها في البداية وقال:

"أنا لست مرتاحاً لما تفعلين، ألا بد لك من الزواج منه حقاً؟"  
فهزت كتفها قائلة:

"أحسبنا تحدثنا في هذا من قبل، فلسوف يسهل ذلك لستلانا  
الأمور، ولن يضيرني."

وأضافت محاولة أن تمزح:

"أنا في أية حال سأقضي بضعة أشهر للراحة في المكسيك  
دون مقابل."

قال في شيء من التجهم:

"أجل ألا يضيرك ذلك، ألا تدركين..."

فقاطعت بهذوء:

"أنك تعرف روبرت الدوريت ليس لدي أتفه شك في أنه سيلتزم  
بالالتفاق. ومهما يكن ما يخالجك حين ثرانا معاً، فثق أنه

مجرد تمثيل. وهو لم يتغير في الواقع لا يزال تحت مظهره  
بارد العواطف كالعهد به دائماً."

وسألت نفسها:

"تري ألم يتغير حقاً؟ كان هذا شيئاً لا تستطيع الجزم به..."

ووافقها بروس على مضض قائلاً:

"ربما ولكنني مازلت لا أرتاح لذلك..." سواء أرتاح أو لم يرتح.  
فلم يعد هناك ما يملك أن يفعله. لقد اختارت المخرج ورفضت

أن تعدل عنه. وقالت معقبة:

"على أية حال، فأنني حين قبلت الاتفاق وعدت بالأرجع عنه  
في اللحظة الأخيرة. أنه أوتى فترة معينة لتنفيذ شروط

الوصية بولو تخليت عنه فيكون عليه أن يبدأ من جديد."

"سيكون الوقت متسعاً ليبحث على سواك."

"ربما، ولكن ما من ضرورة لذلك، بجانب هذا، كيف تتقبل  
ستلانا الأمر في رأيك إذا أنا فسخت الخطبة إلى روبرت؟"

"لا بد من أن تفسخ بعد مدة لا بد من فسخ الزواج على الأقل."  
فهزت كتفها قائلة:

"سيكون هذا بعد شهر على الأقل، وكثير من الزوجات تنقسم  
بعد ثلاثة أشهر أو أربعة أشهر. ولا تنس أن لدي عذراً مشروفاً

تماماً. فإن روبرت في وسط لاتيني، ومع أنه قضى في انكلترا  
عشر سنوات، فسيكون من المفهوم أن تتجدد إذا ما عاد

للمكسيك كسل الأراء والأفكار القديمة. مما يسبب

عدم التكافؤ. أن للمكسيك تراثاً أسبانيا قويا، ولديهم آراء  
عن شعبية النساء للرجال. وأنا شديدة الاعتداد بالاستقلال.

أنني أكره خداع الأسرة طبعاً، ولكن... وتوقفت عن الكلام،  
وهزت كتفها ثانية. فتمتم بروس:

"ما أزال غير مستريح لذلك. وعلى أية حال، فليست أفهم كيف  
أقتنعت أسرتك بهذه السهولة. أنا شخصياً لم أقتنع."

"أنك تبين الحقيقة عفواً. ما كنت أعترض ذلك. أما بالنسبة  
إلى الأسرة... فأرجو ألا أجرح غرورك بنفسك إذا قلت أن في

المخيط سمكاً آخر، وهم يظنونني عثرت على واحدة."  
وتضرج وجهه في ارتباك، بينما أستطردت هي:

"ما كنت أقصد هنا، وأتينا كنت أمزح... ما قصدت أن تحمل  
قولي على هذا المحمل."

فتمتم وهو يغالب الارتباك:

"مازلت غير مستريح."

"ولا أنا... ولكنني ماضية في الاتفاق. لو كان في الأمر فتاة  
أخرى، لاكتفيت بفسخ الخطبة. ولكن لأنها ستلانا، فأنني

اعتزم أن أبذل كل ما يمكن لأجعل الأمور تسير نحو نهاية  
صحيحة. فلندع الأمور على هذا النحو..."

\*\*\*

أقرب يوم عيد ميلاد تيس وروبير مازال غائبا، واضطرت  
ليلي إلى أن تجعل الجميع يظنونهم رجل ليتفقد ممتلكاته،

خشية أن تكون ثمة ضرورة لبعض التعديلات قبل أن يذهبها  
إلى كاراستراتو. وما كان في الواقع قد قال شيئاً من هذا

القبيل، حتى أنه لم يخبرها بسبب ذهابه إلى هناك. ولكن  
هذا الايضاح بدا مناسباً إذا ما صادف أن سألها شخص ما.

وحان يوم الحفلة، وما من نيا من روبرت عن عودته. بل أنه  
لم يرجع إلى انكلترا في الليلة السابقة. وكانت ليلي تهز

كتفها في غير مبالاة إذا ما سئلت وتقول:

"أنني أتوقع وصوله في آخر لحظة."

ولم يعلق أحد على أنها لم تتلق منه خطابات، لأنها جعلت  
أهلها يعتقدون أنها تسلمت منه رسائل في المكتب. والواقع

أن الرسائل وصلت منه للمكتب، ولكنها كانت مقتصرة على  
العمل. ومع ذلك، فأنها حرصت على اختيار ثيابها وزينتها

كما يفترض في فتاة ترتقب خطيبها، بالرغم من أنها لم تكن  
متأكدة من قدمه. كان ثوبها في هذه المرة أزرق يضاهي لون

خبر الخاتم الذي أهذاها أباه، مما أبرز نائق زرقة عينيها.



وعندما نزلت الى اليهودي ابتسمت جولي، ثم ضمت شفيتها  
في صغير اعجاب وتحتمت:  
\*لا عجب في أنه قرر أنه لا يستطيع العودة الى المكسيك  
بدونك.\*

فاومأت ليلى مهددة في مزاج بأنها ستقتلها، مما جعل  
جولي تضحك.

كانت تتوقع وجود بروس الى جوارها، حين بدأت التذاير  
للحفلة قبل مدة في حين أن رويز الدوريت هو الذي سيقوم  
بدور الخطيب الولهان الآن، وياد أن الكلمتان الاخيرتان اثارتا  
تحملا وعجبا... أما العجب فلأنها الى وقت قصير ما كانت  
تتصور أنه أوتى اقل فكرة عن أداء دور كهذا... أما القملل  
فلأنه كان عليها هي الاخرى ان تقوم بدور الخطيبة الولهانة.

وكان خليفا بتيس وقد أقامت حفلة للاطفال بعد الظهر أن  
تكون متعبة، مهياة للنوم، ولكن أمورا كهذه كانت مستبعدة  
التوقع من الانسة تيريزا ديرموت. بل أنها في الواقع كانت  
أكثر أشراقا مما أستيقظت في الصباح، وفي أوج النشاط،  
وأن لاحت وتوأمها في تلك اللحظة غير طبيعيين... كانا في  
نظافة تامة، وشعر منسق ولكن الى متى كان مرتقبا لهذه  
الحال ان تدوم. كان الكل يسهونها حفلة تيس ولكنها في  
الواقع كانت حفلتها معا، ومع أن توم كان يبدي ضجرا  
الحفلات، زاعما أنها تليق بالفتيات، وتاركة أخته توجه  
الدعوات، فكان بالطبع يود حضور الحفلة.

عندما دخلت ليلى غرفة الجلوس، كان الصغيران يركعان  
على الاريغة، وانتهما ملتصقا بزجاج النافذة، بينما كانت  
مرغريت ترتب الحجرة. وفجأة أطلق توم صيحة انفعل  
واعجاب:

\*يا لها من سيارة ممتازة!\*

فاضافت تيس:

\*أنها تقف هنا.\*

وما كان الثوأمان قد رأيا سيارة رويز في زيارته السالفة إذ  
كانا في الحديقة عند وصوله وعند رحيله. وكانت سيارة  
جديرة بالاعجاب... فخمة، غالية، دون ما تبهرج وفخخة،  
كما كانت ثيابه. كانت تلك الاشياء هي التي تذكر ليلى بين  
أن وآخر بأنه واسع الثراء.

قالت مرغريت لا ينبتها:

\*يحسن ان تذهبي لاستقباله يا عزيزتي... كانت فتية

لها فرصة لثخية الرجل الذي كان مفترضا أنها تحبه، بعيدا  
عن عيون الباقين، وأحمر وجه ليلى إذ أدركت ما تعنيه اميا.  
وزادها ارتباكاً ان لمحت جولي تبسم، وكان من الأفضل  
أنها لم تنتبه الى النظرة التي قفزت فجأة الى عيني صغرى  
بنات ديرموت. وأذ خرجت ليلى الى اليهود وأغلقت الباب  
خلفها، تسلك تيس من أحد أبواب الحديقة الخلفية فاخفت  
فجأة... وعادت تدخل الدار من باب المطبخ، وترحف في  
حرص خلال الردهة المؤدية الى اليهود.

شعرت ليلى إذ فتحت الباب للرجل الطويل، الاسمر الذي  
ترجل من السيارة الفخمة بشيء من الدهشة إذ بدا متغيراً.  
فان الاسبوعين اللذين قضاهما في كاراسترانو زادا من سرعة  
بشرته، وهتفت في أرتباك:

\*أذن فقد عدت في الوقت المناسب؟\*

فقال:

\*لقد قلت أنني سأعود في الوقت المناسب...\*

وكانها كان قوله إذ ذاك فصلاً. ثم أردف بابتسامة  
اضطربت لها:

\*أنك تبدين جميلة جداً هذا المساء...\*

فشهقت ليلى وشعرت بالدفع يتصاعد الى جبينها، وهي  
تسائل نفسها عما دعاه لهذا القول... ثم تשמع ليلى بأختها  
تراقبها في حين أن رويز لمح الوجه الصغير يسترق النظر.

أخاط رويز كنفي ليلى بذراعه، وكأنه يهم بالتوجه الى  
قاعة الجلوس، وأذا بصوت رفيع، ثقله خيبة الرجاء: أن  
تقبلها؟ هكذا كان بروس يفعل دائماً!

ودت ليلى لو تصفع أختها، برغم حبها لها، ولكن صوتها  
نهبها على الاقل الى التصرف الذي أذهلها من رويز... وراقبت  
وهي مبهورة بسهولة سيطرته على الموقف، قائلاً هذا لا يجوز  
على مشهد منك. ولاح أن تيس رأت هذا الجواب معقولا،  
فقالت:

\*أذن فسأصرف...\*

استدارت ليلى لتتأكد من ابتعاد الصغيرة عن مرعى النظر  
والسمع، ثم التفتت الى رويز وقالت:

\*أرجو ألا تلقى يالا الى تيس. أنها مغطورة على الجهر برأيها  
في أي وقت، وبما أنها تعرف أننا مخطوبان، فأنها...\*

وامسكت حائرة، فأكمل عبارتها والنهكم في عينيه:

\*تتوقع أن ترى مظهرها لذلك؟\*



"لعله كان جديرا بي أن أمر بصنع شيء لهدام جيرونيوم!"  
وهتفت راجية، وهي تعجب كيف عرف الاسم الذي ابتكرته  
لها كيري في ذلك المشهد:  
"لا... أرجوك، دعها تمت خريا وخيلا."  
فصاح وهو بعد محتفظ بالابتسامة الخالية من التهكم:  
"لماذا؟ بل أوقن أنها جديرة بالتسجيل للأجيال المقبلة."  
"كان الأفضل أن تغوص في الشجرة وتغيب عن الإبصار إذ  
ذلك".

قال بصوت خافت لم يسمعه سواها:  
"يسرني أنها لم تفعل!"

كان الآخرون متصرفين إلى الصغيرين وقد ارتدى الحداثيين،  
وراها يطوفان بالحجرة وأردف قائلا:  
"أنني أعجبت بما رأيت إذ ذاك."  
قالت بصوت هامس:

"بهذه البشاعة المفضية بالألوان؟"  
قال برقة:

"الفتاة التي تحت الخضاب هي المهمة. أتعرفين ما كنت  
أظنه قبل ذلك؟"

فهزت رأسها، شبه مسحورة بينما استطرد قائلا:

"كنت أظن سكرتيري من الكمال بدرجة لا تجعلها من البشر،  
كفاءة فوق ما ينبغي، خلو من الشوائب والنقائص. ثم قابلته  
فتاة مختلفة كل الاختلاف، فتاة مستعدة لأن تفسخ خطبتها  
لتسعد اختها، وتأبى وأن شقيت أن يشعر أحد أنها تبادت في  
الضحية لكي لا يشوب شيء هناة اختها، بل أنها لتحارس  
العاب الأطفال مع أخيها وأختها الصغيرين".

وقفت ليلى لحظة مسحورة ونظراتها لا تفقه ما كان يدور  
حولها... ثم دوى رنين جرس الباب، فتحولت إلى البهو في  
ارتياح، قائلة وهي تقدم أمتها عن الذهاب للباب:

"لا بد أن هذه كيري".

ووقفت في البهو ثانية، وكأنها تفيق من أغفاعة السحر ثم  
فتحت الباب، فإذا كيري تحيها بابتسامة عريضة، وهي  
تقول:

"أذن فصاحب السيادة هنا؟ كيف تسير الأمور؟"

قالت في تردد، وهي لتذكر عباراته الغريبة الأخيرة:

"أنني لا أستطيع أن أفهم تماما".

فعلقت كيري في اقتضاب:

"أهناك تقصير من ناحيته؟ كان يجب أن نتوقع هذا..."

هزت ليلى رأسها، وهي تعجب من أمر تيس، فما كان من  
عادتها أن تنسل لتسترق النظر إلى الناس، ومن ثم فلا بد  
أن في رأسها شيئا يتخمر، وما كانت تحب أن تفكر في  
كنهه. فكل شيء يحتفل جدونه من تيس، لا سيما في عيد  
ميلاده، إذ تطلق لها الحرية أكثر مما تطلق في أي وقت آخر.  
ما أن دخلا الحجرة، حتى توجهت عيون الجميع إليهما كانت  
تيس قد عادت إلى الحجرة، حين غاب رجاؤهما في مشاهدة  
موقف غرامي.

ابتسمت مرغريت إذ دخل رويز، قائلة:

"أذن فقد قررت أن نخوض المجازفة. أننا نقول دائما، أن من  
يخرج من حفلات تيس سالما، يكون قد تدرب على أن يخرج  
سالما من أي شيء، حتى القتال الذرية".

فضحك رويز قائلا:

"أذن فهذه مقدرة ثمينة ينبغي للمرء اكتسابها".

وحينه جولي في رزاة أكثر مما كانت في العادة، ولكن  
روحها المتوثبة ما كانت تسمح لها بأن تبقى طويلا مرتبكة أو  
مبهورة بأن أختها خطيبة صاحب ميريديت. فما لبثت بعد  
فترة أن أصبحت أكثر من أختها نفسها تبسطا معه. وظل توم  
ملتصقا أنفه بزجاج النافذة، يتأمل بأعجاب صامت السيارة  
المعلقة الالامعة، مكتفيا بالفتاة وجيرة إلى رويز عند دخوله.

أما تيس فكانت على النقيض، ولسبب كان يقلقها وتجت  
ليلى صادقة أن تكتمه في نفسها، راحت تحمق في أختها  
ورويز باهتمام ملح، وتوقع، ورجت ليلى وهي التي تعرفها حق  
المعرفة ألا يكون أمر مستهجن يدور في رأسها.

وبعد برهة قدم رويز حزمة أجذبت أنظار الخوامين... حيث  
ضمت زوجين من الاودية الحقيقية للهنود الحمر، كان قد أمر  
بصنعهما لهما أثناء رحلته! فطلعت إليه ليلى خلسة وفي  
عينيهما دهشة وتساؤل... أنه لم يخرس على العودة في  
الموعد المناسب فحسب، لكي لا يخيب رجاء ولد وبنت  
صغيرين، بل أنه تجشم عناء تدبير صنع الحداثيين خصيصا  
لهما... فتذكرا ولا ريب أغارتهما الهندية. هل تذكر كذلك  
هندية أخرى كانت معها؟ تلك التي كانت على فرع من شجرة  
الثفاح وموت لتلققها ذراعاه؟

التفت فجأة، فرأى نظراتها... ودلت أساريره على أنه  
تذكرها. إذ شامت في وجهه ابتسامة مداعبة، لا تشبه في  
شيء الابتسامة المتهمكة التي رمقها بها في البهو، وقال:



وأن كان قد أدى تمثيلاً جيداً في المرة السابقة.

هزت ليلي رأسها بإبتسامة خائفة، وقالت:

"كلا... لا شيء من هذا إطلاقاً. الواقع أنه أحسن أداء منه

في المرة الماضية!"

"أذن، فما المشكلة؟"

"لا أدري... لعل خيالي هو الذي يصور لي هذا."

ما كان يوسعها أن تقرأ حتى أمام كيري بأنها كانت تزدد

شعوراً به كرجل فائن.

"هل قالت تيس شيئاً منكراً؟"

عندما دخلتا الغرفة وجدت كيري نظراتها تنحصر إلى الرجل،

محاولة اكتشاف أي اختلاف طرأ عليه، كان جذاباً دائماً،

ولكنه بدا في هذه المرة - مفعماً بالحيوية، تشعر النساء

بجاذبيته المتوارية، بدلاً من عدم المبالاة والبرود اللذين كانا

يسببان الانكماش عنه. كانت حيويته السراة خطيرة جلية،

كما وصفتها لنفسها. لعل هذا كان الاختلاف الذي استشعرته

ليلي ولم تستطع أن تفهمه، ولعلها كانت بعد لا تزال على حب

بروس، ولكن رويز أتدوربت أصبح من ذلك الصنف من الرجال

الذي يجتذب من المرأة نظرة ثانية، ثم يظل في أفكارها بعد

ذلك.

\*\*\*

صبح ما حذرت ليلي منه رويز. فان تيس ما لبثت أن قررت

أنها تريد لعبة العقوبات. كان عقلها قد شغل بالهدية لغفلة،

ثم ارتد إلى فكرة تملكها في وقت مبكر وتوقعت واليوم عيد

ميلادها أن يباح لها توقيع ما تشاء من عقوبات، إذا أوقعت

بهم. وحذرتهما أمها قائلة:

"في نطاق المعقول" وبهذا بدأت اللعبة.

قالت تيس لرويز:

"ستبدأ بك، فما أحسبك لعبتها من قبل، لهذا فسأخبرك بما

يجري. سأوجه إليك بعض الأسئلة، فإذا لم تستطع الإجابة

عن أحدها، أو باغتنك وأنت تفش، فسأوقع عليك عقوبة."

هز رأسه وقال مبتسماً:

"ولكن لا تكوني شديدة القسوة علي."

فقالت متفضلة:

"سنبدأ بسؤال سهل كم عمرك؟"

أجاب:

"أربعة وثلاثون عاماً."

"أين ولدت؟"

"في كاراستراتو."

قالت ليلي لنفسها، لا ضير إلى الآن... وإذا تيس تقول:

"هل خطبت من قبل؟"

كان كل امرئ يعرف أن ليلي خطبت من قبل، فلم تر تيس

ما يدعو لأن يتحرج إذا كان هو الآخر قد خطب مرة. وجمد رويز

لحظة، وتردد، ولكنه في النهاية قال متباطئاً:

"نعم... خطبت مرة من قبل."

رفقته ليلي ولكن أسأريه لم تفصح عن شيء. أذن، فقد

كان في ماضيه شيء جعل ذلك الحاجز الصلب حوله. سأنته

تيس بختة:

"كم عمر ليلي؟"

وبدا عليه الجهل فوراً. وشرعت ليلي تشير له بأصبعها في

تلهف، إذ كانت تعرف عقوبة تيس. ولكن الصغيرة أعترضت،

وعادت تلتفت إلى رويز مؤنية وقالت:

"أذن فأنت لا تعرف عمر خطيبتك؟" أذن فأعلم أنه خمس

وعشرون عاماً.

وهزت رأسها بما أوحى إلى ليلي بما عزز شكوكها. وقالت

تيس تدعم رأيها:

"سأدخر العقاب إلى ما بعد. الآن دور ليلي."

وانتهيت ليلي إلى إجاباتها بخرص مدركة أنها إذا

استطاعت أن تتجاوز الحد الزمني لأسئلة تيس، فستكون في

مأمن. كان الخطر الحقيقي في الافتقار لمعلومات تجيب بها،

كما حدث لرويز بالنسبة لعمرها، وأخذت تيس تطلق أسئلتها

بسرعة لتربك اختها:

"كم قضيت في العمل بالمصنع؟"

وأجابت ليلي:

"ثلاث سنوات."

"أين كنت تعملين قبل ذلك؟"

ولما أجابت ليلي، عادت الصغيرة تسألها:

"وقبل ذلك؟"

"كنت في المدرسة."

كانت تيس تعرف كل هذا، ولكنها كانت تستدرج ليلي بمكر

إلى شعور زائف بالأمان. ثم سألتها:

"هل قبلك يوماً أي شخص عدا بروس؟"



أنا خجلي.

ورمته ليلى بجانب عينيها، فأنفته يبدو مأخوذاً في أنيساط. كان هو الذي اتهمها بأنها التي تجد أن التظاهر صعب الاداء، وما هوذا يكرر الاتهام في صمت، وسرها أن ستلا وبروس لم يكونا حاضرين، والا لتساءلا في نفسيهما ستيلا على الأقل من حقيقة موقفهما، لا سيما وأنها قالت أن أحداً غير بروس لم يقبلها. وأرشاحت حيث سمعت أمها تعنف تيس بشدة.

ومع أن الأمسية استمرت بعد ذلك بشكل مرض فإن ليلى كانت تشعر يظل من القلق يكتنف أمها. فأدركت أن أمها كانت تسأل نفسها عما إذا كان ثمة داع لرفض أينتها تقبيل الرجل الجالس إلى جوارها. وتمنت ليلى أن ذلك لو تركته يقبلها، ولكن هذا بدا مستحيلاً إذ ذلك. ولقد علق رويز على ذلك فيها بعد كما توقعت وأن لم يبد أية حركة لمساعدتها في الخروج من المازق في ذلك الوقت.

كانا يقفان في البهو حيث تركهما الآخرون للحظات الموداع كالعادة. وفجأة، رأت ليلى حاجبيه الاسودين يرتفعان في اهتمام ساخر أصبح مألوفاً وقال:

أنتي أسأل مرة أخرى من هنا يجد هذا التظاهر صعباً؟

أحمر وجه ليلى وقالت محتجة:

تقبيل أي شخص على مرأى من الناس صعب بطبيعته، فما بالك إذا كان شخصاً؟

وتوقفت محرجة، فتولي اكمال العبارة عنها:

لم يسبق لك تقبيله؟

خرجت مرعيت ومعهما كيري بعد خمس دقائق، فوجدتا ليلى تفف جامدة في البهو. وقالت الأم ضاحكة:

أفيقي يا حبيبتي. أنك تبدين مذهولة!

وأجفلت ليلى ثم تدافع الدم إلى وجهها، والتفتت إلى أمها. وظهرت جولي وكأنها اجتذبتها ضحك أمها وقالت ليلى:

ما سمعت خروجك!

فابتسمت مرعيت وقالت مداعبة:

لا تنزعجي، فقد أتينا للتو، حين سمعنا سيارته تنطلق.

تمغمت ليلى بشيء غير واضح، وأسمرت تغادر المكان.

\*\*\*

ظلت ليلى مستلقية على فراشها معظم الليل، تحاول أن تستبين كنه ما حدث، طيلة عمرها لم تشعر بكيانها

قالت ليلى بصدق تام:

كلا. ما كان أحد يلقي هذا السؤال سوى تيس وما كان ينبغي في الواقع أن ينطق به لسانها الشيطاني.

ولكن جوابها كان أسوأ، فقد كان غير صادق، في رأي بقية الموجودين، إذ لابد أن رويز قد قبلها بوصفه خطيبها.

وبادرت تعدل أجابتها:

أقصد. نعم.

ورمقتها تيس متشفية وهي تدرك أنها الفائزة، وقالت:

ليس المهم ما قصدت، أنها الأهمية لما قلت.

وتماست ليلى أنتظاراً لما يعقب ذلك. وأخيراً قالت تيس بجدية:

أظنك تعرفين أنني أولف كتاباً.

وكانت الأسرة قد صادفت دليلاً كافياً، ممثلاً في أوراق متناثرة في كل مكان تحفل بخطأ العشوائي، الذي لم يجعل الامر سفاضة تذكر، واستأنفت أبنة السنوات العشر المذهلة:

ولكني أعاني صعوبة أزاء مشاهد الحب. وكأنما ران على قلب ليلى ثقل من الرصاص هوى به في شدة. أنها ما كانت بحاجة للذكاء لتعرف ما سيتلو ذلك، وأكملت تيس حديثها، وهي تنظر لأختها ورويز في أمل:

خطر لي أنكما قد لا تمانعان في عرض هذه المشاهد.

\*\*\*

جلست ليلى جامدة وعقلها يعمل، محاولاً التفكير في مخرج. كان بوسعها أن ترفض، وقد أدركت لماذا تسلمت تيس إلى البهو، عند وصول رويز. أخيراً قالت بحزم:

لن أفعل شيئاً كهذا، اختاري أي عقاب آخر. فأجابته تيس في عناد:

ولماذا؟ إن اللعبة قواعد.

ثم تقو ليلى على النظر إلى رويز في تلك اللحظة، ولو كان في ذلك حياتها وواتها الرد، فقالت متظاهرة بالمرح:

لن يعطيك هذا فكرة صحيحة، فإن وجود جمع.

فاتمت لها تيس عبارتها وكأنها خبيرة:

أتعنين أنه يقيد خريتكما؟ صحيح. ما رأيك؟ أي أخرى؟

جدير بأن يظنك لم تقبله من قبل.

قال رويز:



مهتزا بهذه الدرجة وكان أعجب ما في الأمر أن روبرت الدوريت هو الذي فعل بها هذا .

ولم يكن قلبها مرتاحا في الواقع إلى أن تكون باقية على حب بروس، وتنبر مسحورة برجل آخر، ولم يكن لديها آتفه فكرة عما كان يقوله لها، عندما افلتها في النهاية من ذراعيه . كانت هناك صورة باهتة له وهو ينظر إليها، بنظرات غريبة باحثة، ثم يغغم بكلمات لم تذكرها، ويستدير حينئذ . ولم يعد إلى ذهنها شيء من التماسك وأدراك الواقع، إلا حين خرجت الأخريات إلى البهو، وأن ظلت أعصابها تشد وتغرد حتى الآن، وبعد انقضاء ساعات .

وعندما تبينت أن عليها أن تواجه روبرت وذكرى هذه الالهسية بينهما، بدا لها الأمر مروعا . ولكنها لم تكن بحاجة للقلق، إذ بدا حين رآته كأن كان شيئا لم يحدث . فقد استدعاه إلى مكتبه، وأملى عليها خطابات كما اعتاد أن يفعل طيلة ثلاث سنوات، غير أنها لم تدر أنه بعد أنصرافها مسرورة بأنها استطاعت الحفاظ على رصانتها ووزانتها المعهودين، جلس لحظات طويلة يحرق في الباب الذي خرجت منه، وقد ارتفع حاجباه الاسودان في تعقيب خفيف .

وكان من الطبيعي أن تلثقي بكيري، في وقت لاحق من ذلك اليوم . ومع أن صديقتهما تأملتها بنظرة غريبة، فإنها أعرضت عن ذكر شيء عن التعبير الذي حملته وجه ليلى في المساء السابق، وأن كانت لابد قد أدركت كما أدرك الآخرون معناه . أما بالنسبة إلى بروس، فقد سرها وأن استنكرت ذلك في نفسها، أن ألم فقده أخذ يخيو بسرعة . وكان الاستنكار لأنها ما كانت تعتقد أنها تقبل على الحب بهذه البساطة والسرور . . . كانت تظن في البداية أنها ستعيش على حين إلى شيء لاسبيل لأن تحظى به، كما فعلت جاتيس، غير أن القدر فيما يبدو قرر غير ذلك، وما كانت تملك سوى أن تحمد له ذلك ولو أنها شعرت بشيء من الاستعزاز من نفسها، لأنها كانت موقنة من قبل بأن الحياة بدون بروس خواء .

وشرعت تسأل نفسها، عما جعل الأمر يحدث هكذا فجأة، بيد أنها وبأ اللقابة لم توغل في هذا التفكير طويلا، إذ تراءى لها أن فيه شيئا من الخطورة، وأنها ما كانت راغبة في مواجهة هذا الخطر أيا يكون في الوقت الراهن !

## ٧ - ردة الفعل

لا حاجة إلى شرح مدي غضب ستيل، حين وصل إليها خطاب بروس في النهاية . ضاقت العينان الجميلتان، وعلت الشفتين الرقيقتين قسوة للحظة . وبدت شرسة، ضاربة، مختلفة كل الاختلاف عن الحسنة الفاتنة التي عرفتها الدنيا . . . وبدت حقارة لما كان بعض الناس مثل كيري يرونه المخلوق الحقيقي الذي يتوارى تحت كل اللطف والسحر والحسن البدني المفرط .

وتمتعت في حق:

"اللجنة على الأغبياء !"

كان بروس آخر رجل تود أن ترتبط به . وكان بوسعها أن تتخلص منه بسهولة، ولكن هذا كان سيكتشف حقيقتها، وهي الحريصة لغرورها على الاحتفاظ باللطف الظاهري الذي كان الكل يعرفونه عنها . لم يكن لديها شعور مميز نحو أسرتها تماما كما استشفت كيري من قبل ولكن أعجابهم الشديد بها كان متعة لها وضرورة، ولكن ما الذي دعا ليلى لأن تختار هذه اللحظة المعينة بالذات لتفسخ خطبتها؟ كانت هذه أبعد اللحظات عن أن تناسب أختها . فكان على ستيل الآن أن تهتدي إلى مخرج لا يضر ولا يبدد شيئا من الإعجاب الطافي الذي كان ضرورة ماسة لغرورها .

لم يعد ثمة مجال لرفض الزواج بروس، بخجة أنها لا تستطيع أيداء مشاعر أختها، وهي الخجة التي ضدها بها من قبل، لأن ليلى لم تكن تحب بروس، أو تراها . كانت تحبه، وساورها ريب ما . . . أم الخبيثة كيري أخبرتها بشيء؟ ذلك أن ستيل لم تكن تجهل ن كيري كانت تكرهها؟ وهكذا أخذت كلما امعنت التفكير تزداد اقتناعا بأن هذا كان تفسيرها ما حدث وأن من الغباء أن تضحي بذاتها، ولكن إذا كان الأمر كذلك، فمن أين دخل ذلك الرجل المدعو روبرت الدوريت؟ كان من المفترض أن ليلى عانت من حب لا يلقى استجابة أو جزاء، طيلة عملها لحسابه، ولكن الامعان في التفكير كان يبين لستيل أن الأرجح أن ليلى اكتشفت بطريقة ما أمرها



مع بروس، وكانت تقوم بتوضيح ذاتية لتهون الأمر على أختها، وأن الأراجيح أن الدوريت هو الذي كان يخفي حبا ميؤوساً منه فلما سمع يفسخ خطبة ليلي، أسرع باقتناصها... وبغض النظر عن هذا، كان يبدو أن ليلي قد أحسنت إلى نفسها، إذ كان الشائع أن الرجل كان واسع الثراء... واستقر رأي ستيل على أن الشيء الوحيد الذي ينبغي أن تفعله، هو أن تزور أسيرتها، وأن تحاول استخلاص ما حدث فعلاً، وأن تصلح إذا استطاعت ما بين بروس وأختها وأن تساعد في سياق ذلك بينها وبين الدوريت، ولم تنقص ساعات، حتى كانت سيارتها الزرقاء تقف أمام البيت العتيق الذي ترعرعت فيه.

\* \* \*

كانت مرغريت هي التي فتحت الباب، فبدت مشدودة إذ رأت أختها الشهيرة، ولكن وجهها أشرق بابتسامة مقبضة بمجرد المفاجأة، وقالت:

"هذه مفاجأة بديعة يا خبيثتي!"

تخلصت ستيل من عناق أمها، ودخلت معها حجرة الجلوس الصغيرة، مصطنعة ظاهراً جميلاً بالقلق والارتعاج... فسألتها مرغريت:

"هل هناك ما يسوؤك؟"

فالتفت إليها ستيل بحركة تمثيلية وقالت:

"موضوع بروس طبعاً..."

فابتسمت مرغريت قائلة:

"أهذا ما يزعجك؟"

ثم ضحكت بارتياح، قائلة:

"لا تشغلي بالك بهذا البتة. أن ليلي سعيدة كل السعادة مع خطيبها روبرت الدوريت..."

"ليشني أستطيع أن أتأكد من هذا! لست أحب لها أن تتزوج من شخص قبيح من أبناء أميركا الجنوبية لا تطيق أن تراه، وذلك يسيي..."

عادت مرغريت تضحك، وقالت: ما كنت لتقولين هذا لو رأيته وأنا على يقين بأن يجعل قلبك الذي حنكته التجارب يخفق، ولو كان مستغرقاً في حب بروس! وكانت كيري جديرة بأن تطمئنئها إلى أن الشخص

الوحيد الذي كان قلب ستيل مستغرقاً في حب هو... ستيل ديرهوت نفسها!

قالت ستيل في ارتياح ظاهري، وهي تتحرق غيظاً في داخلها:

"أذن فكل شيء على ما يرام؟"

وبدا كان خطتها الأصلية على وشك الإخفاق... خطة إبلاغ بروس أن ليلي هازلت تحبه، وما ارتبطت بذلك الرجل الدوريت إلا لتيسر لهما أمرهما. كان هذا جديراً بأن يجعلها تقوم بتمثيل دور جميل للتضحية بأن ترفض السعادة على حساب أختها فترد بروس إلى ليلي.

لكن مرغريت طمأنئتها بقولها:

"كل شيء على ما يرام طبعاً" ثم التفتت إذ سمعت صوتاً عند الباب الأمامي، وأردفت:

"يحتفل أن ليلي عادت من عملها. لك أن تكلمها بنفسك لتطمئني تماماً..."

وسمعت الباب يغلق، ثم أتبعته في البهو خطوات سريعة، وأقبلت ليلي إلى الحجرة مبتسمة، وهي تقول:

"خطر لي أنني عرفت هذه السيارة الرائعة..."

فأقالت أمها دون مقدمات:

"ستيل، جرعة من جراء موضوع بروس، وقلت لها أن تكلمك كي تطمئئني تماماً ونهاياً. أن المسكينة تقلق نفسها عليك بسبب مشكلة لا وجود لها!"

رمقت ليلي أختها وعلى شفيتها ابتسامة واهنة، بينما أبشمت ستيل ابتسامة خفيفة. وبدت كأنها تعيش فترة ألم ذهني ملتح، وأن معرفتها أنها ربما جنت على مستقبل أختها كانت تثقل قلبها بأكثر مما تحمّل. وقالت:

"هذا صحيح أنني صراحة لا أصدق أنك كنت تتظاهرين بحب بروس، وأنت طيلة الوقت تهجين بشخص غيره!"

ضحكت مرغريت وقالت:

"كنت تصدقنيها، لو أنك رأيته منذ ليال!"

فهتفت ليلي برفق محتجة... وقالت مرغريت تذكرها:

"ولكنك يا خبيثتي وقفت في البهو خمس دقائق كاملة، بعد انطلاق سيارة السيد الدوريت... وما رأيته شخصاً في مثل غيبوبة السعادة المطلقة التي كنت فيها!"

كانت مرغريت مقبضة لهذا. فقد اعتادت أن ترى ليلي رصينة إلى درجة غير طبيعية تقريبا، في سلوكها نحو



« بروس، وسرها أن تثبين أن أبنيتها لم تكن دائما رصينة ».

دهشت ليلي لردة فعل نفسها، فقد تضرع وجهها بشدة ولكنها لم تنكر. فإذا كان لابد من خلق قصة خيالية كاذبة، فعليها أن تجلس في تغذيتها، وإذا أمكن لهذه القصة أن تضايل من شعور ستيل بأنها جانية فإن رابطة الأخوة تظل باقية وهي رابطة لا يملك المرء أن يتجاهلها.

صعدت ليلي إلى حجرتها، وأخذت تتأمل نفسها في المرأة طويلا، وهي مستغرقة في التفكير... أكانت حقا في غيبوبة انقضاء واضحة في ذلك المساء بعد أنصراف روبرت الدوريت، حتى أن أمها خدعت تماما؟ وهل كان ذلك مجرد خداع؟ أم كان في الأمر ما هو أكثر... وأكثر بكثير؟

وتحولت بشيء من العجلة عن مرآتها، غير رغبة في أن تشاهد التعبير الذي انعكس في عينيها العميقتي الزرقاء، بل غير رغبة في أن تصدق أن هذا التعبير موجود في عينيها... فلئن كانت سريعة التحول، إلى درجة أنها استطاعت نسيان بروس في هذه الفترة القصيرة من الزمن، فهي ليست ليلي ديزموت التي كانت تعرفها وإنما كانت فتاة مختلفة كل الاختلاف، وجديدة، وجنسية لدهشتها إذ كانت كما رأت أمها مذهلة في الحب لأول مرة في حياتها!

## ٨ - شهر العسل

استيقظت ليلي صباح اليوم المحدد للزواج على صوت الرعد... صحيح أنه لا شاعرية في هذا القران، ولكنها كانت تتمنى على الأقل أن تكون الشمس مشرقة في مثل هذه المناسبة، ولكن حتى الطقس كان يذكرها بعدم صحة زواجها... وما أن انقضت ساعة على يقظتها حتى بدأ الطقس يتحسن وحُف الرعد وتباعدت الغيوم واشرفت الشمس. واضطرت ليلي أن تعترف لنفسها بأنها لم تكن تشعر بخسارة فادحة لفقدان بروس إلا أن روبرت الدوريت كان يشغل بالها أكثر مما ينبغي في الفترة الأخيرة. ولكنها حاولت ألا تفر بشعورها السعيد والا تستنتج معنى هذه السعادة فتفكر باستمرار في زواجها المقبل وهي بعد على أهبة الاستعداد للذهاب إلى مكتب التسجيل لتوقيع عقد الزواج.

اندفعت جولي إلى الغرفة طائفة من ليلي أن تناول فطورها في الفراش. وبدأت الأمور بعدئذ تتلاحق وتتسارع وكأنما لم تستغرق وقتا يذكر حتى وجدت نفسها تغادر الفراش وتأخذ حماما دافئا معطرا ثم تضع اللباسات الأخيرة لزيارتها، وتذهب للذهاب إلى مكتب التسجيل.

وقبل موعد الخروج وصلت ستيل في موجة من العطر وسخابة من الفراء، فقبلت أختها بحب، متجنبة لها الخط كله، وكان وجهها ينم عن أن لديها أمرا آخر أو اثنين ثود أضافتهما، أولا أن أباهما كان في البهو ينتظر، بفاغ الصبر وعصبية، فلم تشأ ليلي أن تطيل انتظاره... فضلا عن أنها ما كانت لتجاوز بترك روبرت في الانتظار بمكتب التسجيل.

وقد كان روبرت هناك بالفعل، عندها وصلوا وليس في مظهره ما ينم عن اجتلائه بأية عواطف معينة. ونظر إلى العروس بطريقة صهيمة، جعلتها تتساءل عما كان رأيها في ارتدائها الثوب الأبيض لمناسبة لم تكن برغم كل شيء سوى صفقة عمل، غير أنها لم تشأ أن تصدم أهلها بأن تتزوج وهي مرتدية أي شيء سوى اللون الأبيض التقليدي. وكان روبرت في الواقع كالعهد به دائما... طويلا، أسمر، جذابا بدرجة مذهلة.

جعلت ليلى تعجب في داخلها لأنها لم تغدر من قبل كيف كان  
جليحا بهذا الشكل .

أكان من الممكن أن تصدق قبل شهر ، ولنقل يوم سفهت أي  
أهنام شاعري لجولي ، بأنها ستقف يوما إلى جواره ، وتنبط  
بكلمات تربطها به بأوثق رباط بين رجل وامرأة ؟ ما كانت  
للتصدق هذا ، لأنه كان آخر ما يمكن أن تتوقع حدوثه لها .  
كانت في ذلك اليوم خطيبة لبروس ، وما هي ذي اليوم تتزوج  
من رويز الدوريت !

وردت في نفسها الاسم الذي لم يبد شديد القارية : ليلي  
الدوريت ، ثم سمعت المسجل يقول مبتسما ان ثلثيات أن يقبل  
الآن عروسه . وبدون تردد ، أحاطها رويز بزارعه ، ورفع رأسها  
بيده الأخرى ، وأحنى رأسه ليتصق فما جامدا بقمها في قبلة  
العرس التقليدية . والتقت عيناها بعينية السوداوين فأحبست  
بالدجاء الحارة تنفدع لوجنتيهما . أترأه أدرك شيئا مما كان  
يدور بخلداه ويساورها ؟ وفي الوقت ذاته ، كانت ستبلا تسائل  
نفسها : ليلي . . . دون كل الناس تتزوج رجلا كهذا ! رجلا  
طويلا ، رشيقا وصلب البنيان ، وفم بادي القسوة يوحى  
بالعاطفة المشبوبة ، وشعر أسود لامع يشوبه ظل من زرقة  
جميلة ، وقد أوتى مغناطيسية كفيلة بأن تجعل أية امرأة تشعر  
للتوه بوجوده . . . ثم العينان السوداوان اللتان أطلتا وفي  
اعماقهما ابتسامة على زوجته .

زوجته أحقا تزوجت ليلى رجلا هذا شكله ، أوتى ثروة  
ومركزا وشبابا وجاذبية مغناطيسية . ويقدر الدهشة شعرت  
ستبلا ب . . . الحسد ولكنها أخفت كل ذلك ، وأبتسمت لروي  
في مزج قائلة :

"أجل أن تعني بأختي يا سنيور الدوريت ."

وتعمدت أن تناديه باللقب الإسباني ، وشفاتها تفتلجان ،  
فأطل عليها رويز بنظرة مبهمة ، قائلة :

"سأحاول ذلك ، وسأحاول أن أسعدك بذلك ."

قالت ليلى مبتسمة :

"مجرد وجودي معك سيسعدني . . ."

كانت تبغي التلمية على ستبلا ، ولكن إلى أي مدى كانت  
جادة ؟ ومرة أخرى ، وسوس لها الشعور الغريزي الخطير أن في  
هذا القول من الحقيقة الشيء الكثير . وهتفت ستبلا بمرح :

"يا للسما ! انكما ترهفان عواطفني ، حتى لأظنني سأبكي بعد  
لحظة !"

ولكنها كانت أبعد ما تكون في مظهرها عن البكاء ، وقررت  
كيري التي كانت تراقبها منذ وصولها أنها إذا ذرفت دموعا  
فلن تدرقها لأجل ليلى ، وإنما على الأرجح حسدا لها ! فما  
غفلت عن أن عيني الممثلة الحساء ضابطا عند تقديمها إلى  
رويز ولم يفتها أفعه تغيير في أسارير وجهها .  
فكرت كيري مكتئبة :

"أهكذا وضعت ستبلا عينيها على هذا الرجل أيضا ؟"

الم تغف بأنها انتزعت من أختها رجلا ، فما هي ذي تشهر  
مخالبها الجشعة استعدادا لغزوة ثانية ؟ وروي ؟

ونظرت كيري إليه ، ولكن تأثره بستبلا كان مستحيلا ، فقد  
كان قادرا على أن يبدو غامضا أو مبهما حين يشاء . لعنه بهر  
بها كأي رجل آخر . . . وإذا كان هذا الزواج عملية تجارية  
محضة ، فبأي حق جعل ليلى تبدو مسحورة في تلك الليلة ، لأنه  
ضمها في اليهو . . . عليها كانت بالنسبة له أكثر من مجرد ثروة  
عابرة .

يا للحب والرجال ! عنصران أولهما أذى وثانيهما لا ينبغي  
الركون إليه . ويحسن بأية فتاة عاقلة الابتعاد عنهما . . .  
أفكار كانت تدمش أولئك الذين عرفوا كيري كيريفان ، أنها  
قد تسحك وتمزج بل وتشترك في بعض المغازلات الخفيفة ،  
بيد أنها ما اعتزعت يوما أن تشغل نفسها جديا بالرجال . ولا  
بد أن لديها سببا لذلك ، ولكن ما أقل الذين كانوا  
يعرفونه الرجال ! أنهم أكثر أيداء مما يبدون ! فهم يقبلون  
حياة أي أنثى بسهولة ولا يحفلون . فما هوذا بروس قد فتن  
وسحر وبدأ يتطوع إلى ستبلا متضاعا ، ثم ما هوذا روي  
الدوريت يشعر ليلى بالعاطفة لجمال ستبلا كأي شخص آخر . . .  
يا لعن الرجال ! لا يرون أبعد من الشعر الأسود اللامع ،  
والعينين الخضراوين المنحرفتين قليلا . . . لا يرون ما وراء  
ذلك من فساد !

\*\*\*

بعد عقد القران أقيم حفل استقبال صغير . . . وحانت لحظة  
الوداع ، ومر غريت تبذل قصاري وسعها لتكبح دموعها فقالت  
ليلى مهومة عليها :

"أنني ذاهبة إلى المكسيك فحسب ، وليس إلى القمر . . ."

وما كانت تعتزم الغياب طويلا ، وأن لم تدر أمها أنها



كانت ترتقب العودة عما قريب . وقالت الام بابتسامة دامعة:  
\*امل أن تكوني سعيدة يا حبيبتي... اعتقد أن روبر أهل لأن  
تعتمد عليّ.\*

أجابته ليلى موافقة:

\*هذا يقيني أنا الأخرى...\*

ولأول مرة داخلها شعور خفيف عجيب، من الاستياء. لأن هذا  
الزواج لم يكن حقيقياً، فهو قادر على أن يسعد امرأة، وهي  
جديرة بأن تعتمد عليه، ومهما يكن، فمع انقضاء الوقت بدأت  
تشعر بجزع، قلن تلبث أن ترحل بصحبة زوج يكاد يكون غير  
معروف لها.

كيف يكون الرخيل في شهر العسل حقيقياً معه، وللمرة  
الثانية وجدت نفسها تتمنى لو أن زوجها كان حقيقياً،  
ولكنها ظلت تأبى أن تنظر لما وراء هذه الرغبة التي لا تفسير  
لها، وأن تكتشف الداعي لأمنيتها بأن يكون الزواج  
حقيقياً... لعلها كانت تعرف في عقلها غير الواعي ولكنها لم  
تشأ مواجهة السبب.

وخلال الرحلة في القطار الذي أقلهما للباخرة، وجدت نفسها  
تتأمل خلسة... زوجها!

كلمة كانت ذات وقع غريب، وأن اعترفت بينها وبين  
نفسها بأنه كان وقفاً مستحباً يرتبط برجل جذاب جداً. من  
كان يظن قبل شهر واحد أن الرجل البارد المشاعر المثير  
للتفوق في المكتب كان قادراً على أن يتحول إلى شخص قادر  
على أن يبعث قشعريرة انفعال سار في كيانها... الرجل الذي  
كان يتذبذب على قمة الصارم في تلك اللحظة شبح ابتسامة  
ضئيلة وكأنه كان يعرف أنها تنظر إليه، دون أن يعترض  
أشعارها... وعاصمت في المعطف الفرائي الثمين، الذي كان  
هدية الزواج شاعرة بأنها أكثر سعادة مما كانت الظروف  
توحي.

وابتسخت لنفسها... كاد هذا المعطف أن يسبب أول شقاق  
بينهما. فهو ثمين، وقد اعترضت على أن يتناحه هدية لزواج  
مؤقت، ولكنه أصر في تشدد على أن تقبله قال أن الزواج في  
ظاهرة زواج عادي، ولهذا كان لزاماً أن يقدم هدية زواج، كما  
كان يناسبه أن يبدو كأي زواج آخر. وانصاعت ليلى لأراء  
أصراره العنيد واستيائه البارد، وفوجئت باكتشاف أنه لم يكن  
يحب الخلاف، ومنذ تلك اللحظة طرأ على علاقتهما تغير آخر.  
لم تجد ليلى ترى الوميض المتهمك في عينيه

السوداوين، وأصبحت ضحكة ود وصداقة... لعل امرأة ما  
جعلته يشعر بأن الهدايا الثمينة منشودة، تستقبلها دائماً  
بأصابع جشعة... لذا فاعراضها عن تقبل هدية ثمينة حطمت  
الحاجز القديم الخفي الذي كان يرسم التهكم والازدراء على  
قبة الفاتن.

وأد صعدا إلى الباخرة التي كانت تهم بنقلهما إلى أميركا،  
تلقت حولها مشدوهة... كانت "السديم الأزرق" سفينة  
أصحاب الملايين، ووقفت ليلى مذهولة لمظاهر الترف البالغ  
حولها، وأقرت لنفسها دون طمع بأن وفرة المال متعة سارة،  
وأنها جديرة بأن تنها ببضعة أشهر نقضها في الرقامية.  
وفي تلك اللحظة بالذات، خطرت لها فكرة... لقد قالت لجولي  
مرة أنها ما كانت لتؤثر أجمل مليونير في الدنيا على بروس،  
ومع ذلك فما هي ذي زوجة لرجل أكثر من مليص، وكان واسع  
الثراء وأن لم يكن مليونيراً. وبالرغم من هذا فإن أمواله ما  
كانت ذات قيمة تذكر... كان بوسعها أن تعترف لنفسها  
أخيراً بأن الرجل نفسه هو الاثير باهتمام منها، يفوق  
اهتمامها بأي شخص آخر.

\*\*\*

وعندما بلغا الجناح المحجوز لهما، وقفت مبهوتة ازاء  
فخامته، فما خطر لها أن لمثل هذه الاشياء وجوداً إلا في  
الافلام... كان هناك حجرة جلوس خاصة بهما، ولها  
بابان... فلما فتحت احدهما كادت تسمع دقات قلبها فجأة،  
أذ رأت سريرين متغصنين... وسرت في كيانها هزة غريبة،  
أذ شعرت بيد روبير على ذراعها، تديرها لتواجهه وقال:  
\*في الجانب الآخر لحجرة الجلوس حجرة أخرى سأستعملها،  
لقد تعمدت أن اطلب جناحاً واسعاً.\*

ولم تسعها قريحتها، ولو بكلمات تبعد عن ياله فكرة أنها  
فكرت لحظة في أن يتشاطرا مقدماً واحداً.  
وقال فجأة:

\*كان جديراً بي أن اعتذر لأنني ضمنتك على ذلك النحو ليلة  
كنت في داركم... أمذا هو ما يقلقك بالك؟ لا داعي للقلق فلن  
يحصل شيء من هذا.\*

وسادت فترة من صمت وجيز. ثم وجدت نفسها تسأله دون  
تعمد:

\*أكانت تلك رداً على ما قلت في مطعم ريكي؟ فأجاب:

"الى حد ما . فما من رجل يتقبل تلك العبارات كاطراء ومجاملة ، و . . ."

وأومضت في عينيه ابتسامة واهنة ، وهو يردف :  
"أنها كانت بعيدة جدا عن الحقيقة ، فأنا كأي رجل آخر ، ثم انني نصف اسباني ."

وسألت نفسها :

"أكان هذا تحذيرا خفيا ؟ بينما مضى يقول :  
"ولعلك لم تضيق بذلك كثيرا ؟"

وشعرت بوجهها يتضرج ، فتمنت لو قاومت هذا الشعور . . .  
لكنها تلميذة بحرية ، أين ذهبت كل رصانتها وسيطرتها على نفسها ؟ انه لم يجعلها تشعر بشعور كهذا ، وهما يعلمان مما . . .  
ولكن مسافة طويلة كانت تفصل بينهما في العمل ، ما تعرضت يوما لموقف كهذا في العمل بل أنها ما تصورت أبدا خلال سنوات العمل أنه كان ينطوي في أعماقه على هذا الرجل الغريب الاطوار . . . كانت العبارات التي قالتها في المطعم غير حقيقية ، كما ذكر منذ لحظات .

وعاد ليسألها :

"هل ضقت بذلك ؟"  
ورمته بنظرة مباشرة ، وسريعة ، ثم غصت بصرها ، قائلة :

"كلا . . ."

لو أنها أجابت بغير ذلك ، لكان جوابها بمثابة صفقة ، ثم ان سؤاله كشف عن أنه كان يدرك انها كاذبة ، لو أجابت بالنقيض . وقال بهدوء :

"اشكرك . . . يسرتني انك حاملتني بأن كنت صادقة . فتطلعت اليه متسائلة :

"أكنت تدرك انني أكذب ، لو لم أفعل ؟"  
هز رأسه مؤكدا . وتبينت انها ما كانت تحفل بعدد مرات خرقه تأكيدات . . . وسألت في نفسها :

"يا للسما ! ما بالي ؟ ما الذي دهاني ؟"  
كان ثمة شعور غريب يسيطر عليها وضع ذلك ، فانه لم يكن شيئا يبعث على الخوف بل أنها بدأت تستشعر نوعا من خيبة الرجاء ، لأن هذا الزواج لم يكن مقدرا له أن يدوم !

★ ★ ★

بينما عتبت المضيغة باخراج ملايس رويز وطرحتها

على السرير ، ذهب رويز الى امين خزانه السفينة ، فقررت ليلي أن تصعد الى السطح ، وبعد قليل ، لحق بها رويز .  
قال بصوت خافت :

"أن للباخرة أن تبحر " وشدت نظراته بعيدا ، وكأنها كانت افكاره تسابق السفينة ، وكأنه نسي الفتاة التي كانت بجانبه . ولكنه في الوقت الذي خطر لها فيه هذا - اقتراب قليلا ، وابتسم لها ، وأمدت ذراعه فأحاطت كتفها . وبدون ارادة منها ، مال رأسها الى الخلف مستندا الى كتفه ، فاشتدت ذراعه حولها ، بينما أخذا يشاهدان المسافة تتسع بين رصيف الميناء والسفينة ، وكأنها هوة تفصل بين الحياة القديمة والحياة الحديثة .

وحاولت ليلي ألا تفكر في أن الحياة الجديدة كانت لفترة محدودة ، أنها ستضطر ذات يوم الى أن تعبر الهوة لتعود الى الحياة القديمة .

★ ★ ★

تلفت ليلي باعجاب ، وهما يدخلان قاعة الطعام الواسعة ، في ذلك المساء ، وداخلها استمتاع ساذج بهذا النوع من الرفاهية الذي لم تعرفه من قبل . وشغلا حائدة صغيرة لائنين ، حتى اذا فرغا من العشاء ، ذهبا الى قاعة الرقص . وبالرغم من أن السفينة كانت في أول أيام الرحلة ، فقد بدا ثمة جو من المرح والاحتفال ، ولعل ذلك كان لقصر الرحلة ، نسبيا ، ورغبة المسافرين بغية الترويع في الاستمتاع بأقصى لهو في عطلتهم .

واشتركا مع الراقصين ، فتابعا أن خطواتهما كانت متناسقة . وراحا طيلة السهرة يضحكان ويتكلمات دون ما حرج ، وبالرغم من أنهما لم يتزوجا الا في صباح اليوم ذاته . وفي وقت لاحق من ذلك المساء ، استلقت ليلي في غرفتها الفخمة ، تنظر الى السرير الخالي ، وهي تفكر . . . كانت تلك ليلة زفاف غريبة . فمذ أشهر قلائل ، كانت تتصور أنها ستقضيها مع بروس ، ولكن لو كان بروس هو الزوج لما حظيت بجناح فاخر على السفينة ، ولما شعرت كذلك بوحدة . اترى كان رويز هو الآخر ، مستلقيا يتأمل السقف في غرفته ، ويشعر بالوحدة ، أو لعله كان يفكر في الفتاة التي احبها يوما ، من قبل .

وأثار هذا فكرة جديدة لديها : ترى كيف كان شكلها ،



تلك الفئاة التي خطبها من قبل، وإذا فعلت لتسبب له هذا  
الجمود العميق الذي خالته يوما جزءاً جوهرياً منه؟ لقد أدركت  
الآن أنه لم يكن من طبيعته، ولكن الصدمة التي أدت إليه  
كانت ولا بد حادة، ألمية أحدثت في أعماقه جرحاً غائراً  
وخلفت مرارة وعدم طمأنينة إلى كل النساء. وداخل ليلى  
شعور من الارتياح إلى عدم الثقة بدأ يتبدد، ولكنها تمنّت أن  
تفعل شيئاً أكثر من الغليل الذي فعلته حتى الآن للتسرية عنه.  
ومع خيوط الفجر غشيها النعاس. ولكن من أجل ما في  
السفر في باخرة أن المرء لم يكن مضطراً لأن يستيقظ مبكراً  
للتناول القطور.

ووجدت رويث في حجرة الجلوس وقال مبتسماً:

"لقد أمرت بإحضار القطور هنا."

فجلست في مقعد مريح وهي تقول:

"ما أجمل هذا! لكن أشعر بالكسل."

فعاد يبتسم قائلاً:

"أكنت تفعلين هذا لو أنك في أنكلسرا؟"

قالت:

"أتعني قبل أن يجري كل هذا؟"

أوما برأسه، فنظرت إلى ساعتها، وأرسلت ضحكة خفيفة،  
قائلة:

"كنت في مثل هذه الساعة أدق مفاتيح الآلة الكاتبة، وانتظر  
شاي الصباح، أو ارتقب جرساً ملجأاً من سيد صعب عليه  
العثور على شيء يريدّه." وارتفع احد حاجبيه الإسودين،  
وتساءل:

"هل كنت تترينني رئيساً متعباً جداً؟"

فابتسمت قائلة في مداعبة:

"في بعض المناسبات."

"وهل كنت في تلك المناسبات تشعرين باغراء لأن تخبريني  
بما كنت تظنينه في؟"

قالت بصراحة:

"كلا. كنت أكتفي بتجاهل حالات غضبك الصغيرة."

وضحك إزاء ما بدا على وجهه، وهو يقول:

"يا لك من جريئة صغيرة!"

ما من أحد وصفها بهذا من قبل.

فلم تتمالك أن ضحكت، إذ اعتادت أن ترى نفسها طويلة  
ليست صغيرة قط، ولا من الصنف الخبيث الذي يوصف عادة  
بهذا الوصف.

نظر إليها في فضول، وقال ببطء:

"لا أفهم كيف لم اتبين حقيقة شخصيتك من قبل. إنك كنت  
تبدلين..."

فتساءلت كقطعة من أثاث المكتب: "قال شيء من هذا  
القبيل فيها أحسب."

"أليس هذا ما كنت تبغي؟ كنت أنظر لعملتي بجدية، بصحبة  
على أن أكون فتاة عاملة، إلى أن التقيت بيروس."

لم يخالف صوتها أقل اختلاج، بينما واصلت حديثها:

"كنت عازمة على أن أكون ناجحة، فانتهجيت السلوك الذي  
رأيت أنك تريده، ولو كنت راغبة في قطعة أثاث أخرى  
بالمكتب، لكان بوسعك النظر بها."

قال بصوت أجش:

"لابد أن هذا اقتضى منك سيطرة على النفس عظيمة. فبعد  
السكرتيرة المعجوز، أخذت أغير سكرتيراني باستمرار، قبل أن  
أحظى بك."

قالت:

"فأومات برأسها وعيناها تتوثبان بالضحك، وقالت:  
"كان عملاً ممتعاً، من ناحية من نواحي الاعتبار... فضاقت  
عيناه السوداوان، وهو يتفرس فيها قائلاً:

"لعله كان من الخير أنني لم أعرف حقيقتك تحت مظهرك  
الرخامي."

"لماذا؟ كان هذا يغير من الأمر شيئاً؟"

هز رأسه في شيء من الخيرة وقال:

"لا أظن. لولا تلك الوصية ما عرفتك أبداً على حقيقتك!"

وسأله في فضول:

"ما الذي جعل جذك يضع وصية كهذه؟"

والتفت نظراته بنظرة جادة منه، وأجاب سؤالها بسؤال:

"أليس الأمر واضحاً؟"

وتضرج وجه ليلى حيث أدكرت ما كان قد خطر لها عن سبب  
الوصية، بينما واصل هو الحديث:

"كان يريد وريثاً لكاراستراتو... وكانما نسي وجودها لحظة  
وراح يتأمل يديه النحيلتين القويتين، وقد اعتقدنا على  
ركبتيه، ثم قال في لهجة تكاد تكون غامضة:

"أنني لا أحب أن يهلي أحد تصرفاتي على... وكانت لجدي  
السلطة التي جعلته يفعل ذلك يوماً، فلم أتنا أن اسمح بأن  
يحدث هذا مرة أخرى."

وبدا عابساً كما تعودته في المكتب... وهمت

بدا عابساً كما تعودته في المكتب... وهمت

بدا عابساً كما تعودته في المكتب... وهمت

بالكلام، ولكنه قطعه عليها، دون أن يفتن تقريبا، إذ مضى يقول:

"حاولت من البداية أن أموه الشروط التي فرضها... فتزوجت، فلا سبيل الآن إلى أية عقبة تعترض أن أرت كاراسترانو."

قالت في هدوء:

"ليس هذا... غشا... إلى حد ما؟"

فهمت: "غش؟"

هزت رأسها قائلة:

"نعم. فأنت في الواقع سترث تحت ادعاء زائف."

ولم تدرك كيف تسنى لها أن تجد الجراءة لتقول هذا. ونظر إليها وعادت لعينيها السرية المتهكمة التي كثيرا ما صادفتها في الأيام الأولى لاتفاقهما العجيب وتساءل:

"اتفكرحين أن يجري تنفيذ الشرط بهذا فيره حتى النهاية؟"

شعرت ليلى بأن وجهها يحمر ثانية، وقالت بلهجة، وأن تجنت لو استطاعت السيطرة على بؤادر الحرج الأخرى:

"لست أقترح شيئا... كان من العسير بعد أن بدأت هذا الدرب أن تتحول عنه، وأستأنفت قائلة:

"لعلك كنت تقدم على زواج عادي، لو لم تسمح بأن يستفرك هذا الشرط من جدك."

"ولكن، لعلي لم أشأ الرضوخ له تماما."

"أذن فهل تعترزم بعد انقضاء زواجنا أن تعيش هناك بقية عمرك، ثم تدع كاراسترانو يؤول بعد موتك لأغراب... إذا لم يكن هناك أعضاء آخرون بالأسرة لهم حق الوراثة؟"

قال متعجلا:

"ليس هناك أحد سواي."

كان محطب الجبين وكان فكرة استيلاء أغراب على كاراسترانو لم تكن مستحبة. وقال بعد لحظة:

"أحسب أنه ما كان ينبغي أن أفرط في لومه. فالعادة في المكسيك أن يدير الأهل الزوجات... لا بد أنني عشت في أنكلترا مدة طويلة استنتني ذلك."

وأضفت عيناها بانتسامة ضئيلة جدا، وأردف:

"ما الذي تفكرحين أذن أن أفعل؟"

تحاشت ليلى نظرتة وقالت:

"لست أملك أن أقول لك ما تفعل... فهذا امر لك أن تقرره وحده، ولكلي أحسب أن جدك كان يحب كاراسترانو"

ولا بد قدر حبك إياه، والا ما وضع هذا الشرط أملا منه في أن يكفل إلا يؤول الميراث لأغراب."

كان الحديث أعجب حديث، فأسرعت تضيف لكيفا يسي. فهم قولها:

"أحسب أنه سيكون من السهل، بعد انقضاء زواجنا، أن تدبر على وجه أفضل، ذلك النوع من الزواج الذي كان جدك يفكر فيه، ولكنه في هذه المرة سيكون زواجا باختيارك الشخصي الحر، لن تكون مستهدفا بالزواج أن تكفل ميراثا."

"تعلنين بتعبير آخر، أن اختار بنفسي وأن يصدر الاختبار عن أرادة حرة، وليس عن رضوخ له؟"

"نعم."

ضحك في استهجان، وقال:

"فتاة إسبانية مطبوعة، تتزوجني بأمر من أسرتها، هل هذا ما تفكرحين أن أفعل؟"

عادت ترفض بعناد أن تدلي بجواب محدد، مؤثرة أن تعلق على الموقف بوجه عام: "أنني لا أملك أن أقترح شيئا. لقد كانت لي أسباب شخصية لهذا الزواج... و... فأكمل عنها العبارة:

"ولا رغبة لديك في أن تستجري فيه."

نهض، وأخذ يتأملها لحظة وعلى وجهه تعبير غامض، ثم خرج متحما بأن سكانيره نفذت، وأنه سيذهب لشراء غيرها.

وقفت ليلى هي بعد أنصراخه وقد قطنت أخيرا إلى أن يديها كانتا تتماسكان بشدة بدرجة المتها، ولكنها لم تلاحظ إلا لثم قبل ذلك... ولعل السبب كان ألما من نوع آخر، خالجهما وهو يتكلم عن زواج ينشأ عن رغبته ورضاه، بعد خل زواجهما.



الى وثنية الماضي الغنية .

قال رويز مشيراً بأصبعه :

"هناك بقع قصر رئيس الجمهورية على أطلال قصر هونتزوجا ، ولا تدري سوى السماء أية تحف دفينة تحت الزوكالا ... لقد هدموا المعابد القديمة من أساسها ..."

وهز رأسه وكأنه لا يقر تخمس أسلافه في أخفاء الحضارة القديمة تماماً تحت حضارتهم . وبعد لحظة أشار إليها كني ثلثه ، وراح يريها الخفر التي كشفت درجات المعبد الأكبر المتيق . ومضى في الحديث بهدوء ، فإذا الماضي يتجمل حياً ... وكأنها ترى في الخيال المعبد الأكبر كما كان يوماً ، والأسرى يضعدون مئات الدرجات ، الى حيث كان الكهنة ينتظرون عند المقبة ، والحضور يرتنحون لاسترضاء القوى الخفية ، وأشار رويز الى حيث كان حامل الجماجم ، والحوض الشمالي على شكل القارب ومعيد دائري لرمز الرياح ، وحجر القرابين ، والكأس الدائري الكبير الذي كان يستخدم لحرق القلوب .

ثم قطع حديثه مبتسماً ، وقال :

"لا يمكن أن ننكر بأن بعض عاداتهم كانت سيئة جداً ، لكنني كثيراً ما أرثي لضاياع كل هذا ..."

ومضى يتحدث عما كان مقدراً للقائحين الاسبانين ان يجذوه وعندما وفدوا لأول مرة الى المدينة التي كانت تدعى اذ ذلك تينو كتيبيلان ... خدائق يانعة وبنائيات بيضاء جميلة ، لم يكن بعضها يتم في البداية عن الاغراض الرهيبة التي كانت تستخدم لأجلها ... كانت المدينة القائمة بين بحيرات تربط بين معابر وجسور ، وتعبر سطحها الازرق الزوارق ، تلوح وكأنها تبرز من حلم . وكانت المعابد الهرمية الشكل تعلو فوق بنائيات المدينة ، وحامل الجماجم بزينتته المخيفة ، ولو انهما كانا جاءا في تلك الأيام ، كشهدا حجراً دائرياً آخر ، يختلف في النقوش والغاية عن حجر القرابين الكبير ... هنا كانت تمارس ألعاب رياضية قاسية في أيام الاحتفالات ، اذ يربط أسير الى حجر ، وعليه أن يدافع عن نفسه بهراوة خشبية ضد لحريم يمتاز بالاستحوار على خنجر حاد من الزجاج البركاني .

قال رويز بصوت أجش :

"كان عادة يلقي حنقه ... جيتة مشرفة ، حيث أنه يقدم قربانا الى رمز الشمس تونانتيوه ... وأحياناً ، كان الأسير يقاوم مقاومة بارعة تكسبه المغفرة ..."

## ٩ - البيت الأبيض

من فيراكروز حيث رست الباحرة استقلا الطائرة الى مكسيكو سيتي ، ونزلا في فندق صغير ولكنه كان راقياً ، تسوده الاناقة والترف غير الصارخ . كان المبنى حديثاً ، يربط مكسيكو سيتي بالحاضر . ومع ذلك فكانت تشمر ليكي بشيء ما يربطها بالماضي عندما كانت تتمشى في الطرقات ، الصباح التالي مع رويز .

وقفا بجوار الكاتدرائية ، يتطلعان عبر الزوكالا ، التي كانت يوماً موقع بلازا تينو كتيبيلان العظيم ، حيث كانت تعال الأزيك تطل الأرض يوماً ، وأقيمت اليوم على ارتفاع عشرين قدماً فوق أطلاله العتيقة ، المدينة الحديثة التي لا تزال تسمع همسات الماضي ... وتأمل رويز وجه عروسه وابتسم قائلاً :

"هل يثير اهتمامك شعب الأزيك القدامى الذين كانوا من الهنود الحمر وحكموا المكسيك قبل الفتح الاسباني؟"

أومات برأسها ، بدون أن تنظر اليه ، وقالت :

"لكم وددت دائماً أن أجيء الى هنا ..."

ولكنها ثم تحلم أبداً بأن يكون مصيئها في هذه الظروف . وأردفت بصوت خافت :

"كأنني بالماضي لا يزال بطريقة ما ، أبدو من البلاهة أن أقول أن بوسعي أن ألتصع عيني ، وأعتقد حقاً بأنني أراهم بسيرة ..."

هز رأسه وقال :

"كلا ... فكثيراً ما شعرت شخصياً بهذا ..."

وكانما كان وقع أقدام الأزيك ينبعث هامساً في ردهات الزمن ، وزعماء قبائلهم يملون والريش التقليدي يهتز فوق رؤوسهم ، وعيونهم الضاربة تبرق ، والمحاربون يدورونهم المحشوة بالقطن ، والكهنة بجلابيبهم السوداء يمسكون بخناجرهم المصنوعة من الزجاج البركاني ، التي كانت تشق قلب القرابين من الضحايا الأحياء ، والنساء في ثياب بسيطة ولكنها غنية بالوشى المطرز ، وشعورهن السوداء جسداً على أكتافهن ، وتتوجهن أكابيل من الزهور ... كل ما كان يمت

"ماذا جرى للهنود بعد الفتح؟"  
 "أنهم لا يزالون باقيين... مستذلين أشنع استذلال لسوء الحظ  
 ولكن، قد نتاح لهم الآن فرصة."  
 كانت ليلى قد سمعت عن البرنامج التعليمي الذي قدمته  
 الحكومة المكسيكية لأهل البلاد القدامى، بعد أن كانوا  
 مستعبدين لفترة طويلة.  
 سألت ليلى في فضول:  
 "لا يزال الهنود الموجودين كثيرين؟"  
 فأوما رويز قائلاً:

"حوالي خمسي سكان المكسيك من ذوي الدم الهندي  
 الخالص. وإذا استبعدت أولئك الذين فيهم بعض الدم  
 الهندي، فثمن يبقى من السكان سوى جزء من عشرين من عدد  
 السكان الحالي."  
 رجعته ليلى بنظرة فضولية، وسألته:  
 "هل في عروقتك دم هندي؟"  
 فابتسم قائلاً:

"كلا، ليس فينا شيء من دم الأزتيك."  
 وتأملها وهو يقول مداعياً:  
 "هل خيب هذا أملك؟ أكان يزيدني إثارة وجود الدم الهندي  
 في عروقتي؟"  
 قالت وعيناها تتراقصان:

"إلى حد كبير جداً، ولكنني على استعداد لتقبلك بدونه."  
 ضحك قائلاً:

"أظنك تودين رؤية المتحف ما دام هذا شعورك نحو  
 الماضي."  
 ووافقت على الفور، فلما بلغاه، أذهلها القدر الهائل من  
 الآثار المستخلصة من ماضٍ متباين المراحل، مفرق في  
 الدماء.

وبعد القاء قاما بجولة مختلفة، حيث اتجها إلى المتاجر  
 الحديثة، وأصر رويز على أن يشتري لها برنامجاً اعتراضياً أي  
 شيء كان يعجبها، مما أجبرها في النهاية على أن تلزم  
 الصمت إذ شعرت بأنها أخذت أكثر مما ينبغي ولكن هذا لم  
 يحقق غرضها تماماً، إذ بدا أنه اكتسب قدرة على قراءة  
 أفكارها.

ثم تناولوا العشاء في ذلك المساء في مطعم حديث، ورقصا  
 في قاعة للرقص واسعة بدرجة مذهلة، وكانت قد

اكتشفت على الباخرة أنه راقص بارع، لم ينقصه المهر، وأن  
 كان مسئكه السابق في العمل أوحى لها بأنه ما كان يحضر  
 كثيراً من الحفلات الاجتماعية. كان رجلاً يختلف كل  
 الاختلاف عن ذلك الذي عرفته في المكتب، حتى لم يعد  
 يدعشها أن تكتشف جديداً عنه في كل يوم تقريباً. بل بدا أنه  
 كان يزداد تغيراً في كل دقيقة، حتى أيقنت أنه سيأتي يوم  
 سيبدو فيه غريباً لكل من عرفه حيث لم يعد فيه شيء من رويز  
 الدوريت الذي كان يمتلك مؤسسه مزيديت.

وفي اليوم التالي حضرا حفلة عشاء، ومع أنها كانت  
 مستحبة في بادئ الأمر فأنها سرعان ما تثلت عن ارتياكها  
 إذ تبينت أن في وسعها الكلام باسبانية مفهومة، وأن تشترك  
 في الحديث الدائر حولها. وبدا أن رويز مازال على اتصال  
 بكثير من أصدقائه في المكسيك، وربما أنه جدد صلات  
 التعارف في زيارته السابقة. كان أحد معارفه ممثلاً شاباً ذا  
 شعبية كما بدا لها، نشأ قريباً منه، وكان كثير الحركة  
 جريئاً. ومع أنها لم تكن قد امضت في مكسيكو سيتي أياماً  
 تذكر، فقد عرفت اسم رامون مالمونت، كواحد من أشهر  
 الممثلين.

وأخذت تراقب رويز في السهرة وتنتصت إلى صوته الخافت،  
 وهو يتكلم الأسبانية بسرعة وطلاقة، وشعره الأسود اللامع  
 يتألق تحت الأضواء، كان واضحاً أنه لم يكن يختلف عن أي  
 من الموجودين في شيء، بل أنه رقص مثلهم، وكان في كل  
 حركة من رقص اللاتينيين بهاء ووقفاً موسيقياً. وشعرت  
 بشيء من العذر إذ لم تتمالك أن تعترف لنفسها بأنها أكثر  
 استمتاعاً بالرقص معه، مما كانت مع بروس!

كذلك احتازت الأمسية يحدث آخر، هو أن اسمها الجديد لم  
 يبد لها لأول مرة غريباً بل كان من المجتمع أن يوجه إليها  
 الحديث كسنيورا الدوريت.

وفي اليوم التالي تناولوا العشاء ورقصا معا على حدة وتكلما  
 بالانكليزية، ولكنها بعد أن سمعته يكثر من الحديث  
 بالاسبانية لاسيما في الأمسية السابقة بدت لها اللغة  
 الانكليزية غريبة من شفثيه، وهي التي تعودت سماعها منه  
 طيلة وقت عطلها معه.

وقالت له:

"أتعرف... أنني أفضل أن نتحدث الإسبانية."

ثم تضرع وجهها إذ تبينت أنه ليس من حقها إبداء أية  
 تفضيلات، وقالت تعتذر بارتباك:



\* اعني انني... \*

فابتسم قائلا:

\* انني احذر اخيانا اي اللغتين لغتي... \*

فسالته:

\* انست تفضل احداها؟ \*

واخذ للتفكير، ثم قال:

\* لا أدري في الواقع انني احب الاثنين، ولكني تعلمت  
الاسبانية أولا... \*

وعاد يبتسم، ابتسامة غريبة الذئف، ارسلت هزة عجب في  
نفسها، وأردفت:

\* لعل الجدير بي أن أدخ القرار لك... \*

قالت وقد عاودها الارتباك، مدركة أنه لم يعني ذلك:

\* الآن وقد عدت لوطنك، فيكون من الطبيعي أن تتكلم  
الاسبانية... \*

استمرا بعد ذلك بقرصان فترة أخرى، ثم أوبا إلى  
حرفتيهما المنفصلتين، ورات ليلي في نومها حلما بالغ  
الغربة... بدا كأن ستيلا ظهرت لها فجأة، وقالت:

\* ان ما حدث كان خطأ، وأنها لم تكن راحبة في بروس حقا،  
فلما أن تستعيد إذا أرادت... \* كان هذا في حد ذاته سخفا  
ساذجا، ولكن الذي أدهشها حقا، هو أن الحلم أقتعها بأنها لا  
تريد استعادة بروس... \* أذ قالت:

\* انني اوتر أن أبقي كما أنا... \*

وعندها ظهر رويز فجأة في الحلم، وابتسم لها ابتسامة  
داخلة، الابتسامة التي بعثت في نفسها الذئف، في وقت سابق  
من الليل.

في الصباح التالي، أحضرت لهما السيارة السوداء الكبيرة،  
التي اشترها رويز في زيارته السابقة، وكانت أولى جولاتهما  
فيها في بقعة كالدي تاكوبا الممتدة على طريق مرتفع قديم -  
إلى تلاكوبان - حيث تقف القائد كورتيز وهو كبير القاب  
وحيث ظلت شجرة السرو القديمة، التي يكي تحتها القائد  
الشهير لجند الصلة بالماضي، وحيث انشئت كنيسة في  
الميدان الرئيسي في اركابوتزالكو، العاصمة العريقة لزعبا  
التولتيك والتباتيك، وفي طريق العودة إلى مكسيكو سيتي،  
عرجا على البقعة التي كان الهنود يوما يكرمون فيها  
توبانثرين، رمز الامومة لدى الآتيك.

كانت ليلي في يادي الامر مترددة قسي الاسراف في

ابداء اهتمامها بماضي المكسيك، لكيلا تضجر رويز، ولكنها  
حين تبينت أخيرا أنه كان يستمتع بهذا الماضي قدر  
استمتاعها، لم تحاول أن تكبح اهتمامها، وأخذت تبتسم  
لنفسها كلما أدركا أنه كان يقدر بأن يريها معالمة... كان يحب  
الماضي هذه البلاد وحاضرها، ثم، كان هناك كاراسترانو...  
لا عجب في أنه كان على استعداد لأن يفعل أي شيء ليظفر  
بالميراث الذي كان في انتظاره... \*

بعد اسبوع اشبع فيه جبهما للماضي، قررا أن الوقت حان  
ليفضيا إلى كاراسترانو. ومع ذلك فانهما قطعا الرحلة ليعرجا  
على تيوتيهواكان، حيث كانت الحكومة تنقب عن المدينة  
التي كانت عاصمة يوما ما، وما زالت الاطلال توضح بعضا من  
عظمة الماضي وأججاده... كانت تيوتيهواكان أولى مدن المعابد  
المقدسة، وأعظم مدن عشائر التولتيك، موطن أولئك  
المعماريين والهيكلانيين المحفوقين بالغموض، والتجارين  
والزراعيين البارعين، كان وادي تيوتيهواكان بأكمله ثلاثة  
أميال ونصف الميل طولا، وحوالي ميلين عرضا، فكانه طريق  
مبهد... وقد تناثرت في المساحة كلها اطلال بنايات فخمة،  
هجرت... قبل مجيء الاسبانين إلى المكسيك... \*

أدركت ليلي أن هذا الوادي أكثر ماسيلصق بذاكرتها،  
والفتت خلفها أكثر من مرة، تتأمل الاهرام وهي تتلاشى عند  
الأفق... وعادا بعد ذلك إلى الطريق العاعة المفضية إلى  
كاراسترانو، وتوقفا عند فندق كبير ليتناولا الغداء، فرات  
ليلي عددا كبيرا من السياح، وسمعت الهجات الاميركية ولكن  
المكان الذي تناولا فيه الغداء، وقضيا فيه ليلتهما، كان بيتا  
اسباني الطراز، على النمط المعماري القديم في عهد  
الاستعمار وقد حول إلى مطعم تعلوه بضع غرف فسيحة... وبعد  
افطار خفيف في الصباح التالي استأنفا رحلتها بالسيارة... \*

وكان اليوم قد انقصف تقريبا، عندما اقبلا على قرية  
صغيرة، وراء حدودها مباشرة مخفض رويز سرعة السيارة،  
وانفتحت إليها مبتسما، وسألها:

\* أتودين أن تذهبي إلى عزلة؟ \*

فأجابت على الفور:

\* احب هذا... \*

ثم أردفت وهي تضحك:

\* انني أعرف ان الجرة لا يصدق كلمة مما يقوله المراهون،  
ولكنهم مع ذلك يأسرونك! \*

كانت العرافة عجوزا مجمعة الوجه، تعيش في كوخ على حافة بحيرة، تأملت بنظرات مبهمه وهذا طابع المهنة لدى كل العرافين، ثم وجهت ليلى الى مقعد صغير بلا سند، خارج الكوخ، وجلست على الارض، وأمامها وعاء مسطح فيه ماء. وناولت ليلى حفنة من التراب لتقبض عليها لحظة، ثم اشارت لها بان تلقيها في الوعاء، وراحت تتفرس فيه لدقائق.

وقالت أخيرا، دون أن تنظر اليها: "كان هناك شقاء، ستسببه بعض الوقت، ولكنه سيعود." وتفرست بنظرات غامضة في ذرات من التراب طافية ثم قالت:

"حزن يقيم على الجاء..."

وفي تلك اللحظة ظهرت الشمس من وراء بضع سحابات في السماء، ألقت أشعتها على الماء وكأنها تثبت خطا العرافة. واختلجت شفتا ليلى بابتسامة صغيرة، على الرغم منها، في حين أنها كانت تعجب في نفسها كيف استطاعت المرأة أن تعرف أنها تعرضت لشقاء.

وكانما بدت بؤادر خفيفة على وجهها، فإذا العجوز تنظر اليها فجأة، قائلة: انك تيشمين، ولكن هناك نجمة داكنة في حياتك، ولن تشرق الشمس بسعادة باقية الا بعد غروبها. ونهضت فجأة، وأفرغت الماء في البحيرة، ودخلت كوخها وأغلقت بابها بشدة. فألقى رويز يضع قطع نقدية على المقعد، ومس بأصبعه مرفق ليلى يفودها الى السيارة. وعندها انتبه الى صمتها، فوجم لحظة، ثم أدار وجهها اليه، وقال بابتسامة واهنة:

"ما أظنك تأخذين قولها على محمل الجد؟"

فكانت متعجلة:

"كلا... كلا طبعاً، ولكنها لم تتمالك أن أردفت:

"كيف عرفت بأنني صادقت شقاء؟"

"هؤلاء المسنات يتعلمن قراءة ما يفغل عنه سواهن من أسارير الوجه، ولكننا سنحاول ان ندير الا يكون ثمة شقاء آخر لك!" وحاولت ليلى أن تتنسم ولكنها لم تستطع أن تنسى كلمات العجوز، بالرغم من أستهجانها هذا من نفسها... ماذا كانت تعني العرافة بوجود نجمة داكنة في حياتها... وفجأة تذكرت انهم كانوا يسجون ستيلاً بالنجمة الداكنة احياناً، فشبهت والتفت اليها رويز متسائلاً:

"ما بالك لا أحسبك تدعين العجوز تضايقت؟"

ورفع إحدى يديه عن عجلة القيادة، وأمسك

يدها، واستبقاها تحت أصابعه وهو يمسك العجلة وقال:

"ما كان ينبغي أن أخذك اليها."

"أنه سخط مني، ولكنني أظن أن في نفوسنا جميعاً قدراً من الايمان بالخرافات وخاصة إذا مست وترا في النفس."

واستسلمت مطمئنة الى قبضة أصابعه، فقال:

"أنسي هذه المرأة."

وجاهدت نفسها لتطيعه، ولكنها لم تستطع أن تنسى تماماً... كانوا يسجون ستيلاً النجمة الداكنة كتدليل ومحبة، وليس كتنشأؤم، وإذا كانت ستيلاً قد سببت لها بعض الشقاء، فإنها لم تكن متعمدة... لم تتمالك نفسها من أن تقع في هوى بروس... ومثل هذه الامور تحدث!

ولكن ما الذي رمت اليه العجوز بقولها ان السعادة المقيمة لن تكون دائمة حتى تغرب النجمة الداكنة.

أوقف رويز السيارة حوالي العصر على قمة طريق منحدر طويل. وتبعته ليلى عندما فتح باب السيارة وغادرها، فقادها الى حافة التل، وقال:

"كاراسترانو..." وأطلقت الى حيث أشار. كان التل ينحدر في سلسلة من الطرق المنحدرة، حتى اذا بلغ مستوى الارض في النهاية رأت جوهرة في سهل متراحي الاطراف، رأت مبنى ابيض كبيراً تحيط به خلعة لامعة من اللون، بدت انها ازهار... على مسافة قصيرة من قرية صغيرة، كأنها من مخلوقات الايام التي كانت فيها كاراسترانو مجتمعاً صغيراً ذا كفاية ذاتية.

وسمعت نفسها تقول بصوت خافت:

"ما أجملها!"

وفهمت ان ذلك لماذا ارتبط بزواج دون حب في سبيل الاستحواذ عليه.

وعاد الى السيارة، وانطلقاً فأخذ كاراسترانو يغيب عن بصريهما كلما انجرفاً بين اللال المنخفضة ليهبطا أخيراً، انسابت بهما السيارة خلال القرية التي بدت كأنها من قديم عن عهد الاستعمار. وكان ثمة رجال ونساء يرتدون زياً تقليدياً قديماً... ولعلمهم كانوا يؤثرون أسرة أندوريت بولاء يفوق ما يكون للحكومة.

ورمقت رويز بنظرة سريعة، تسائل نفسها كيف يبدو لو أنه ارتدى الزي القديم في كاراسترانو، كما يرتديه القوم.



انه يناسبه أكثر من الثياب الحديثة. وما ليثت السيارة ان خلقت القرية وراءها، وأخذت تقترّب من كاراسترانو.  
كان المبنى اذا ازداد اختارها أكثر جمالا. والورود المتسلقة تعلو السياج الحجري القديم، والابواب الخارجية المعدنية مفتوحة، تحل أشعارا للأسرة كادت نقوشه تنمحى، ولم تستطع ليلى أن تبين الشعار، ودخلت السيارة عبر البوابة المفتوحة، واستقرت في فناء مرصوف، تكاثفت الورود في كل مكان فيه. وكانت امامها مباشرة درجات تؤدي الى اقواس من الطراز العربي المغربي. وفي أعلى الدرجات، خلف الاقواس، كانت شرفة مرصوفة بالقرميد الازرق الدقيق، بينما تخلل جدران المبنى البيضاء بايان مفتوحان من الخشب السميك.

سارا عبر البابين الضخمين اللذين كانا يحملان ثغس الشعار الذي حملته الابواب المعدنية، وأذا بأمرأة بدنية ثقف في البهو الرطب، مرحبة بهما باحترام، على النمط القديم، واضطف خلفها بقية الخدم، وقد انحنوا ورويز يقدمهم، كل بدوره. وما ليثت أن صرفتهم مديرة البيت البدينة تشينا ايستوريل.

طلب رويز قد حين من القهوة ثم اجتازا حجرة منخفضة طويلة، تطل على فناء داخلي منخفض، أثار عند ليلى رغبة ملحة في اكتشاف البيت، فقال رويز:

"باصطحبك في جولة تفقدية بعد أن تستريح ونتناولي بعض المرطبات، وأمل ان يروق لك."

فهمت: كل ما زابت حتى الآن جميل كل الجمال. جميل حتى لقد بدأ بأسر قلبي.

جلسا في مقعدين مرتفعي الظهر، من خشب أسود عتيق، كان يلعب تحت الضفل المستمر. وكان الظهر والمقعد مبطنين بالجلد الموشى بالنقوش التي ظلت زاهية بالرغم من قدمه. وأحضرت تشينا القهوة من قهجين صغيرين، رقيقين تزيناها زسوم يدويه. فهمت ليلى:

"أشعر لك انني رجعت القهقري في الزمن. فأوما رويز قائلا:  
"لقد أنشئ كاراسترانو في عهد الاستعمار القديم، وحاولنا ادخال الطابع الحديث دون ان نفسد مظهره الخارجي."

نهض رويز اذ مرعا من القهوة وقال:  
"الآن ساصطحبك في الجولة التفقدية التي تريدان."  
وأذ خرجا الى البهو، قادها الى ممر تحف به

الاقواس، يؤدي الى ردهة جدرانية من الزجاج. وأدت الردهة مباشرة الى الجناح الجنوبي للقصر، وأدركت ليلى سر البذخ في فخامته، حين عرفت أن أرض الجناح بأكمله تؤلف قاعة للرقص، في أحد جانبيها نوافذ طويلة تطل على الساحة الوسطى للقصر، وفي الجانب الآخر شرفة واسعة، واجهتها صف الاقواس المتوالية التي شاهدها وهما يقتربان من كاراسترانو.

قالت متهدجة الانفاس، وهي تتصور الموسيقى والمرح يترددان في جنبات الحجرة الجميلة:

"أنها... باهرة!"  
فابتسم قائلا:

"يجب أن نقيم حفلة راقصة احتفالا بعودتنا لدارنا... العودة للدار! أمذا ينصق عليها؟"

قال وهما يخرجان الى الساحة الوسطى فيجتازانها الى الجناح المقابل:

"سوف اصطحبك لتلتقي ببعض جيراننا."

في هذا الجزء من المبنى كانت غرف استقبال، مزيد من الغرف في واجهة المبنى، بعضها كبير، وبعضها صغير، بعضها ذو طابع رسمي، وقلة منها لا تفل عن البافيات جمالا ولكنها مستعملة. وكان من الواضح أنها أكثر الغرف التي استخدمتها أسرة الدوريت.

ومن هناك عادا الى البهو، ولخطواتهما همس على الأرض الخشبية الناعمة، وهما يتجهان الى السلم الرطب المنساب... لا بد أنه كان مقاما منذ قرون وأن فرسانا وسيدات رفيعات المقام قد صعدوا درجاته الواسعة في اماضي... كم كان الاختلاف كبيرا بين خلفياتهما حتى ان سقنا من بلادها وسقنا شرعية من بلاده، التحمت في الماضي في حرب، لقد كانت ثمة اقاويل عن مقامرين من أجدادها، فسألت نفسها عما اذا كان قد قدر لأحدهم ان يكون على سفينة اشتبكت يوما مع سفينة تحت إمرة فرد من أسرة الدوريت عفا عليه الزمن... لقد قال رويز أن أسرته وفدت أصلا مع الفاتحين غربا كانت عائلته خارج المكسيك عندما كان القراصنة الانكليز يغزون البحر القاري.

وها قد صممت المدافع منذ زمن بعيد، وجاءت هي عروسة الى هذا البيت العتيق الزاخر بذكريات الماضي... عروسة مؤقتة جاءت للزيارة وليس للإقامة!

كان هناك رواق للصور ذو ثلاثة جوانب وفي طرف من الجزء الأوسط منه أقواس تقود الى الاجنحة الاخرى بالقصر. وكان الجزاءن الايسران والاوسط يحملان لوحات لافراد من الأسرة بينما كان جزء من القسم الاوسط وكل القسم الايمن مبطنين بالخشب الاسود الثقيل.

نظرت ليلي الى الصور مبتسمة، وقالت:  
"هؤلاء بعض اسلافك؟"

فاجاب ابتسامتها بمثلها، وقال:  
"تعالى أعرفك بهم...."

وسارا الى بداية القسم الايسر، واولاً برأسه نحو اللوحة الأولى في الصف قائلاً:

"دون اكزاقبير ما تويل جوزيه باليادي الدوريت."  
فهمت صاحكة:

"ما أروعه!"

قرص خدها برفق مداعباً، وقال:  
"لا تنسى الاحترام!"

ومد يده الى كتفها، وذراعه تحيط بمنكبها في عناق خفيف.

كان دون اكزاقبير - فيما يبدو - هو الجد الذي جاء مع الغزاة وشيد كاراسترانو. ومضيا من الصورة الى اخرى، وهو يحدثها عن الرجال والنساء في تاريخ القصر: دون فيليب، الذي كاد يقضي على ثروة الأسرة في القمار دون ريناتو، الذي انقذ القصر وثرته الدوريت، بالكشف عن أحد كنوز الينكا الذهبية في بيرو وعن أحد مناجم الذهب، وهذه الحسنة دونا روزاليا التي أثرت دخول المير على افزواج من رجل اختارته لها الأسرة وكانت تحب سواه، ووصلا الى رجل ذي ذقن تنم عن العناد، وشفتين رفيعتين قاسيتين، كان ذا شبه مذهل بالرجل الذي وقف الى جوار ليلي، ثم رجل وامرأة لا يشبهان رويلا الا في القليل، بالرغم من أنهما كانا... ايوية! ووفقاً امام الرجل الذي استرعى انتباه ليلي واهتمامها وتساءلت:

"أهو جدك؟"

فهمز رأسه، وزم فمه، ثم قال:

"نعم... أذن، فهو الرجل الذي أجبر حفيدة على الزواج، رغم ارادته."

وتأملت القسمات الجادة السجاء، التي كانت صاعدة اليها بقسمات الرجل الذي تزوجته... لعله أوتي ضاماً كقطاع روبر، ومن هنا كان الصدام بينهما. بالإضافة الى خلاصتها من الخطبة المفسوخة التي ذكرها لها مرة؟ ووجدت ليلي نفسها اكثر فضولاً بصدد الفتاة التي اراد ان يتزوجها يوماً، سيد أنه كان من المستحيل أن تسأله عنها. كانت غروباً غريبة، لا تعرف عن زوجها سوى القليل... بل لا تعرف كيف مات أبواه! ولعله فطن الى نظراتها الفضولية المتسائلة، فقالت في شيء من التردد:

"يبدو أنني لا أعرف الا القليل."  
فقال:

"وهذا ليس عدلاً، لأنني أعرف الكثير عنك."

وابتسم لها محيطاً كتفها بذراعه أكثر أو لعلها تخيلت ذلك، وتجلت رغبته في المداعبة، اذ قال:

"أننى أعرف مثلاً أنك أوتيت ولما يتسلى الاشجار! لابد أن أعرفك يوماً ببعض الهنود الحقيقيين!"

تطلعت اليه في دهشة، وتساءلت:

"ايوجد بعض منهم حقاً؟"

قال:

"قللة ضئيلة في التلال، وفي كاراسترانو بعض افراد يجري في عروقهم دم هندي."

وسارا الى نهاية القسم الاوسط من الرواق، حيث امتدت ردهة ضيقة معتمة، تقود الى الجناح الشمالي. وكانت ثمة ردهة أخرى بطول هذا الجناح، تحيط بها حجرات، وبعض نوافذ تطل على الساحة الوسطى، ونوافذ في الجانب الآخر تؤدي الى شرفات على الجانب الخارجي للقصر. وقال رويلا:

"ان الجناح الجنوبي كان على النسق ذاته، ولما بلغنا نهاية الردهة تحولنا الى القسم الخلفي للدار، حيث غرف الخدم."

وكان هذا الجزء من الدار مغلقاً ببابين ضخمين من الخشب الثقيل، مزخرفين بنقوش محفورة، أما الاثاث فكان مريحاً، بل فخماً، شأنه في الحجرات الاخرى التي كانت مؤثثة بذوق أنيق، يجمع بين الطرازين الاستعماري والحديث.

عادا الى مقدمة البيت، خلال الردهة الوسطى للجناح الجنوبي، فوق قاعة الرقص. كان كاراسترانو مريحاً، بتوسطه فناء مغلق من كل النواحي. وهي المقدمة تحاماً، كانت هناك



ردهة واسعة، تؤدي الى احد جانبي البهو. حيث النوافذ الواسعة التي تطل على الساحة الامامية لكاراسترانو، وتسمع بدخول اشعة الشمس. وكانت هذه الردهة مزودة ببضعة مقاعد عتيقة الطراز من القشب المنقوش والجلد المزركش. هنا بدأت أولى لحظات الحرج فمن هذه الردهة دخلت الى الغرفة الرئيسية الكبيرة، على باب واسع يحمل شعار اكدوريت الذي ابله الزمن ١٠٠ حيث أعدت الغرفة لسيد كاراسترانو وعروسه. كانت غرفة جميلة، ذات باب يودي الى حمام خاص، ولكن ما يبدد جمال المكان، سرير ضخم ذو أربعة أعمدة، وستائر قرمزية وذهبية ١٠٠ وشهقت ليلي على الرغم منها مأخوذة!

لم تستطع ليلي - بكل ما اوتيت من قوة - أن تحول دون تدافع الدماء الى وجهها، حتى أيقنت أنه أصبح بلون الستائر القرمزية. أما رويز فبدأ متعجبا أكثر منه محرجا. وقال: "كان ينبغي أن أفكر في هذا، فإن من الطبيعي أن تعد تشيتا الغرفة الرئيسية".

كانت حقائقها قد نقلت الى الغرفة، ولم يكتحل الفراغها، وكان الخادمة الشابة التي تولت العملية استدعيت لأمر ما سرت لأجله ليلي بيد أن ارتباك العروس لمشاظرت زوجها الغرفة، كان جديرا بأن يثير الاقاويل لو شاهده أحد غير الزوج!

التفت اليها رويز بابتسامة مداعبة، وقال: "هناك غرفة للملايس. واتجه للطرف الآخر من الغرفة، وازاح أحدي الستائر القرمزية والذهبية، فإذا بها تكشف عن باب يؤدي لغرفة صغيرة، ذات رياش لائقة ان لم تكن باذخة وقال رويز:

"كان جدي بعقل الصحة قبل موته، فكان خادمه ينام هنا". ورفقته - بعد لحظة - بنظرة متبردة، وقالت: "حقا، ولكن ١٠٠ ان يثير ١٠٠ أعني، أحسب أن الخدم سيتقولون بهذا الضد!"

هذا صحيح، ولا يغر منه ١٠٠ هنا أختلف الأمر عما كان عليه في الفندق فالعقول حولهما هنا ودودة ومتطفلة. وما من شك في أن من حولهما سيتسألون عما إذا كان السيد وزوجته على شفاق، وأن تكون هذه بداية طيبة. ولو أن الغرفة ضمت سريرين صغيرين بدلا من السرير الهائل ذي الأعمدة الأربعة، لكان ممكنا أن تجد ليلي الشجاعة لأن تقترح أن

يستهفلا الغرفة معا. أما في هذه الظروف، فكان الأمر يختلف. وبينما ذهب رويز ليصدر التعليمات لأعداد فراش الحجرة الصغيرة، اقتربت ليلي من حوائطها لتكمل اقراغ محتوياتها. ولم تكن قد أخرجت سوى ثوب واحد، حين أقبلت خادمة مكسيكية شابة، فبدت مرتاعة لرؤية سيدة كاراسترانو الجديدة لهم باستخراج ثيابها بنفسها. وسمحت ليلي لنفسها بأن تخف جانبا متخذة مركز سيدة القصر، المركز الذي كان مفترضا أن تشغله في كاراسترانو، والذي بدأ غريبا لها ولكنها انصاعت للأمر شاركة ماريما تفرغ الحقائق وعلى اساريها ابتسامة خبيثة وأعجاب ممزوجين باحترام. وأثرت ليلي أن تغتسل استعدادا للعشاء. فلما عادت، وجدت ماريما في انتظارها لتساعدتها في ارتداء ثيابها. ومرة أخرى انصاعت ليلي مسرورة لأن تكون مخدومة، وهي التي اعتادت الاعتماد على نفسها.

كان الثوب الذي اختارته ابیضا، بسيطا، بالغ الاناقة، كان من الثياب التي ابتاعتها لحياتها الجديدة، قبل مغادرتها انكلترا، وغني عن البيان انه كان من نوع ما كانت لتبتاعه لولا المبلغ الذي أودعه رويز المصرف لحسابها. وفتح لها حسابا آخر عندها وصلا الى مكسيكو سيتي، وقبيل دون جدل - إذ تعلمت أن النقاش معه لا يجدي - معترضة الا شكرك من الافادة من هذا الحساب، الا لشراء ما يكون من الطبيعي أن تبتاعه كزوجة رجل غني، دون أن تبسرف.

كانت قد ارتدت ثيابها، واخذت ماريما تسوي لها شعرها، عندما عاد رويز. قابضها لحياتها الجديدة، جعلت قلبها يخفق بشدة ولعله اضطر اليها لوجود ماريما ثم ذهب ليغتسل. وما لبث أن سمعته يعني لنفسه بصوت خافت، قابضها، فابتسمت إذ بدا أن سيد كاراسترانو كان سعيدا في تلك الليلة، الليلة الاولى له في داره ووطنه. وكان لزاما أن تعترف لنفسها بأنها هي الأخرى كانت سعيدة جدا مع أنها لم تنس للحظة أن الوضع مؤقت وعليها ذات يوم أن ترحل الى انكلترا حيث تعود حياتها لسابق عهدها، وأن أصبحت الآن تعرف انها لن تنسى أبدا الرجل الذي تزوجته. طبعاً ليس من الضروري أن تعود حياتها لما كانت عليه تماما، فسيكون يوسعها لو شأنت أن تنشيء لنفسها مشروعا صغيرا، بعد أن دبر رويز ما يكفل لها الاستقلال بدخل خاص بها في المستقبل.

وعندما أصبحت مستعدة للهبوط الى الطابق الاسفل،

صرفت ماريًا وقالت بصوت لابت أن يسمعه روبز في الحجرة الصغيرة:

"سألني نظرة أخرى على رواق الصور، وأقوم بجولة..." فواتها صوته:

"حذار أن تضلي الطريق..." وضحكت مطمئنة إياه إلى أنها لن تضطرها لإرسال حملة للبحث عنها.

عندما التقيا بعد فترة في قاعة الجلوس، شاهدت ثانية جاذبية الرجل الذي كانت تظنه يوما داعيا للنفور، كان يرتدي

بزة سهرة تناسب المنطقة الحارة، وقد رفع رأيه الأسمر بكبرياء غير متعمد، وعيناه السوداوان تبتسمان لها وسألها:

"ألم تجتاجي لخملة للبحث عنك؟" فضحكت وهزت رأسها قائلة:

"المكان مخطط بحيث يصعب أن تتوه... انه جميل يا روبز..." بدا انه مسرورا جدا لأن كاراسترانو راق لها... وبعد أن

قدم لها كأسا من الشيري، التفت إلى الحداث في البادية خلال اقواس الشرفة وقال:

"ما أحسبني أدركت مدى افتقادي لهذا المكان حتى عدت إليه..."

فسألته:

"ما الذي دفعك لتركه؟" ما أن نظقت بالكلمات حتى تمنعت لو استطاعت أن

تسحبها، فما كانت لئحب أن توحى بالفضول، لاسيما أنه بدا عازفا عن الحديث عن نفسه، عندما ذكرت له أنها لم تكن

تعرف عنه إلا القليل. ولكنه لم يضق بها هذه المرة، بل قال وعلى وجهه الأسمر تجمعا:

"لأنني تتاجرت مع جدي..." ولعبت الوميض المتهمك الذي ندر ظهوره في الفترة

الآخيرة:

"بشان امرأة، في الواقع..." قالت:

"أهي التي كنت قد خطبتها؟" وبادرت تردف معذرة، "أسفة ما ينبغي أن أتطفل هكذا..."

هز كتفيه قائلا:

"لم لا؟ ربما من الأفضل أن تعرفي، فلا بد أن يخبرك شخص ما؟" قالت:

"لم أتفالك نفسي من الاهتمام..."

وترددت إذ أوشكت أن تقول الفضول، ولكن هذه الكلمة كانت كفيفة بأن توحى بالطفل. وأضافت تتذكر أسئلة اختها

الصبية تيس المداعبة المستحيبة:

"لا سيما بعد الذي قلته في حفلة التوأمين..." ابتسم إذ ذاك ابتسامة شبه صيانية، وقال:

"لم يكن لدي أختك الصغرى أية مخاوف من لقاء الأسئلة..." فسألته بلهفة:

"ألم تتضايق منها؟" قال:

"كلا، في الواقع..." لو كنت تضايقت، لرفضت أن أجيب...

فعلا كان يمكن أن يتصرف هكذا... أن يتراجع وراء حاجز الانكماش الجامد والتحفظ. لكنه أخذ الكأس من يدها،

ووضعها على خزانة الخضوبات ذات القمة الزجاجية، وقادها إلى مقعد وثير، وقال:

"تمالي، فاجلسي..." وظل واقفا، مبتسما وسألها:

"من أين تودين أن أبدأ؟" قالت:

"ربما..." وتوقفت، ثم سألته وهي ما زالت مترددة:

"كيف مات أبوك؟" وأسرت مردفة:

"ولكنك أخبرتني بهذا من قبل..." فقال:

"نعم..." وأنا بعد أفيق من لقاء جيرونيمو، كان يشير إلى يوم فاجأها في دور الهندية الحمراء، وابتسم في مداعبة ثم

قال:

"ماتت أمي عند مولدي، أما أبي فمات بعد ذلك ببضع سنوات، مات في حادث، وهو على صهوة جواد..."

"وتولى جدك تنشيتك؟" أومأ برأسه، وقال:

"لعلي كنت مرهقا لهما..." أحسبني كنت... جامحا...

وابتسم فضحكت ضحكة خفيفة، واسترسل قائلا:

"أنا أهل المكسيك من أصل إسباني، ولعلنا - كما تزعم الدنيا - أكثر استعدادا للإثارة العاطفية من غيرنا..."

وهز كتفيه، دون ما ارتباك، وهو يقول:



"ما كانت مغامراتي الغرامية تزعجهما، طالما كنت أحوضها بتعقل، ولكنهما عارضانني حينما رغبت في الزواج من إحدى صاحباتي."

وتأمل النظر إليه مباشرة، ثم أضاف بعد لحظة:

"كان اسمها ميرسيدس لاسترو، راقصة في ملهى دون الدرجة الثالثة" تطلعت إليه إذ ذاك فرأت في تلك اللحظة في الذات - إمارات استهجان ممزوج بالعجب ولكنه كان يستهدف نفسه بها. وعاد يقول:

"بالرغم مما قلت عن تجاربي، فإنها كانت أكثر تجربة مني بقليل، كان يبدو أن كل امرئ كان يرى حقيقة كنهها... إلا أنا."

وكان ثمة أصرار على ألا أتزوجها، ولكنني قررت العكس، وغادرت كاراسترانو. كنت أعرف ما يترتب على ذلك وكنت مستعدة للمضي فيه، واختوشن صوته وهو يقول:

"والظاهر أن ميرسيدس لم تكن مستعدة، كنت أظنها ستقبل الانظفريشي من كاراسترانو."

نسأله ليلي باستحياء، وقد بدأ الأمر يتخذ وجهًا جديدًا:

"ولكنها... لم تتقبله؟ كانت تظن من قبل أنه لم يكن قد بلغ سن الرشد، وأن مجرد رفض السماح له بالزواج، هو الذي حال بينه وبينها، وقال في شيء من العجب، ولكنه ظل عجيبا مستهجنًا:

"لم تتقبله. ذهبت لشراء زهور الزفاف، فلما عدت لم أجد ما بدا أنها كانت تود الزواج من كاراسترانو وثروة الجد، وليس رويز الدوريت... وفي تلك السن، يبدو أن المرء يأخذ الأمور مأخذ الجد في مبالغته، ظننت أريد ما، ولكنني كرهتها، وألقيت اللوم على جدي لرفضه استقبالها في كاراسترانو... لم أعد أهتم بأي امرئ هنا... بل أنني هجرت البلاد، وذهبت إلى إنكلترا، حيث أهل أمي التي كان يبدو أن زواجها بأبي أثار بعض الشحاء، إذ لم يكونوا راغبين في زواج ابنتها من أجنبي، ولكنها خرجت على أرائتهم وتزوجته. كانت ثمة مرارة باقية، فسرهم أن يستقبلوني إذ لاح أن في ذلك صفة لال الدوريت في كاراسترانو. وسرت أنا الآخر بذلك، إذ كنت ألقى على جدي اللوم على كثير مما حدث. وأشركوني في هوس ميريديت... وأنت تعرفين بقية ما جرى."

أجل، كانت تعرف ما جرى... قتل حسيك، كسير القلب، فاقم على الفتاة التي أحبها لغدها به، وعلى الجد الذي

كان يعرف عنها ما يكفي لأن يرفض أن يتقبلها كسيدة مقبلة لكاراسترانو. وكثيرا ما يكره المرء شخصا حاول العمل لخير، ومن المحتمل كذلك أن دون ديبغو تصرف في غطرسة وتعصب، فإن تصلب عضلات عنقه - في صورته - كان ينم عن كبرياء متعنت كاف لأن يقصى رويز عن كاراسترانو - الذي كان يحبه - إلى اقارب غير معروفين في إنكلترا، ولعل رويز فكر في الإيعود أبداً، وحاول طيلة الوقت أن يكره الدار التي أحبها أكثر مما أحب أي شيء آخر في الدنيا، وأن يغفل قلبه دون أن تدري أنه حدث... أو على الأقل رآته يحدث. ولكنها لم تفهم. أن صفتها - التي أقدمنا عليها كعملية مصلحة دون أية عاطفة - فظيعة، بل بشعة - ثم أخذت بشاعتها تخف قليلا، أراء طلبها العجيب بأن يتظاهر بأنه يهواها أمام أسرته، وعلى ما يبدو فإن كل المرأة القديمة قد انزاحت، وأصبح على استعداد لأن يبدأ حياة جديدة، وربما لأن يقع في الحب من جديد، ولعل هذا ما كان سيحدث إذا ما وضع نهاية لزواج العمل."

وعبست دون أن تظن وهي تعجب من أن هذا ما كان يحدث فيها مسرة تذكر. لقد انغلق منذ البداية على أن هذا ليس سوى زواج عجل، وما كان من حقها هي أن تود تبديل ذلك، ولا كانت لديها فكرة عما يدعواها لأن تود ذلك.

أم تراها كانت توده؟ أن حيا واحدا خاب، كان صدمة كافية وما كانت من الحماقة بحيث... مست تغضبات العيوس بين حاجبيها أصبع سمراء، أصبع رويز وقال:

"أنك عابسة كل العيوس. ما الذي يشايفك؟ أهى قصتي؟"

"نعم... أعني أنني شعرت بالأسف من أجلك... ودما حدث..."

"لا داعي لأن تأسفي، حدث كل هذا منذ زمن طويل..."

وبسط يده نحوها مبتسما، إذ انبعت رنين يتبهاها، وقال:

"الآن... هل ننتقل للتناول العشاء؟"

نهضت ليلي مسرعة، وبالرغم من أن العيوس زایل محياها، فإنه يلزم ذهنها، وهي تحاول أن تثبين الداعي له. أهى فكرة أنتهاء زواجهما، وهي التي عرفت من البداية أنه لابد أن ينتهي؟

## ١ - على صهوة الجواد

رفعت ليلى رأسها عن الرسالة، إذ أقبل رويز إلى الغرفة، وقالت:

"أنه من كيري، هل تتذكرها؟ أنها الأخرى ذات شعر أحمر". فقال بلهجة محيرة:

"أنني أذكرها جيدا. أعتقد أنها الأخرى كانت في مطعم ريكي في يوم ذي ذكرى معينة. وقالت رأيا يشبه رأيك نوعا ما. فتصريح وجه ليلى ولكنها ضحكت قائلة:

"ما أحسبك ستتركني أنسى هذا".

قال:

"قد لا تنسبه حتى أجعلك تعتقدين عكسه".

وبدت مترددا لحظة، ثم دس يده في جيده، فأخرج صندوقا صغيرا وقال:

"أذكر أنك أعجبت بفرط من طراز الأرتيك، وقد أمرت بصنع واحد لك".

فتحت ليلى العلبة، فرأت قرطين من الذهب كانا مطابقيين تماما للقرطين أعجبت بهما في المتحف، ووضعت عيناها ابتهاجا، وبدافع لا إرادي، اندفعت لتقبل حده. وتصرج وجهها إذ فطنت لما فعلت، ولكنه لم يبق إلاثقة بالحركة اللاإرادية، بل ضحك مداعبا، وقال وعيناه السوداوان تتأملان ارتباكها في مزح:

"أحسن طريقة للتعبير عن الشكر. أظننتي سأضطر لشراء مزيدا من الهدايا".

فقال:

"أنك أفرطت في الكرم حقا".

هز رأسه، وأضاف وفي عينيه بريق مداعب:

"من الذي لا يحاول أن يكون كريما أراء حافز كهذا؟"

كان في عينيه وميض داغيء أخذ ينمو باطراد خلال الشهرين اللذين قضياهما في كاراسترانو، وابتسمت ليلى ولمست الرصعة المعدنية في حزامه الجلدي، وقالت:

"أراك متأهبا لركوب الخيل".

ولم يكن يرتدي ثياب الركوب المتعارفة عليها، كما كان يفعل في انكلترا، بل كان يرتدي ينطلقوا اسود، غاب طرفا ساقيه في خذاءين قصيرين، وقميصا حريريا ابيض مفتوحا عند الرقبة، وحزاما عريضا مرصعا بقطع فضية. لم يكن يشبه الرجل الذي كان يطلي عليها الرسائل في المصنع، في انكلترا! أوما برأسه، وقال:

"هل تستطيعين أن تحتجلي درسا آخر؟"

"تهتفت لكم أنمنى؟"

وصعدت لترتدي ثياب الركوب، وكانت نسخة أنثوية من ثيابه، وأكثر إشراقا من ثياب الركوب العادية. وتوجت رأسها بقبعة واسعة الحواف. عندما واغت رويز، كان يقف عند رواق الصور، يتأمل اللوحات باستغراق. وكان ثمة منديل حريري أحمر كان عقد حول رقبته، وأحدى القبعات العريضة الحواف - المألوفة في تلك البلاد - مدلاة على ظهره من شريط جلدي حول عنقه.

ولم يبد انتمائه للأصل اللاتيني صارخا كما كان في تلك اللحظة، فوفقت عند مدخل الردهة الجانبية الخفية إلى مخدعها، تتأمله - دون أن يظن - وتعجب مما إذا كان يفكر في الخطط الطويل من آل أندوريت الذي كان ينتهي إليه. وقالت بصوت ظننته خافتا، وهي تتقدم دون أن يظن إلى أن صوتها كان مرتفعا:

"كل هؤلاء الرجال والنساء بضربون في سنين الزمن... وأنت آخرهم. هل نترك الماضي الآن، ونتلقى درسا في الركوب؟" هبط سويا، وخرجا إلى الممرقة الممتدة حول البيت، وهبطا الدرجات التي في الجزء الخلفي، إلى الساحة الخارجية، حيث كانت الحظائر مقامة، وحيث الفرسة الكسثنائية التي اعتادت ليلى ركوبها منذ وصولها إلى كاراسترانو - بصهيل خافت، فريقت عنقها الناعم برفق. وبينما كان السائس يسرع لها الفرسة، التفتت إلى حيث كان رويز يتلقى لمسات منبهجة من جواد اسود صار، أصيل وسففته يقول:

"ليس اليوم يا خوان... ربما غدا".

وعندما انطلق إلى جوارها هذه المرة، كان على جواد أشيب مشير للأعجاب.

كانت مليدا فريستها سلسلة القياد. على أن ليلى كانت على أية حال - قد أصبحت تجيد الركوب - فقد اعتاد أبناء



## ١ - على صهوة الجواد

رفعت ليلى رأسها عن الرسالة، إذ أقبل رويز الى الغرفة، وقالت:

"أنه من كبري، هل تتذكرها؟ أنها الأخرى ذات شعر أحمر". فقال بلهجة محيرة:

"أنني أذكرها جيدا، أعتقد أنها الأخرى كانت في مطعم ريكي في يوم ذي ذكرى معينة". وقالت رايأ يشبه رايك نوعا ما "فتصرح وجه ليلى ولكنها ضحكت قائلة:

"ما أحسبك ستتركني أنسى هذا". قال:

"قد لا تنسى حتى أجعلك تعتقدين عكسه".

وبدت مترددا لحظة، ثم دس يده في جيبه، فأخرج صندوقا صغيرا وقال:

"أذكر أنك أعجبت بقرط من طراز الآزتيك، وقد أمرت بصنع واحد لك".

فتحت ليلى العلبة، فرأت قرطين من الذهب كانا مطابقين تماما لقرطين أعجبت بهما في المتحف. وومضت عيناها ابتهاجا، وبدافع لا إرادي، اندفعت لتقبل حده، وتصرج وجهها إذ فطنت لما فعلت، ولكنه لم يضق البيت بالحركة اللاإرادية، بل ضحك مداعبا، وقال وعيناه السوداوان تتأملان ارتباكها في مرج:

"أحسن طريقة للتعبير عن الشكر". أظننني سأضطر لشراء مزيدا من الهدايا".

فقال:

"أتك أفرطت في الكرم حقا".

هر رأسه، وأضاف وفي عينيه بريق مداعب:

"من الذي لا يحاول أن يكون كريما أراء حافز كذا؟"

كان في عينيه وميض دافئ، أخذ ينمو بإطراد خلال الشهرين اللذين قضياهما في كاراسترانو. وابتسمت ليلى ولمست الرضعة المعدنية في جزامه الجلدي، وقالت:

"أراك مبتاهيا لركوب الخيل".

ولم يكن يرتدي ثياب الركوب المتعارف عليها، كما كان يفعل في انكلترا، بل كان يرتدي بنطلونا اسود، غاب طرفا ساقيه في حذاءين قصيرين، وقميصا حريريا ابيض مفتوحا عند الرقبة، وحزاما عريضا مرصعا بقطع فضية. لم يكن يشبه الرجل الذي كان يحلي عليها الرسائل في المصنع، في انكلترا، أوأما برأسه، وقال:

"هل تستطيعين أن تحتجلي درسا آخر؟"

"نهفت لكم أتمنى؟"

وصعدت لترتدي ثياب الركوب، وكانت نسخة أنثوية من ثيابه، وأكثر أشراقا من ثياب الركوب العادية. وتوجت رأسها بقبعة واسعة الحواف. عندما وافقت رويز، كان يقف عند رواق الصورة، يتأمل اللوحات باستغراق. وكان ثمة منديل حريري أحمر كان عقد حول رقبته، وأخذت القبعات العريضة الحواف - المألوفة في تلك البلاد - مدلاة على ظهره من شريط جلدي حول عنقه.

ولم يبد انتماؤه للأصل اللاتيني صارخا كما كان في تلك اللحظة، فوقفت عند مدخل الردهة الجانبية المغضية الى مخدعها، تتأمله - دون أن يظن - وتعجب مما إذا كان يفكر في الخيط الطويل من آل الدوريت الذي كان ينتهي اليه. وقالت بصوت ظنله خافتا، وهي تتقدم دون أن يظن الى أن صوتها كان مرتفها:

"كل هؤلاء الرجال والنساء يضربون في سنين الزمن، وأنت

آخرهم. هل نترك الماضي الآن، وننتقل درسنا في الركوب؟"

هبطا سويا، وخرجا الى الشرفة الممتدة حول البيت، وهبطا الدرجات التي في الجزء الخلفي، الى الساحة الخارجية، حيث كانت الحظائر مقامة، وحيث الفرسة الكستنائية التي اعتادت ليلى ركوبها منذ وصولها الى كاراسترانو - بصهيل خافت، فريتت عنقها الناعم برفق. وبينما كان السائس يسرح لها الفرسة، انتفتت الى حيث كان رويز يتلقى لمسات منيهة من جواد اسود صار، أصيل وسبعته يقول:

"ليس اليوم يا خوان... ربما غدا".

وعندما انطلق الى جوارها هذه المرة، كان على جواد أشيب مثير للعجب.

كانت مليدا فرستها سلسلة القيادة. على أن ليلى كانت على أية حال - قد أصبحت تجيد الركوب - فقد اعتاد أبناء

ديرموت منذ الصغر التردد على المزرعة التي نشأت فيها  
كيري، وكانت فيها بعض جياة صغيرة، فكان ركوبها مع روبر  
مجرد إعادة مران على التدريب.

\* \* \*

راحت ليلى تزهق روبر خلسة، كانت الشمس قد اشتدت،  
فارتديا قبعتيهما، وبدا أن القبة عريضة الخوافاء وقد مالت  
قليلا على رأس روبر فأبرزت فنتها السوداء، وأجست  
بأنفاسها تحتبس في حلقها، وهي تتأمل أشعة الشمس  
تتراعى على قساعات وجهه الخاد.

واذ ابتعدا مسافة عن كاراسترانو، ترجلا، وأخذا يطلان على  
المينى من قمة تل. فبدا ليعني ليلى أجمل مما كان حين وأته  
أول مرة وأن كانت عرفت أن جماله الخالم يخفي بعض لمسات  
حديثه جداء مثل ذلك الجنى الطويل المنخفض، الذي أقيم  
على هضبة منبسطة، ليكون مكانا لطائرة صغيرة، ومثل ذلك  
النطاق من الأشجار إلى جنوب من كاراسترانو، وقد توارت  
خلالها محطة توليد الكهرباء لإمداد القصر والقرية الصغيرة  
القرية، كان القصر قديما جدا، ومع ذلك فقط ارتبط - بفصل  
العلم الحديث - بالحاضر المعاصر.

التفتت إليه مبتسمة، وقالت:

"أنه يبدو أجمل مما رأيته أول مرة. الآن أفهم أنك كنت  
مستعدا لأن تفعل أي شيء لتسترده."

قال بهدوء:

"نعم، كنت مستعدا لأن أفعل أي شيء، ولو كان غير مستحب  
- كما كنت أرى الزواج المفروض إجبارا - ولكنني أجد أن  
زواجنا هذا أبعد من أن يكون غير مستحب."

والثقت نظراتها بنظراته لحظة، وهي تحمل نفسها على أن  
تبدو وكأن كلامه أية حجة أخرى، ثم قالت بلهجة عذوبة،  
وهي تتحاشى نظراته:

"شكرا لك جانا تراك ستفعل عندما تدعو الحاجة لإنهاء  
هذه الصفة؟"

وظل برهة لا يجيب، فالتفتت لتواجهه، متسائلة:

"هل ستعيش هنا وحيدا؟"

مد يده فأدار ليلى لمواجهته تماجا، وتفرس في عينيها،  
وقال بصوت أجش قليلا:

"هل ستعودين لالقاء المحاضرات؟"

عصت ليلى شفتيها، ثم عادت إلى تقادي نظراته - وهو  
الأسلوب الأسهل - وقالت:

"أحسبني كنت على وشك، ولكن لا يتبقي ذلك... فليس هذا  
من شأني."

فقال برصانة:

"بل قولي... لعلني أجد محاضراتك طريفة... وربما تكون  
مفيدة. وأردف باقتضاب: على أية حال يبدو أن جدي دون  
دييغو كان يحظى بمشورة ملحاحة."

قالت:

"ليس الأمر هكذا... أنني أرى انكما كلاكما عنيدان، وأنت  
لا تخالف جانا بريد، إلا أنه حاول أن يأمرك به أمرا!"

قال في عجب خشن:

"شكرا لك."

ورمقته إذ ذاك، فلم يبد عليه غضب أو ضيق. وسألته:

"هل قدر لك أن تراه، بعد أن تحدثت كاراسترانو؟"

قاوما برأسه، قائلا:

"مرة واحدة."

"منذ عهد قريب؟"

"قبل حوالي ستة أشهر."

هزت رأسها، وكان هذا كان يعزى شيئا دار بخلدها، وقالت:

"أحسبني الآن أدرك السبب في أنه أثبت ذلك الشرط في  
وصيته. لعله كان يعتزم أن يدعك تستحوذ على كاراسترانو،  
على أية حال، ولكنه كان يحاول أن يضمن ألا ينقطع خط  
السلالة. ونحن ادهش قط إذا ظهرت في وقت لاحق وصية  
تمنحك كاراسترانو، دون ما قيد ولا شرط، إذا رفضت الرضوخ  
لشروط الوصية الأولى."

"ماذا كان يدعو لعل هذا العناء، إذا كان ينوي أن أظهر  
بكاراسترانو، على أي الأحوال؟"

"قلت لك، أنه كان يحاول أن يكفل ألا يؤول كاراسترانو - بعد  
موته - للأحراب، ويحتمل أنه حين رآك منذ ستة أشهر، شعر  
بأنك لن تتزوج قط..."

وتوقفت لحظة، دون إرادة منها، ثم واصلت الحديث:

"أنني شخصيا كنت موقنة من أنك لن تتزوج أبدا. كنت تبدو  
أبعد مخلوق صادفته عن العواطف."

ومرة أخرى، قال:



"شكرا لك."

فبادرت قائلة:

"لا تقطع استرسالى، أنت طلبت أن أحاضرك."

وبدا كأن قوة عزيمة تسوقها ولم يعد بوسعها التوقف، فبادرت تقول:

"كان يريد أن يملكك كاراسترانو ولكن من المحتمل أنه كان يخشى أن تكتفى بالمجيء، والاستحواذ على القصر، والإقامة وخيذاً، وبذلك... واختلج صوتها قليلاً، ولكنها واصلت الحديث:

"بذلك لن يكون ثمة وريث لكاراسترانو، ويموت اسم الدوريت. في رأيي أن هذا السبب في أنه صاغ وصيته على ذلك النحو وليس لأنه كان يحاول أن يفرض عليك أمراً"

\*\*\*

ساد صمت طويل، ثم تحول رويبر داسا يديه في جيبه، وهو يطل من فوق التل على كاراسترانو - وتساءل:

"أذن، فمن رأيك أنه كان ينبغي أن أرفض الشرط، وانتظر الوصية اللاحقة - التي تفتريتها - حتى تظهر؟"  
"قأت الفرصة الآن، وعلى أية حال، فإني قد أكون مخطئة، ولا تكون هناك أية وصية أخرى."

"ولكن من المحتمل أنك لاتزالين تظنيني أغش، إذ أتخذت هذا المخرج وأنه كان جديراً بي أن أدير زواجاً عادياً باختيارى، لتوفير وريث لكاراسترانو؟"

كان صوته قد أصبح خالياً من أي تعبير عما في نفسه، مما لم يفتح لها فرصة لأن تحدد أكان مفضلاً أم غير مكترث لها قالته... فقالت محاولة معرفة ما بنفسه:

"قد لا طلبت أن تقع في الحب بالطريقة الطبيعية\* ولكنه هر رأسه في تأكيد حاسم، وقال:

"لا أظن!"

وكان ما يزال يتفادى النظر إليها، فلم يكن بوسعها الحكم على ما يدور برأسه. ثم استأنفت الحديث قائلاً:

"أذن، فأراى النهائي أنني بالاستحواذ على كاراسترانو بهذه الطريقة، أغش بالنسبة لبنود الوصية، أن لم يكن بأجراء مكتوب، فمن طريق نية غير مكتوبة."

قالت مترددة، مدركة أن كلاهما كان شخصين، ولم يكن

له داعي: "تقريباً!"

قال مواصلاً لهجته القاسية:

"أذن، ففي رأيك أن الحاجة إلى زواجنا تنتهي، إذا ما اكتملت الإجراءات القانونية، وأصبح كاراسترانو ملكاً لي دون ماشك... عندها ينقضم الزواج، وأشرع في زواج عادي باختيارى، لأنجب وريثاً لكاراسترانو واكفر عن محاولتي للغش؟"

قالت:

"نعم... وأبقت نظراتها مشدودة إلى الأرض، وقد أدركت كيف تحول الحديث إلى مجرى عجيب وغير عادي."

وعاد يتكلم:

"ولكن ما الذي يجعل هذا ضرورياً؟ وبدا لها أن صوته تغير، بشكل لم يعد من الميسور تحديده، وتحول إليها أخيراً، وشدت قبضتها على كتفها يخزم، وسألها بهدوء:

"هل تمنعيني وريثاً لكاراسترانو برضاؤك؟"

ورفعت رأسها وهي تشفق، ثم أجملت إذ التقت نظراتها بنظراته، وبينت أنها كانت تحبه، وأنها كانت كذلك منذ مدة

وقطعت عليه كلامه، قائلة وقد استعادت صوتها:

"أرجو ألا تتحدث عن المال في هذا الصدد".

فابتسم قائلاً:

"كنت أدرك أنك ستقولين هذا".

ساد الصمت لحظة، ثم هز رأسه وقال:

"أجد كلمات مناسبة لأقناعك". أردت أن أسألك أن تبقى هنا

معى، بدلاً من العودة إلى الكلترا، فإذا بي لا أتكلم إلا عن

المال".

"الكلمات تسعف فقط الناس المنمقين عندما يريدون

التعبير".

أفلتت الكلمات منها دون إرادة، ولكن بدا أنها راقت له

فشدّها إليه، واحتى رأسه، وأحبست بذفيه يديه وقال:

"ما أحسبني منفراً لك فبادرت قائلة، كلا".

قال: "أنك فقدت الرجل الذي تحبين". وأحس بجسدها

يتصلب فلم يفهم السبب على حقيقته، وواصل الحديث ولكن

الحياة قد تكون خائفة في كاراسترانو، والزمن يقتل الأليم".

وتحولت لتتطلع إليه، وسألته:

"هل كنت تحبها حياً؟"

فتحرك الرأس الأسير نخباً وقال:

"كنت أظنني كذلك ولكن هذا مات من زمن طويل. المرء يظن

أن الأليم سيستمر للأبد، ولكن... ولكن... إذا به يتبدد ذات

يوم، ويدرك المرء أن الحب خرافة شاعرية".

سألته ليلى بهدوء:

"الآن، ألم تعد تؤمن بالحب إطلاقاً؟"

فهز رأسه ثانية، وقال:

"الحب المثالي الذي يؤمن به أهل الخيال؟ ليس يكفي أن

يتعين الرجل والمرأة أن يوسعهما أن يعيشا في صداقة؟"

ودت لو تقول له أن منطقته خطأ، وأن الحب حقيقة، وأنه

يأتي مرة واحدة، أما الذي يموت فهو الأختان، ومات

اقتنائها ببروس بسهولة وسرعة، وعندما واجهه الحب

الحقيقي، ولعل لمسة من التعب الذهبي بدت على وجهها،

فأدارها نحوه ليتفرس في أساريرها، ثم اشتدت ذراعاها

حولها، وبعد لحظة أبعدتها عنه وهو جمسك بها، وأطل على

وجهها المتضرج... وصمدت لحظة للابتسامة المخيرة التي

أبرقت عيناه. وقالت:

"أكان هذا... لتغريبي بالافتقار؟"

وبدا للحظة أنه يفكر ثم هز رأسه قائلاً:

## ١١ - ولادة حب

ساد الصمت لحظة طويلة، وليلى تحاول أن تتبين كيف حدث لها شيء كهذا. لابد أنه ظل يزحف عليها وقتها، وهي لا تفطن. والواقع أنه أوضح أمورا كثيرة، إذ أصبحت تتبين ما كان وراءها، كيف برئت سريعا من ظننها بأنها تحب بروس... الرغبة القوية العجيبة في ألا ينتهي هذا الزواج، هذا وحده كان كفيلا بأن يجعلها تدرك ما كان يطرأ عليها. كان روبر قد غاد من زيارته الأولى لكاراسترانو متغيرا. وقد أذاب وطأة المسنين الباردة، وأصبح بذلك شخصا مختلفا كل الاختلاف. أصبح رجلا يجتذب النساء على الفور، بمفناطيسية لا يمتلكها سوى القلة من الرجال. لذلك لم يكن ثمة عجب يذكر في أن شعورها نحو بروس جات بسرعة مينة طبيعية.

ورق صوته إذ أساء فهم الذهنة والاحفال اللذين اغترياها، وظننها قد نتجا عما قاله: أسف لأنني روعتكم إلى هذا الحد. يبدو أن الفكرة لم تخطر ببالك قط. لم تخطر؟ ما الذي كان وراء انشغالها بشروط وصية دونديغو؟ أكانت رغبة صادقة في ألا يموت اسم عريق، وأنه ما كان ينبغي لروبير أن يتحايل ليسترد القصر الذي أحب، ولعله يلوم نفسه على ذلك، أو لعلها رغبة شخصية خفية كانت هناك، رغبة عميقة في أن يكون هذا الزواج أكثر من مجرد صفقة المصلحة التي بدأ بها؟ رغبة في أن تكون حقيقة له، بكل ما في هذه الصفة.

ولما واصلت الصمت انزلت يداها عن كتفيها، والمتفتت

ذراعاها حولها، وقربها منه قائلاً:

"أهو أمر صعب جدا؟"

وحاولت ليلى أن تتكلم فكانها كان ثمة شيء يسد حلقها،

وقد تتماثل سوى أن تتطلع إليه صامتة، وقد اتسعت حدقتها، وارتجفت شفتاها قليلا.

قال وفي صوته العميق، الناعم، رنة الحراء:

"لا داعي لأن نبقي هنا طيلة الوقت، إذا كنت تودين مزيدا

من المرح. من الممكن أن تكون هناك زيارات لمدن المكسيك،

كما أن هناك فيلا على الساحل. أنني أعرف أن النقود لا تعني

لك الكثير، ولكنني غني وفي وسعك أن..."



"كلا يا عزيزتي، أظنه كان لأبيات أن ألم فقدان الرجل الذي تحبين يمكن أن ينسى!"

وبقيت متكئة على ذراعها، وهي تود لو تخبره بأن بروس لم يعد يعنيها في شيء ولكن كيف تصارحه بحبها له، وهو لم يذكر شيئاً عن حبه لها ولكنها شعرت بالارتياح لرغبته ببقائها، ولم يؤلمها أنه لم يحبها بعد، فالحب قد يأتي فيما بعد، ولو أنه لم يكن قد شعر نحوها بشيء ما، وأرادها أن تبقى معه لتجنب له أبناء، فكان هذا أمراً لا لا يطاق؛ لقد اتكنت مدلولتها لأن تنبئه إلى واجبه نحو كاراسترانو، على نحو لم تتوقعه، ولكنها لم تأسف لذلك.

وسمعت نفسها تسأله في استحياء: هل ذاك من أجل كاراسترانو فحسب؟

ولم تتمالك أن تشعر أنه سؤال سخيف، وتأملها لحظة، ثم هز رأسه، وكأنه تبين لتوه أمراً، وقال بتوعدة: بل لأنني أبعدك قد أصبحت جزءاً من حياتي، وأرى بوسعنا أن نساعد معاً وأن لم نستطع أن نتحاب.

"أبكون هذا عسيراً؟"

وابتسم أذ حاولت تتكلم، فلم تستطع سوى أن تهمس باسمه، وقال:

"لا تحاولي أن تبني الآن. سنعود إلى كاراسترانو، وهناك فكري ملياً، ثم لعك تمنحيني الليلة الجواب الذي أود سماعه."

وهكذا عادا إلى كاراسترانو، وفكرت كما قال، ولكنها كانت على استعداد لأن تعطيه الرد في الحال. كانت مفادرة كاراسترانو، وتركه لتحلل أخرى مكانها، أشبه بتمزيق كل شيء حي في جسدها.

عندما جاء إليها في تلك الليلة، كانت النواقد مفتوحة، والنسيم اللطيف المنحدر من التلال القريبة يحمل أريج ورود كاراسترانو، لو أنها اضطرت إلى أن تبرح كاراسترانو، فأنها بقيت كانت ستظل دواما تذكر هذا، أكثر مما تذكر أي شيء آخر، عدا الرجل الذي تتركه هناك، أما الآن فكان مقدرًا لأريج الورد أن يلازمها على الدوام.

كانت تجلس إلى المرأة ترتب شعرها الطويل، حين دخل الحجر، وتوقفت بحركة غير أرادية، والفرشاة معلقة في الهواء، فأغذها من يدها وجلس إلى جوارها، قائلاً:

"دعيني أعمل هذا عنك!"

وجلست ليلى جامدة ويده السمراء تعمل الفرشاة في الشعر الحريري. وفجأة أفلت الفرشاة، ورفع الشعر الناعم إلى وجهه، محنياً به حده الأسمر. وقال:

"شعر جميل يا عزيزتي... لا تقصيه أبداً."

قالت بصوت مرتجف، وهي لا تكاد تدري ما كانت تقول:

"لقد فكرت في ذلك أحياناً، فهو يبعث ارتعاجاً."

قال:

"أنه جميل جداً، وصارخ بالانوثة، لا أحب الشعور القصيرة."

ابتسمت ليلى ولكنها قالت: ولا يزال صوتها مرتجفاً:

"يقولون كلما طال الشعر قل العقل."

"بوسعي أن أشهد لهم بأنهم مخطئون."

كانت ليلى يوماً سكرتيرة عظيمة الكفاءة.

وأردف بصوت مبحوح:

"ولكنني أفضل زوجتي الجميلة جداً."

وشعرت ليلى بأنها ترتجف قليلاً، وقالت:

"ما خطر لي وأنا أعيل لديك - أن من الممكن أن يكون الأمر كذلك..."

فقال بلطف:

"أظن أن كلا منا كان يخفي عن الآخر شعوره ولا بد" ثم ضحك فجأة، وقال برثاً: مشترب:

"أن هؤلاء الشيوخ المسنين ماكرون. وأني لا أسأل! أكان جدي يعرف أن هذا سيحدث؟" فزيمته وقالت:

لعله كان يعرف، ثم أضافت مستحبة أمام نظراته الدافئة، وقالت:

"تري هل تمنع في أن يحدث؟"

هز رأسه، وعاد يبتسم قائلاً:

"من الحماقة أن يتمنى رجل أن يأتي إلى هنا وحيداً، ويعيش بقية عمره وحيداً. وأني لمسرور لأنني لم أرتكب خطأ السماح لك بالعودة إلى انكلترا."

وأطبقت يداها على كتفيها، وتفرست عيناها السوداوان في وجهها، وهو يردف:

"وأنت... يا ليلى الدوريت؟ هل تدانعين في أن يحدث هذا؟"

قالت بصوت خافت:

"كلا، لا أمانع البتة. بدا أن ردها كاف فتركت يداها كتفيها، وشدها إلى أحضانه. كان هذا كافياً كبدائية، لعل الحب يأتي في وقت لاحق، إذا كان القدر رحيماً."

مجرد تبار على نافذة قذرة.

ولاية امرأة في وضع ليلى مع زوج أيقنت الآن أنها مدلهة به، كانت فكرة وصول ستيل المثلقة، لتبسط تأثيرها الانثوي على رجل تحرر من تحفظه فأصبح أكثر تعرضا للتأثر مما كان قبل بضعة أشهر... كانت الفكرة مروعة، ولكن ليلى شعرت في الوقت ذاته يخفقات من اللهفة لأن ستيل كانت تمثل الأسرة وقد ودت ليلى أن تعرف جميع أعضاء الأسرة مدى سعادتها.

قالت لزوجها بهدوء:

"سيكون من الجميل أن نرى ستيل ثانية... وهي تقول أنها ستحمل فيلما أمام رامون تالمونت، اليس هو الذي قابلنا في المطعم عندما أتينا للمكسيك؟"

قاوما رويبر برأسه، وعيناه تتأملان زوجته بفضول، وقال:

"نعم... الظاهر أنه واسع الشعبية."

وأمسك لحظة ثم قال:

"ليس ثمة ما يمنع من فتح دارنا في مكسيكو سيتي، وسأخذ الإجراءات لأرسال بعض الخدم اليها، وتستطيع اختك أن تمكث معنا هنا."

كان ثمة ساكن يستأجر الدار، حين وصولهما أول مرة ولكنه ها لبث أن تركها.

حاولت ليلى أن تبدي ابتهاجا بالفكرة، وسألته:

"أين تمانع؟ أعني أين يكون في هذا ازعاج؟"

ولما نفى ذلك، عادت تقول وفي نفسها أمل وأهن في أن يقر قولها:

"ليس هناك ما يمنع من نزولها في فندق، فهي لن تكون وجيدة ولا بد أن معها أعضاء آخرين من الشركة."

بدت الرقة في عينيه بالإضافة الى نظرات متحدية مختبرة وقال:

"لا تزعمي انه ليس عندك الكثير لتتحدثي حوله مع أختك عند وصولها. ستكون متلهفة لمعرفة كل صغيرة وكبيرة عنك، وما لم تهين لها كل الفرص، كيف سيبلغ أمك النبا السار عن أن زواجك موفق، وأنت سعيدة هنا؟"

تضرج وجه ليلى غبطة، وركعت الى جوار مقعده، وشعرت بأصابعه تداعب شعرها، وجذبيها نحوه وطبع قبلة خفيفة على جبينها، وقال بصوت خافت: أنك سعيدة ألست كذلك يا عزيزتي؟

قالت وأنفاسها تكتسب في حلقها من نشوة السعادة:

كانت ليلى تمشط شعرها حين فست يده كتفها، دون أن تلاحظ، وقالت:

"إذا كانت هذه لعبة التخمين، فليست احتاج لغير حدس واحد، والتفتت إذ ذاك وقد تحولت ابتسامتها الى شيء من المداعبة، ورددت:

"ليس هناك سوى رجل واحد قادر على أن يؤثر على كياني، قابلتهم رويبر قائلا:

"وأنا سعيد بذلك."

أكان هذا هو الجبل الجليدي الذي عملت معه في انكلترا، كانت أحيانا تشعر بأن أقزاما سحرية غيرته - في غفلة منها - ليكون اختيارا لها وتحديا.

وقبالة، قال جادا: ألست تعتقدين بروس كثيرا الآن؟"

فبادرت قائلة:

"أنني لا أفقده بتاتا، ورفع ذقنها بأصابعه النحيلية القوية وقال:

"هذا جيد... أنني قلت إن الأثم والفقدان لا يلبدان أن يخرجا، ولا أظننني أتركه يستعيدك الآن."

فابتسمت قائلة: أنه الآن خطيب لستيل، وهما سعيدان."

"يقدر ما نحن سعيدان؟"

"هذا ما لا يتسنى لهما."

ضحك بلطف، وتناول الفرشاة يمشط شعرها، كما فعل ليلة تغير زواجهما من مجرد صفة عمل الى شيء رائع وواقعي.

\*\*\*

بعد أسابيع ثلاثة من ذلك، وصلت رسالة من ستيل، فعلت ليلى أن اختارها ستطير لانتاج فيلم في المكسيك، وللفت انبا بمشاعر مختلفة... من اللطيف طبعاً أن ترى اختها، وهي التي كانت مشغوفة بستيلا عمرا طويلا، فحين العسير أن تعتقد الآن شخصا أهلا لأن تعامله بحذر، وأن تخشى غدره... كانت مستعدة لأن تعتقد أن ستيل قد شعرت بندم لما فعلته بها، غير أن هذا لا يعني إمكان محو الأذى ونسيانه، وكأنه



وبعد بضعة أيام ذهبا بالطائرة الى مدينة مكسيكو، واستقرا في دار آل الدوريت، وكانت مبنى رائعا، يشبه كاراسترانو، حتى في القناء الداخلي والنافورة المفردة. كان ثمة شعور بالاستمرار والاسترسال في تلك الدار، وكان أجيال أسرة آل الدوريت قد تركت طابعها في المكان وتاقت الى ان تبهر الاجيال اللاحقة من خلفها بما فعلت، وكانت الحياة هناك أكثر انساما بالشكليات مما هي في كاراسترانو، فجو الحفلات، والمآدب الطويلة الأمد، وأصداء حفيف الثياب الحريرية والأوشحة المطرزة، كان مخيما على الدار كانت قاعة الطعام حيث علقت فوق المدفأة لوحة لدون ديبغو من الفخامة بحيث بهرت ليلي.

اختارات ليلي ستيلا حجرة في الطابق الاول، وهي موقنة من أنها ستعجب بها، كانت اغنية الفراش ثرية بالنقوش المطرزة، والاثاث من خشب البلوط الأسباني القاتم، وهناك خزائن ضيقة للثياب، وكثير من المرايا كما كان الحمام الملحق بها فخما، كانت ليلي تدرك ان ستيلا ستعجب بهذا الوسط لأنه الجو الذي من حقها الإقامة فيه، فلن تساورها أية فكرة للانتقال الى فندق، واعفاء زوج اختها من عبء الاحتفال بها، بالرغم من رغبة ليلي بالترحيب باختها، وتكريم وقادتها وتشعرها بأنها في بيتها، ولكنها في الوقت ذاته - كانت تتجنى ان تظلمن تماما الى أن ستيلا ستجازيها عن اكرامها بسلوك يعفيها من لحظات القلق وعدم الارتياح. كانت موقنة من أنها لن تنسى قط ما حدث بالنسبة لبروس، وكان رويز أهم وأتمن لا سيما في سعادتها الرائنة من أن تعرضه للخطر. ومع ذلك، حرصت على أن تخفي عن رويز أية وساوس لتتأبها بالنسبة لأختها. وشعرت أنه في بعض الاوقات كان يرمقها بنظرات محيرة، لاسيما حين كانت تؤكد له مدى تطلعاتها الى وصول ستيلا، فكانت تسائل نفسها:

"أشراه كان يحدس عدم ارتياحها الخفي؟ ولكنه لم يقل شيئا".

وكانت تتمنى أحيانا لو أنه سألها، فقد تجسر على أن تصارحه عندما بمناوئها!

\* \* \*

وأنطلقا بالسيارة الى المطار لاستقبال ستيلا في يوم مشرق، وجاهدت ليلي خلال الطريق لتظهر بمظهر

مرح، فأخذت تشرشر ولكنها كانت اذا نظرت لوجه رويز الأسمر الفاتن تشعر فجأة بلوعة الهواجس والتوجس وسائل نفسها كيف لم تبتكر على الفور حجة للحيلولة دون إقامة ستيلا معهما، غير أنه كان من المستحيل الاهتداء الى حجة تقنع ستيلا و رويز بأن من الأفضل للممثلة أن تنزل مع أعضاء الشركة السينمائية في أحد الفنادق الراقية في مكسيكو سيتي.

كان لابد من المضي فيما كان مقدرا، ولم تكن تلك سوى الأمل في أن تسير الأمور على خير.

ارتحت ستيلا بين ذراعي اختها حين التقيا في أرض المطار كانت كالمعهد بها في أقصى الناقة، وقد بدت فاتنة الى درجة مذهلة، غاص لها قلب ليلي وقالت ستيلا وقد هدأت انفعالات اللقاء:

"انك تبدين رائعة يا عزيزتي!"

كان في عينيها ومضة التهمك القديحة، الى جانب اشارة الحب، وهي تواصل الحديث:

"انك مثال المرأة المتروجة! رشيقة جميلة المنظر، حتى كنت لا أعرفك في البداية".

سألها رويز:

"أترينها تبدو في حال طيبة؟"

"في أظيب حال، ما كنت يوما أحسن حالا هي. لا بد انك زوج بالغ الارضا".

ورمقته بعينيها الجميلتين، وتساءلت:

"هل لي أن أقبلك يا رويزانا على أية حال وثيقا القرابة الآن".

وبدون انتظار لموافقتها، انصقت شفيتها في لين ونعومة أوراق الموردي، بخذه الأسمر وغمرته بموجة من عطرها الذي كان أشد وأكثر من أي عطر سمحت ليلي لنفسها باستعماله.

تراجعت ستيلا وتاملته وهي تقول:

"أظنني سأرتاح اليك كزوج لأختي".

لم يرد رويز المجاملة، ولكنه بعد نقل حقائبها الى سيارته رأى أن من اللائق، كأمر طبيعي، أن تشغل المقعد الأمامي المجاور له، وأن تجلس زوجته في المقعد الخلفي بالرغم من شعوره بعدم رضا ليلي عن هذا الترتيب وانطلقت بهم السيارة وشمس المكسيك تغدق عليها اشعتها، وأظافر ليلي تفوس في لحم يديها، وهي مضطرة لأن تقاوم مضاعرها، موقنة بأنها تنصرف بصورة تثير السخرية ازاء وصول

أختها، حيث كانت في الواقع تعتقد بأن ستيلاً إن تنور عن فعل أي شيء لهدم زواجها، وحاولت السيطرة على مخاوفها فمهما يكن، فإن رويز كان طرازاً مختلفاً كل الاختلاف عن بروس، واقنعها هذا الخاطر أخيراً بأن تكون طبيعية في تصرفها، وأن تنظر إلى ستيل كما كانت تفعل في الأيام الخالية قبل أن تصادف أي مبرر للشك في اختها! أمر واحد من تجلدها، بينما كانت ستيل تفرغ حقائبها في جريتها، بعد وصولهما إلى الدار، وسألها ليلي: "هل اعلمت وبروس خطبتيكما؟"

فالتفت ستيل واعترفت بأنه ما من خطبة بينهما، وغام وجهها وكأنها تناضل لتخفي ظهور الشقاء على حياها، ثم أردفت الواضح أن بروس لم يكن يخبني حقاً، كانت النجمة السينمائية الالامعة هي التي اجتذبه! هكذا قال لي:

هتفت ليلي بدافع غير ارادي:

"أنني أسفة يا عزيزتي البست أدري ماذا أقول؟"

وكانت أسفة حقاً، فهزت ستيلاً كتفها قائلة:

"لا عليك يا عزيزتي! ليس هناك ما تملكين في هذه الظروف سوى... أنني قد استحق ما حدث!"

وأكفهر بريني عينيها لحظة، وزمت فمها... وأرتجف الفم الجميل فجأة، سواء كان ذلك عفواً، أو عن عمد، أو مجرد نتيجة لعاطفة مكبوتة... وأشاحت بوجهها لتخفي ضيقها، وقالت في رجاء، بصوت مختنق:

"أفضل ألا نتحدث في هذا الآن..."

قالت ليلي على الفور، في عطف:

"طبعاً..."

وأسرت تضيف:

"أنني أشعر شعورك فمهما تاماً، علينا أن نحيطك بأمور بوهجة وأنت هنا، حتى لا تفكري في بروس، ولا تدعي التفكير المهموم يشيقك. فالهم لن يجديك شيئاً، ومكسيكو ستي رائعة في الواقع، واولقن بأنك ستحبينها. أن لرويز اصدقاء كثيرين، وستقدمك اليهم... لن تجدي وقتاً للشقاء..."

التفت إليها ستيلاً شاكرة، ولكن اهدايا الطويلة كانت تخفي عينيها، بحيث كان من المستحيل الجزم بحقيقة فكرها وشعورها، وقالت:

"ألا يحسن بنا الهبوط والانضمام إلى زوجك؟"

"كان من حسن التوفيق أن تزوجته، انه يبدو لي

مثيراً... خيراً حقاً! وقالت وهي تضيف لمسات لزيتها:

"وهذا بيت مذهش حقاً، فقالت ليلي معلقة:

"انتظري حتى تري كاراسترانو..."

فاستسمت قائلة:

"أنني مصممة على رؤيته، قد أمكث معكما طويلاً، وستكون مهمة شاقة أن تتخلصا مني..."

أخفت ليلي جزعها بجهد، وكان رويز في انتظارهما بقاعة الجلوس الرئيسية، ومرة أخرى، أبدى رعاية للضيقة، فقدم لها شراباً قبل العشاء، واختار لها مقعداً مريحاً، وأطرى ثوبها بلهجة الخبير، وأجلسها إلى يمينه في قاعة الطعام الفخمة الالائث.

\* \* \*

وقالت له ستيلاً:

"لا تنادني آنسة نورديت، فهذا اسمي الفني، وليس لأفراد أسرتي أن يستعملوه، أن اسمي ستيلاً إذا لم تكن تعرف..."

وارسلت ضحكة مرحة فردد اسمها باحترام وأحنى رأسه عرفاناً إذ سمعت له بمناذاتها باسمها، وراح يردده، وكأنه معجب بوقمه، قائلاً:

"ستيلاً، الظن أن معناه النجمة..."

وأستقرت عيناه السوداوان عليها، وبدأ مأخوذاً بتألقها، وقال لنفسه بخفوت:

"نجمة داكنة" واستغرق في التفكير... ودهش إذا اضطربت ستيلاً، بل ارتجفت قليلاً، وقالت:

"لا أظنني أود أن أكون نجمة داكنة فهذا يبدو نذيراً بنحس ما... أؤثر أن أكون نجمة تزداد باستمرار ارتفاعاً وبريقاً. أن النجمة لا تعتمد إلا عند اقتراب الفجر، وأنا أفضل أوج

التألق..."

فقالت ليلي برفق تطمئنئها:

"لا تجزعي، فأوج تألقك سيدوم طويلاً... انك الآن في الأوج من ناحية فنك..."

فقالت ستيلاً:

"أصحيح هذا؟"

والتفت نظراتها بنظرات رويز ثانية، فقالت وكان الحديث ينبعث من فؤادها:

"أحسبني أفضل زواجا موفقا، على الاستمرار كممثلة ناجحة. لقد بدأت أسام التمثيل ومطاليه، أما الزواج - كنما

١٣٩



يوجي منظرهما - فأمره مرض للغاية.  
ومرة أخرى أحنى رويز رأسه قائلاً:  
"انك على صواب".

وأبتسم موليا وجهه الي ليلي، فحقق قلبها، وأسمرت تقول  
لستيلا متلهفة على أن تواسيها لفقدانها بروس:  
"أنا نريد أن تحطي بفترة هائلة هنا، وقد أعدنا العدة لحفل  
عشاء صغير مرحيبا بك، وأظن أن جليتك في العشاء لن يفكر  
فيما إذا كنت ممثلة أو غير ممثلة كنت ستقابلينه في أية  
حال، وقد زائنا التمجيل بذلك".  
وتساءلت لستيلا برحاء طفولي جذاب عما يكون، فأبتسمت  
ليلي قائلة:  
"رامون تالمونت، زميلك في بطولة الفيلم، واكبر ذئب في  
مكسيكو ستي".

وهبت لستيلا هذا وقالت:  
"لعله ليس سيئا كما يصورونه... ومن اللطيف مداعبة ذئب  
الذئب".

وتشعب الحديث، وليلي تعجب بتحميل أختها، لو أنها كانت  
تحب بروس لشعرت بتعاسة بالغة، ولكن مجهودها عظيما  
لأخفاء عواطفها.

بعد ثلثين ثوانا انصيف لحفلة العشاء. واختارت ليلي  
ثيابها بعناية لهذه المناسبة، فكان الثوب من المخمل الياقوت  
الازرق الداكن، وقد زركتش ببراعة بجبات من اللؤلؤ... كان  
غاية في الرشاقة، حتى أنه لم تكن بها حاجة لمزيد من  
الزينة. وفيما كانت تقف امام المرأة، تتأمل قلادة من  
الياقوت والماس أهداها رويز أياها، وتختار سوارا يتماشى  
معها، إقفل رويز ووضع على المائدة علبة غير سمكية من  
الجلد، ثم رفع غطاء العلبة، فإذا فيه قلادة من اللؤلؤ الوضوء،  
فهمت:

"ما أروعها".

قال:

"ستكون حول عنقك أروع".

وأحاطت أصابعه النحيلة عنقها بالقلادة، وقدم اليها قرطا  
من لؤلؤ على شكل الاجاص. وظلت لحظة تخلق في المرأة لا  
تصدق ان الصورة المنعكسة كانت صورتها. ثم تحولت يدافع  
لريزي، فحزبت رأسه وقبلته، قائلة:

"لست ادري كيف أشكرك على كل ما منحتني".

فقال يهودا:

"ان ما منحتني انت أكثر. كنت قد تسيت كيف يكون المرء  
حيا، حين ينزوي في قوقعة". وظل لحظة يحتضنها، ثم  
نحاهما برفق وقال:

"اذهبي وتبيني هل استعدت أختك... تذكرني أن الامسية  
مهمة لها، ويجب أن توليها اكبر قدر ممكن من الانتباه".  
وقبل أن تبلغ الباب، دعاها، وراة وجهه الاسمر يستدير  
نحوها، وعينه ترقبانها في استغراب، وسألها:

"أحسب أن هذا اللقاء بأختك لا يسبب لك ألما يا عزيزتي؟"

أبتسمت وهزت رأسها قائلة:

"أتعني... بسبب بروس؟ أنه لا يسبب لي ألم، لقد  
تفليت على ذلك منذ زمن".  
قال:

"هذا بديع. وهل يسرك وجود أختك هنا؟"

فترددت لحظة، ثم طمأنته بقدر من الصدق:

"أجل. من الجميل ان أراها ثانية".

فبدأ عليه الرضا، وقال:

"يجب ان ندعو صديقك كيري يوما، ونبحث عن شخص مثل  
رامون تالمونت ليتزوجها".

هتفت ليلي بالخطاب:

"يا لرامون المسكين! ستضعفه ستيلا الليلة، وأرى ان تعفيه  
من كيري في الوقت الحاضر، ولكني اوافق على أنه سيكون  
من الرائع أن تأتي كيري وتنزل عندنا وستبحث لها عن  
يتزوجها".

قال بصوت أجش:

"عليك أن تزوجي ستيلا أولا".

\*\*\*

أسمرت ستيلا باطراء فخامة ثوب ليلي، حين واقتها في  
حجرتها، وتعلقت عيناها بالقلادة اللؤلؤية وأخذت تمسها  
برفق، وقالت:

"لست بحاجة لأن أسالك أهو لؤلؤ حقيقي".

فأكدت ليلي ذلك. وهتفت ستيلا:

"يا لك من فتاة مخطوطة".

ثم تحولت تتأمل صورتها في المرآة، وعلى وجهها تعبير  
غير عادي، وغضت بصرها تنفرس في اظافرها، وقالت:

"لقد هناك يا عزيزتي بزواجك التاجح، ولكنني اعني

بالنجاح انه تحول على نحو مذهش. أنك ورويز عقدتما صفقة عمل، اليس كذلك؟ وقد لها التوفيق؟

قالت ليلي متلعثمة:

"ص. ص. صفقة؟"

واستدارت ستيللا الجميلة وهست خذ أختها بحنان، قائلة:  
"اجل، هذا ما حدث. ولو أنك ظللت دورا لراحة بال امنا،  
أما الآن وقد تزوجته فعلا، فيجب أن تكوني بارعة إذا شئت  
الاحتفاظ برويز، أنه يعجب بالجمال، لاسيما الجمال الانكليزي  
المهادي. لقد أرتبكت لطريقة حملته في هذا المساء."

كان من العسير على ليلي أن تصدق ما سمعت. فقالت:  
"هذا لأنك أختي و... وهو يعجب بك طبعاً، كأخي امريء!"  
وأبرقت عينا ستيللا بنوع من الهزاء، وقالت متلطفة:

"طيب، ولكن انصتي لنصحتي وابعديه عن كل الحساوات  
اللاتينيات هنا!"

ثم هبطتا لاستقبال الضيوف، وقد شعرت ليلي بأن شطرا  
كثيرا من متعة الأمسية قد تبدد. وقدمت ستيللا بطريقة آلية  
الى رامون تاليمونت وبقية الضيوف. وحاولت ليلي جاهدة أن  
تبدو وطبيعية عندما لمحت روييز يحملتي بأختها. لقد أدركت  
بأن ستيللا شعرت بالغيرة إذ رأت القلادة اللؤلؤية الثمينة، مما  
جعلها حائرة، ولكن هناك احتمالا بأن الامر لم يكن مكرراً وأن  
ما قالته كان انذاراً. فلو أنها كانت قد قابلت روييز وعرفته  
قبل أن تلتقي ببروس، لكان روييز وليس بروس هو الذي  
انزعته. ولابد أنها الآن تأسف لأنها لم تلتق برويز أولاً.

صنّب على ليلي أن تصدق أن أختها خطر يهدد سعادة  
مستقبلها، ولكن التجربة الماضية علمتها أن تجزع، وأدركت  
أنها لا تستطيع أن تثق بستيلا، وبالرغم من أنها كانت تثق  
بروييز، فإن الموقف جعلها مكتئبة. ليت روييز لم يقترح نزولها  
عندهما، ودخلها الأمل في أن يتغير الموقف إذا ما بدأت  
أختها العمل في الغيليم.

\*\*\*

وبدا الاهتمام على ستيللا برامون تاليمونت، فعادت الحياة  
تمضي هادئة لبضعة أسابيع. كان ستيللا تود روعة كل شيء  
في مكسيكو سيتي، وتتذوق مباحجها، وكان رامون لحسن الحظ  
توانقاً الى تمكينها من ذلك، فأصبحت تقضي وقتها في  
صحبته وفي الاستديو. كانت ليلي تعيش على حافة بركان،  
فما عادت تشعر بالسعادة إلا في غياب أختها عن

البيت، ولكنها كانت تشعر بالاثم لأن شكوكها في ستيللا  
كانت تتضمن روييز، رغم أن روييز كان زوجاً رائعاً.

كانت الحياة تمضي على هذا النحو العصيب، حين أعلنت  
اليها جاريا مديرة البيت ذات يوم، وهي في قاعة الجلوس  
الرئيسية أن سيدا انكليزيا يرغب في مقابلتها... وعجبت  
ليلي، وسألتها عن اسمه، فقالت أسيد بروس، ولم تترث  
ليلي بل أسرعت الى المبهوء حيث كان بروس يقف في شيء  
من الحرج، كان المكان قد بهره، وكأنه لم يكن يتوقع أن  
يقابل بترحاب، ولكنه نسي حرجه، حين وقعت عيناه على  
ليلي الجديدة، الانيقة الملبس، سيدة هذا القصر المنيف...  
وعيناه تومضان، وحاول دون تردد أن يلتفاها بين ذراعيه...  
فصعقت ليلي وبفادته، وتساءلت في فتور:

"ماذا تفعل هنا يا بروس؟"

"لا يبدو عليك أنك سررت برؤيتي!"

قالت وهي تسترد سكينتها:

"يجب أن يكون هذا مفهوماً، في هذه الظروف... أجنّت لترى  
ستيلا؟"

قال:

"أذن فقد وصلت."

فقالت:

"نعم، منذ اسبعين تقريباً."

وتوقفت منتظرة تعليقه، ولكنه لم يقل شيئاً، فعادت  
تسأله:

"أجنّت لترأها؟"

ثم فطنت الى أنه ما كان ليتصرف كما أراد أن يتصرف، لو  
كانت رؤية ستيللا هي غايته الوحيدة!

وأطلق ضحكة قصيرة، وقال:

"أحكك الساعرة؟ أنتهى ما كان بيني وبينها. كنت اخمق  
ولكنني افقت في وقت مناسب."

فقالت:

"كنت أحمق؟ أما خطر لك أنك شيء آخر كذلك... لقد  
خذلتني، ثم خذلت ستيللا..."

فقاطعتها قائلاً:

"أهذا ما قالته لك؟"

"ألم تتدخل عنها؟"

"لا بد أنها روت لك قصة مؤثرة... أود سماع ما قالته



لست ناصعة لياض عني، ولو سمح الوقت فسأروي لك  
كثير منها.

قالت محزنة:

"لا أقبل أن تتحدث عن اختي هكذا!"

قالت:

"ليكن... غير أن عليك أن تخبريني بما قالته عني، فاني أود  
معرفة موقعي."

ضاعت ليلي بالموقف، وقالت بجفاء:

"ما من داع لأن تكذب ستيلا، ولا بد أن ما قالته هو الصدق...  
أنت فتنت بالنجمة السبنائية، ثم افقت من غوايتك."

فهز رأسه، وأمسك بذراعها بقوة، وقال وهي تحاول  
التخلص:

"متى ستواجهين الحقيقة عن اختك؟ متى ستواجهين أنها لا  
تشبه أحداً من أسرتك؟ أنها أكثر الشابات اللاتي ظابلت  
أيتارا لنفسها، وهي على استعداد لتحطيم حياة أي امرئ  
دون أن تكثرث. أنني أعرف حقيقتها... كانت تتسلق بي  
فحسب، وما كانت جادة أبداً في الزواج مني... لو لم تصلي  
حين وصلت، وتفاجئتنا في موقف ياد مريباً...  
ضحكت ليلي وقالت:

"لقد كان موقفاً مريباً، وأنت تدرك ذلك... وبرغم أنكراك  
الآن، فانت كنت مفتتنا بها."

قال لها: أؤكد لك أنني لم اعد أحبها.

فهزت كتفها، وهي في دهشة من صلابتها، إذ كانت لا  
تشعر برثاء يذكر له أو لستيلا. وقالت وفي عينها أشمزاز:  
"أذن، فكل ما أقوله هو أنك بارع في الوقوع في الحب  
والخروج منه، وأنني لأستهجن بشدة مجيئك وأتهامك اختي  
بالتنكر لك."

أطلق ضحكة قصيرة، وقال:

"أنها لا تلام أبداً على أي شيء... هي ذاتها الصغيرة،  
البريئة، الناصعة، لكنك ستبينين يوماً ما حقيقتها، وأهل ألا  
تكون الصدمة قاسية."

وأقلعت ليلي في التخلص من بروس، وأبعدت وقالت:

"إذا استمررت بكلارك هذا، فسأضطر لأن أدعوك للانصراف،  
وعلى أية حال، فلماذا جئت إلى هنا؟ أنه موقف محرج كما  
تعلم."

وهوجنت برده: لقد جئت لأصطحبك إلى الوطن...

وبساد الصمت لحظة، وليلي تحاول أن تستوعب ما سمعت،  
ثم قالت أخيراً:

"أنسيت أنني متزوجة من روبر؟"

فتقدم نحوها، ولكنها أسرع بالابتعاد وقال:

"إنه زواج عمل فحسب... هذا ما قلته أنت. يجب أن تعودني  
معي، فكل منا الآخر، وما كانت ستيلا سوى نزوة جنونية."

قالت:

"أو تريد الآن أن تصل ما انقطع من خطبتنا؟"

خدعه هدوء صوته، فقال:

"بوسعك الحصول على الطلاق..."

فقال بنفس الهدوء:

"اقترضني أنني لا أريد..."

وهم بأن يتكلم، فاحتبس صوته... وأستأنفت ليلي  
حديثها:

"لا أريد العودة إلى ما كانت عليه الأمور، حتى لو لم تكن قد  
تخلت عن ستيلا، ولا أريد أن أترك روبر فأنني الآن أحبه."  
وأذا كان زواجنا قد بدأ كاتفاق عمل، فانه الآن حقيقي..."

فضاعت عيناها، واحتقن وجهه غضباً وقال:

"أذن، فقد كانت ستيلا على صواب، قالت أنك ما كنت لنقبلي  
التخلي عن صفقة كهذه..."

فصاحت ببرود قاس:

"لا ثقل هذا ثانية!"

فاعتذر متجتما:

"أسف..."

وأذ ذاك أردفت تسأله:

"وما شأن ستيلا بهذا؟ أخبرتها بأنه مجرد مشروع تجاري؟"

وراحت ليلي تتحدث نفسها:

"أتراها أساءت الحكم عليه؟ لعل ستيلا اكتشفت أنه زواج  
عمل فحسب، فرفضت لهذا الزواج من بروس، اعتقاداً منها  
بأن اختها باقية على حبه، فشاعت أن تتركه طليقاً لها إذا  
أنهى الزواج. إذا صح هذا، فلماذا ألقت ستيلا اللوم على  
بروس، وقالت أنه لم يحبها، وبهرته أضواء النجمة؟ كلا، ما  
كان بوسع ستيلا أن تعرف شيئاً عن أن زواج اختها بدأ كاتفاق  
عمل، ولا لأذكرت هذا لها!"

وقال بروس معتذراً:

"ما تعمدت أن أخبرها... كانت زلة لسان..." ولكن كان

\*\*\*

عجاء ظهرت ستيلا حذيفة من الحديقة، وقالت:  
"هل علمت يا ليلى العزيمة؟"

وتوقفت ورفعت إحدى يديها إلى قمعها، إذ رأت بروس...  
كان اجفائها حقيقيا في بعضه، وتظاهرا في بعضه، وقالت:  
"أنت هنا؟"

فأسرعت إليها ليلى، وأحاطت كتفها بأحدى ذراعيها  
لتسري عنها، قائلة:

"أنت يتأهب للانصراف يا عزيزتي."

قال بروس في قحة:

"كلا... لابد من إيضاح أمر أو اثنين قبل انصرافي."

وحمل في ستيلا، وسألها:

"أية قصة كاذبة كنت ترويتها لتثقيقتك ليلى؟"

فرمقت ستيلا اختها بنظرة غبهمة، وقالت:

"لست أفهم... عما يتحدث؟"

فصاح بسخرية:

"حقا؟ كأنك لم تنعمدي فسح خطبتنا لمجرد هواك، وما كنت  
تعترفين يوما الزواج مني، وكأنك لم تسخري مني، ولم  
تشرعي في أغاظتي بصدد رويز الدوريت حين قلت لك أن ليلى  
تزوجته كاتفاق عمل، وذلك لكي لا تلومي نفسك من جراء فسح  
خطبتنا؟"

التفتت ستيلا إلى ليلى، وقالت في استعطاف يثير الاشفاق:  
"عما يتكلم بحق السماء؟"

فقال وقد ارتفع صوته:

"أنك تعرفين عما أتكلم... أنك جئت هنا معترضة فصم زواج  
ليلى، لأنك قررت يوم زواجهما أنك تؤثرين أن تستحوذي على  
أموال رويز الدوريت؟"

وسحبت ليلى ذراعها فورا من حول اختها، وذهبت نحو  
الجرس، ولكنه اعترضها قائلاً:

"كلا... بل ستصقن لنا سأقول."

قالت وبعد أن دقت الجرس بشدة:

"أظنك قلت ما يكفي..."

قالت لتشتيتا بالاسبانية إذ أقبلت:

"السيد بروس جرمين يتأهب للانصراف، أسمحين بمرافقته  
للأب؟"

خلف بروس صوته، وقال بالانكليزية التي لا تفهمها مديرة  
البيت:

"حسن، سأصرف، ولكنك قد تجدين ما يدعوك لرؤيتي ثانية."  
أنني أنزل في فندق مدينتي..."

فقالت ليلى في فتور:

"لا أظنني سأحتاج إلى إزعاجك."

فأطلق ضحكة قصيرة مكتئبة، ورمى ستيلا بنظرات غيرة،  
ثم قال لاختها:

"قد تقرر أن تعودني إلى انكلترا معي..."

ورافق تشيتا مفادرا الغرفة.

\*\*\*

ساد الصمت برهة وجيزة، ثم قالت ستيلا:

"لا أظنك صدقته؟"

فأسرعت تطمئننها، قائلة:

"كلا، طبعاً، لم أكن أظن أنك تعلمين..."

قالت ستيلا:

"ولكن ماذا يقصد؟ فأنت تبدين سعيدة جداً..."

فقالت ليلى بهدوء:

"وأنا فعلاً سعيدة..."

"ولكن هل كان الزواج اتفاق عمل؟"

"أجل... كان رويز مضطراً للزواج ليرث كاراسترانو... وكنت  
أظن أنني بذلك أسهل الأمور لك ولبروس..."

وظهرت ستيلا بمظهر الخجل، وقالت مبهوتة:

"ولكن، ما كان ينبغي أن تفعل شيئا كهذا..."

فأبتسمت ليلى قائلة:

"الذي حدث أن كل شيء سار إلى أفضل ما يمكن... لم أكن  
في البداية أحب رويز، ولو كان في الاتفاق ما يشترط انجاب  
ورث لكاراسترانو عندها... لما وافقت لحظة..."

"أذن فقد كانت عملية مؤقتة... طلاق بأسرع ما يمكن  
تدبيره، دون ما ضجة؟"

ارتاعت ليلى لقسوة وقع الكلمات، وحاولت أن تقنع اختها  
قائلة:

"ولكنه لم يعد كذلك... عندما بدأ أنا ومنسجمان، أقترح  
رويز أن نجعله زواجا حقيقيا... وأنه حقيقي فعلاً الآن..."

وبدت عن ستيلا حركة تنم عن أنها تجد صعوبة في الفهم  
والإدراك، وهتفت:



"يا للسماء يا ليلي! أي تورط فظيع وغير ضروري. أنكما لو لم تتزوجا، أو أنه ما يزال من الممكن الغاء علاقتكما! أحسب أنه من السهل الحصول على الطلاق، إذا لم تكوني واثقة تماما بصدد المستقبل... ولست أرى كيف تكونين مطلقة الثقة في هذه المرحلة؟"

وابتسمت ليلي في اعتداد، وقالت:

"أنتي متأكدة. ولست أريد طلاقاً. قلت لك أن كل شيء تحول إلى خير وضع. ولقد أحببت رويز، ولا أريد استعادة بروس." عصت ستيلا شفتيها، وقالت:

"أموقنة أنت تماماً؟ لكنك كنت مشغوفة به." فقالت ليلي:

"أنتي متأكدة تماماً... والشغوف ليس جاباً."

فهمتها ستيلا بنظرة محيرة، فيها ما عجزت ليلي عن فهمه، وقالت:

"حسناً... هذا يريك كم من أخطاء تستطيعين ارتكابها في الحياة!"

بدأت ستيلا مشغولة ألبال، حين اصطحبها رويز وليلي في السيارة بجولة. وفي ذلك المساء، سبقت ستيلا شقيقتها إلى الهبوط قبيل العشاء، وكان رويز يقف بجوار خزانة المشروبات وتقبلت منه كأساً.

ولم تلبث ليلي أن فطنت إلى أنها تأخرت، فأسرعت بالهبوط. ولما لم تعد ستيلا في حجرتها، توقعت أن تجدتها في قاعة الجلوس، كانت وساوسها من ناحية أختها قد هذأت نوعاً ما، منذ حديثهما بعد الظهر، لذلك ضمدت إذ فتحت الباب قليلاً، فسمعت ستيلا تقول بصوتها الخافت، الجميل:

"يسرني أن وجدتتك وحيداً يا رويز، فهناك شيء كنت أحاول قوله منذ وصولي، ولكنني كنت أرجئه... غير أن أجراً حدث بعد ظهر اليوم، جعلني أدرك ألا بد من أقحام نفسي."

وكان جواب رويز هادئاً، مشوباً بالدهشة:

"إذا كان هناك ما أستطيع فعله لمساعدتك، فأرجو أن تخبريني."

"أنه عن أختي... وبروس."

قال بلهجة مؤدبة:

"نعم؟"

فشرعت تقول:

"من العسير أن أتحدث في هذا... وازداد صوتها يسحة."

ولم تدر ليلي لماذا لم تبادر بالابتعاد، فما كان من عاداتها المتنصت على أحاديث الغير. بيد أن ذكر اسمها سمرها في مكانها، وستيلا ماضية في الحديث: لست أدري كيف أعبر ولكنك ربما تدرك الاتجاه، إذا قلت أنني أعرف ما دعا ليلي إلى الزواج منك... لثرت كاراسترانو..."

وساد الصمت لحظة، ثم واصلت الحديث:

"ألا تظن... أن من القبح أن تستبقيها مرتبطة بك... أعني، بيدولي أنك لا تنفذ نصيحتك من الاتفاق، إنها فعلت من أجلي الكثير، وأرى من واجبي تصحيح هذا الوضع." قال في اقتصاب:

"أذن أخبرتك هي بالسبب الحقيقي لزواجنا؟"

"ليس تماماً... تصادف أن سمعتها عفوياً تذكره لشخص آخر."

"ومن يكون هذا الذي تحدثه في أمر شخصي بحت كهذا..." قالت بروس. فهتف:

"أه!"

لولا أن ليلي كانت مسمرة في مكانها لاندفعت إلى الغرفة في تلك اللحظة. وأرذف رويز:

"الرجل الذي كان خطيبها يوماً؟"

فأجابت ستيلا، وفي صوتها رنة ارتياح:

"نعم... أن هذا ليس شأني في الواقع، ولكنني شديدة التويع بها، وأعرف كم كانت متعلقة ببروس يوماً... ويبدو أن ستيلا تنفست بعمق إذ ذاك، ثم أسهبت في القصة التي أعدتها:

"كنت في الحديقة صادفة عندما جاء... ولم أشأ أن أقطع عليها اللقاء، فترثت متوارية عن البصر... بودي أن أعفيك."

من التفصيل كان لقاء جياشا بالمعاطف.

ظل رويز صاجتاً، بينما أستاذت هي:

"وعندها سمعت طرفاً من الحديث:

قضى رويز تلك الليلة في غرفة أخرى لأول مرة منذ أصبح زواجهما حقيقياً... وكان قد خرج عقب العشاء مباشرة لمقابلة بعض أصدقائه، وعاد في ساعة متأخرة، وفي الصباح التالي، أخبرها بأنه مضطر للعودة إلى كاراسترانو، فلما

بادرت لأعداد عدتها لمرافقته، قال بحزم:

"ما من داع لذهابك معي، فلن أعيب سوى بضعة أيام."

وهمت بأن تتكلم، ولكنها تريتت، فما كانت اللحظة مناسبة للحساب، بينما كانت تعد له حاجياته، سألتها فجأة:

١٤٩

"لماذا لم تخبريني بأن خطيبك السابق اتصل بك؟"

فاجابت:

"كنت أعزّم... ولكن الفرصة لم تسنح لذلك."

فقال:

"أم لعلك لم تظني أن للأمز أهمية؟"

قالت:

"كلا... لم يكن ذا أهمية."

ونظرت إليه في لوعة. كان الأمر المهم الوحيد، هو أنه لم يقلها، وهو يتعجل الخروج للحاق بالطائرة. ووقفت تعض على شفتيها أمام الباب الخارجي للدار، والسيارة تنطلق به نحو المطار.

\*\*\*

أطبقت عليها الوحدة الموحشة بعد ذلك. كانت هي الأخرى تود العودة إلى كاراسترانو، حيث أصبح بيتا ومقرا وموطنا لها، أكثر من الدار التي نشأت فيها، لاسيما وأنه كذلك بالنسبة للرجل الذي أحبه، وتقبل الحياة معه برتبة وصداقة، دون أن تكتشف أن ذلك لم يكن حبا هادئا لو لم تأت تسيلاً... وتفتح عينيها على الحقيقة أن روبرت وليس بروس هو الحبيب الحقيقي لها!

\*\*\*

ترى أين روبرت الآن؟ هل حظت به الطائرة؟ لو كانت معه لشعرت بيده تحت أبطها وهو يساعدها على الصعود درجات الشرفة الامامية للبيت، ولأحست بكل عصب في جسمها يفرغ، لأن اتفه لمسة منه كانت كفيلة بأن تسعدها... ولتغلا اليهو اللطيف الجو... وشرأت لها ذكريات لحظات هنيئة مشرقة ذكريات روبرت يغادر الحمام، وبشرته اليروضمية تظفر بالصحة، وشعره الاسود جيل ومتناثر... أو هو في بذلة السهرة، في أوج أناقته... أو وهو ضاحك طروب، في ثياب ركوب الخيل، وذكريات الوقوف في رواق الصور تتأمل أجيال آل الدوريت، حتى تصل للمساحة الخالية، المحتجزة لأجيال مقبلة... كان ثمة خطر في يوم ما بأن تظل خالية، ومع أنه لم يكن ثمة وريت لكاراسترانو بعد، فأنها كانت تشعر دائما بيقين دافئ، بأنها ستخبر يوما الرجل الذي أحبه، بأنه لن يكون آخر آل الدوريت... وكان أحيانا يجدها واقفة أمام الصور، فيحيط كتفها بقده ذراعيه... وتنفرج شفتيها - دون ارادة منها - عن ابتسامة، وتخال أن عينيها تشيان بشعورها

نحوه، كان رجب تفخر أية امرأة بحبه، وأن لم يكن قد قال

يوما أنه يحبها.

كان كاراسترانو تعجبا خاصا بهما، ولكن، ما الذي يجري الآن؟ هل بدأ يندم على أنه سمح لزواجهما بأن يتحول من اتفاقية عمل بحت، كما كان يوما أو ترى كانت ثمة يد بطريقة ما... لبروس؟

\*\*\*

وقررت في اليوم التالي أن تذهب لمقابلة بروس، خشية أن يكون روبرت وقد علم يقوده إلى البيت - قد اتصل به، وأن يكون بروس قد قال شيئا يسبب مزيدا من المتاعب، ولكنها حين وصلت إلى الفندق الذي كان ينزل فيه علمت أنه خرج، وعادت إلى البيت، ولكن نوبة من القلق وعدم الارتياح استولت عليها، فعادت إلى الخروج مرة أخرى، وراحت تسير على غير هدى... ما كان بوسعها أن تتحدث مع أحد، حتى تسيلاً... أذ كانت اختها تلازم غرفتها طيلة ما بعد الظهيرة، والسنائر الخضراء مسدلة وقد تولاه صداق قاس نتيجة بقائها تحت الشمس خارج البيت - وقتا طويلا... وعلى أية حال فإن ليلي لم تعد تثق فيها أو تطمئن إليها.

شعرت ليلي بتعباسة؟ إذ لم يعد بوسعها أن تطمئن إلى أحد... فتابعته السير على غير هدى، تحت الشمس الشديدة، الحارة حتى أنهارت قواها... وعندها عادت إلى البيت.



## ١٣ - الحقيقة

استدارت ستيليا بهدوء، وظلت اساريرها لحظة لا تنم عن شيء، ثم عاودتها الابتسامة الهازئة بيطة وقالت دون حياء: "انك مولعة حقا بالظهور في اوقات غير متوقعة يا عزيزتي... أليس كذلك؟"  
فقالت ليلى بنفس الهدوء الذي لازمها حين كشفت عن وجودها:

"كان من الخير أن أظهر، في هذه المناسبة بالذات"  
قالت ستيليا متهمكة:

"أتقصدين... أعذر من أنذر؟"

"نعم... كان من المحتمل أن تنجحي لو أنني لم أعرف أنك التي سببت المتاعب... ما الذي قلته لرويز حتى جعلته يرحل الى كاراسترانو فجأة، على هذا النحو؟"  
قالت ستيليا هازئة:

"الا تفضلي عدم المعرفة؟"

فابتسحت ليلى ابتسامة واهنة، وقالت:

"أحسب أنه كان من الافراط في السذاجة ان تخبريني من تلقاء نفسك... لكن قد يكون يوسعي ان أعرف من روبر نفسه..."  
وأمسكت وتوقفت لحظة، وقد زمت شفتيها في قسوة غير طبيعية، ثم ازدقت:

"أنني أعني ما قلت يا ستيليا... لن ادعك تفسين زواجي!"

كانت جادة فعلا، فقد تولد العزم كاملا، ووطيدا، بمجرد ان تبينت حقيقة ستيليا، وفهمت أخيرا مدى خطأ أسرة دبرموت في اعتزازها بالابنة الجميلة... النجمة الذاكنة، كما كانوا يسمونها... النجمة الذاكنة! لقد انجلى للوصف معنى جديد، ينطوي على شؤم، ما أعجب أن المرأة العجوز كانت على صواب! ولكن أعذر من أنذر حقا، كما قالت ستيليا... ولقد عقدت ليلى العزم على التماس من أجل زواجها، مستخدمة كل سلاح يتيسر لها، ودون ما مخاوف أو تردد ينكر.

★ ★ ★

ومن خلال فهمها الجديد لستيليا، أيقنت ليلى بأنها ما كانت مستعدة البتة للموافقة على طلاق، لو أن اختها استغلت فتنتها وجمالها فجعلت روبر يهيم بها، فما كان يوسع ستيليا قط أن تسعده. ولكنها كانت مستعدة لتحمل نفوره وكراهيته، والتردي في المشقاء والنعاسة، ولكنها لن تسمح له بالتعرض لتبديد الوهم مرة أخرى، إذ أن أي رجل يحب ستيليا يعرفها في النهاية على حقيقتها، على ان الوقت لم يكن قد أتسم

أخذت ليلى تستعيد ذكرى عودتها البيت على غير موعد في المناسبة الاولى، وقدومها غير المتوقع - في هذه المرة الذي كان مختلفا... قبلها من أن تنسحب تلقائيا، وقد شلت صدمة المفاجأة والألم تصرفها، اذا بها تتوارى عن البصر، وتصفي. كانت المناسبة في هذه المرة - مختلفة جدا - لقد أقيمت - كما حدث من قبل - من غير المدخل الامامي، اذ دخلت من الابواب المغضية من الشرفة الامامية الى الحديقة... وهذا هو وجه التيه الوحيد بين المناسبتين، ولكن ما شعرت به في هذه المرة لم يكن ألما، وإنما كان تهيدا توهم، وبداية للقرار حاسم، وهذا ما جعلها تستمر في الاصغاء لما كانت تقول ستيليا لبروس، في ايضاح يشوبه شيء من السخرية:

"أظن بأنك جذير بأن تكون أكثر سرورا... فالأمر برغم كل شيء لصالحك انت الآخر".  
وأجابها بروس:

"قد لا أكون راغبا في أن اتردى الى المستوى الذي بلغته أنت!"

"من الذي يحل بالوسائل ما دامت النهاية المنشودة تتحقق؟"  
يجب أن تشكرني يا عزيزي، لقد مهدت الطريق فعلا، ولن يدهشني اذا ما بات يوسعك - في القريب العاجل - أن تستطيع اقناع ليلى بأن تعود الى انكلترا في صحبتك..."

هنا قالت ليلى، وقد ظهرت في باب الشرفة:

"كلا... أنك فسخت خطبتي من قبل يا ستيليا، ولكني لا أتوي أن اسمح لك فصح زواجي من روبر!"

كان من الغريب حقا أن يتمكن المرء من التحول فجأة من التقيض الى التقيض في لحظة واحدة، أن ليلى ما كانت حتى يضع دقائق مضت على استعداد لأن تصدق أي سوء عن ستيليا، أما الآن، فقد زال ثماها كل وهم، وكل ما كان يحبرها، واتضح كل شيء حتى أدق دقائقه... واصبحت تعرف أن بروس كان صادقا حين قال أن ستيليا كانت تعبت بهما معا، حين فسخت خطبتهما.



لتحدث ستيليا ضررا جسيما .

أدركت من خلال فهمها الجديد لأختها - أن ستيليا ما كانت قادرة أن تحب أي رجل ، وإذا حاولت أن تنتزع منها رويوز وقد بدا أنها شرعت في المحاولة فعلا - فما كان ذلك إلا رغبة في ماله ومكانته ، بالإضافة الى جاذبيته كرجل ، وإذا كان الصراع على هذا المستوى ، فلليلي الحق كل الحق في أن تحمي زوجها والرجل الذي أحبته . ولو أن ستيليا كانت امرأة أخرى امرأة من طراز مختلف تماما فقد كان من المحتمل ألا يكون قرارها قاطعا أما مستوى الصراع فإنه يقوم على الجاذبية الانثوية ، وهي ناحية كان يوسع الزوجة أن تمنح رويوز أياها ، فإن الاتصال كان من حقها ، إذ أنها الى جانب ذلك كانت تحبه وكانت على استعداد لأن تفعل كل ما في وسعها لأسعاده ... بينما ستيليا لم تكن تفكر إلا في نفسها !

وإذا كان على ليلي أن تحارب ستيليا فلتحاربها على مستواها إذا دعت الضرورة ... أنها كانت توفر السعادة لرويوز ولهذا السبب وحده ، كان من حقها أن تحارب للذود عنه ... أن تحارب لتستمر السعادة التي وفرتها له .

وقطع عليها أفكارها صوت ستيليا وهي تقول :

"وبعد؟ أحسبك ستطلبين أن أعد حقائبي وأغادر الدار؟"

فقالت ليلي محتفظة بهدوء صوتها :

"أظن أن هذا واضح !"

ضحكت ستيليا في سرية ، وقالت :

"وماذا ستقولين لرويوز؟ أنك تظنين أن أختك تحاول سلبك

زوجك الغني؟"

فقالت ليلي :

"ليس لأمواله قيمة لدي ."

وعادت ستيليا تضحك ، ولكن السخرية شائبا شيء من الأزراء ، وقالت :

"أنني أكاد اصدقك ... أنك من الغيبات اللائي يتدلين في

حب رجل دون أن يحفلن بأمواله ."

وسارت الى الباب ، ثم وقفت لتقول :

"يحسن بك أن تعودتي نفسك على الرضا بيروس ، لأنني اعترم

أن أفوز برويوز ."

فردت ليلي دون أن ترفع صوتها ، محتفظة بهدوئها :

"وأنا اعترم ألا أمكنك من تحطيم زواجي ."

قالت ستيليا في غرور وخطرة :

"تظنين أن في وسعك أن تنازلينني؟"

"سأحاول . أنك لا تملكين سوى الجاذبية . ولو دعت الضرورة فسانازلك في مجالك . أنفي لست بشعة . وزواجي من رويوز عرفني بهذا ."

قالت ستيليا هازئة :

"أذن ، اتفنى لك خطا . ولوحت بيدها ، ثم خرجت ."

وقفت ليل حيث كانت ، وبدأت تشعر بالبرودة . كانت خائفة بالرغم مما قالت ، فإن ستيليا كانت جميلة ، وما كانت تتورع في شيء ... ومهما يكن ، فإن رويوز كان رجلا وله عواطف مشبوهة ... وتذكرت ما قاله رويوز يوما :

"أننا معشر أبناء المكسيك أوتينا دما أسبانيا ، وقد نكون كما تزعم الدنيا أسهل من سوانا أستتارة في الناحية الحسية ، وفي هذه الناحية ستركز مجهود ستيليا بطبيعة الحال !"

★ ★ ★

هتف بيروس ل ليلي بعد انصراف أختها ، بصوت خافت :

"ما كنت أحسبك أوتيت هذه الجرة يا ليلي ، وأمسك رسفيها

فجأة ، وهو يقول :

"ولكنك لا يمكنك أن تفوزي ... وضد ستيليا بالذات !"

فقالت بهدوء :

"بوسعي أن أحاول ."

شد قبضته على معصمها ، وقربها اليه قائلا :

"الامر لا يستحق المحاولة . لندعها تحظى به . كنا سعيدين

يوما وبوسعنا أن نسعد من جديد ."

فدفعته بحركة لا إرادية ، قائلة :

"لقد انتهى هذا وعفا عليه الزمن ."

قال : "لا داع . ستيليا لا تتورع عن شيء ، ومضى في حديثه :

أنها ستهدي الى طريقة كي تفوز في النهاية ... لو جئت

معي الآن ، فستعفين نفسك من كثير من الشقاء ."

"لن أدعها تفوز . سأهتدي الى طريقة كي امنعها . لابد من

ذلك ... فانا أحب رويوز ... وهي ستشقيه لو فازت ."

واكفهر وجهه فجأة ، وأصبحت قبضته مؤلمة ، وبحركة

سريعة ضمها اليه ، وقد آثاره عدم أكرائها فجأة . وتمتم وهي

تناضله :

"ليس ممكنا أن تحبيه . أنك تحبينني . انكلم تتزوجيه الا

بسبب ستيليا ، كما قلت ... وسأبرهن لك على ذلك ."

وزاد من هياجه أن حاولت التملص منه . ولكنه كان



أقوى من مقاومتها... وأذ كانت قد احتاطت الى ما يثبت مدى شغافتها من افتتانها به فقد وجدت اختبات في هذه اللحظة. وشعرت بأن قبلته تغير اشمئزازها فعلا! في تلك الاثناء، كانت ستيلا تقف في البهو... أذ فتح الباب الامامي فجأة، ودخل زوج أختها الطويل الاسمر. وأومأ لها برأسه ايماء خفيفة، وارتسمت على شفتيها الابتسامة الخادعة، الساحرة. ولما أغلق الباب، وتقدم في البهو، تحركت بسرعة، متظاهرة بأنها تود أن تعوقه عن الحجرة التي خرجت منها. وقالت:

"أرجو ألا تدخل".

فضاقت حدقتاه وهو ينظر اليها، وسألها في حدة واقتضاب:

"لماذا؟"

"لأن بروس هناك... مع ليلى".

وفي هذه المرة، اتجه رويز الى الحجرة بحدّة، دون ارادة منه تقريبا... فأمسكت بذراعه قائلة:

"أرجوك... يجب ألا تغضب. لقد أخبرتك قبل رحيلك..."

وكان قد وقف، وقالت بعد لحظة صمت:

"هل فكرت فيما قلت؟"

وواجهها، ودفع يدها عن ذراعه فجأة، وكأنها قبضة سامة وقال:

"نعم. ولكن عليك أن تدعي حياة زوجتي وحياتي ندبرها معا. وهناك أمر آخر... أرجو أن تلتمسي عذرا لمفارقة بيتي. أن كرم الضيافة تقليد اسباني، ولكني مضطر لأن أخرقه الآن. أنني لا أود أن أقول لزوجتي أن أختها غشاشة، كاذبة، لا قلب لها إطلاقا، تحاول أن تفسد حياتها، كما حاولت مرة - من قبل - في أنكلترا، لمجرد اللهو والتسلية".

فهمت بالكلام، ولكنه أسكتها، وأستأنف حديثه:

"أظنك تفهمين... وهناك أمر آخر. هذا ال بروس... لا أدري إذا كنتما دبرتما هذا بينكما، ولكني أود أن تفهمي كذلك أنني لن أسمح. لزوجتي بالعودة اليه، مهما تكن الظروف، سألتني ان افكر فيما قلته لي، ولقد فكرت... أنني لا اصدق انها تحبه، ولن ادعها - على اية حال - ترحل مع رجل تركها يوما من اجل امرأة مثلك. والان؟ اتسمحين باتخاذ الاستعدادات لمفارقة الدار؟"

وأحنى رأسه في تحية موجزة، ودخل الغرفة... ووقفت ستيلا لحظة، حائرة مرتبكة، ثم أضلم وجهها وتبدأ

بالفيظ والقهر... وتحولت بسرعة تصعد درجات السلم.

\* \* \*

أغلق رويز الباب، ووقف لحظة ووجهه الاسمر لا ينم عن شيء... ما كان ليدخل في لحظة أسوأ من تلك ومع ان ستيلا أدركت أنها قد خسرت المعركة قبل أن تبدأ، فأنها كانت تشعر بارتياح خبيث، لو قدر لها ان تشهد هذه اللحظة... فمع دخول رويز كان بروس يقبل ليلى. على ان ارتياح ستيلا ما كان ليديم طويلا، لأن الواضح ان ليلى كانت مكروهة، غير راجية، وما ان تمكنت من تخليص إحدى يديها، حتى وجهت لكمة لمعدة بروس وهي مهتاجة... وانحنى بروس وهو يشق ألما، وأذ بصوت رويز ينبعث في اعجاب واضح:

"انك تخالفين كل توقع يا عزيزتي. فالاعتاد ان تواجهي اللكمة الى الأذنين!"

وأستدارا... كان وجه ليلى شاحبا، وبدا بروس مرتبكا، محرجا متوجسا في آن واحد. وانحنى رويز في تحية مقتضبة، وقال في هدوء:

"لا اعتقد اننا نقابلنا من قبل، ولكني لا أجد داعيا للتعارف".

"أنني... بوسعي ان أوضح".

أعني انك كنت تنهيا للانصراف؟ من المؤسف أن يكون تعارفنا قصيرا الى هذا الحد، ولكننا نقدر رغبتك في الرحيل على الفور".

وشق بروس وغادر الغرفة وهو يكاد يجري. وتابعه رويز وعلى وجهه الاسمر الجميل لمسة من السرور، وقال متفكها:

"أنني كواحد من آل الدوريت أعتبر نفسي شديد السيطرة على أعصابي. ولعل هذا ورقته عن الجانب الانكليزي في دمائي".

همت ليلى بالتقدم اليه، باسطة إحدى يديها، ثم توقفت لا تدري كيف تتصرف... فبعد السوء الذي أحدثته ستيلا، كيف يتسنى لها أيضا ما حدث... دخوله الحجرة ليبري رجلا يقبل زوجته... والآنكى ان الرجل كان فطيبها السابق!

أبتسم رويز فجأة، تلك الابتسامة الوضاعة، هل كان يظن أنني ادعك ترحلين معه؟

فتشبثت بذراعه وهتفت:

"أنني لا أريد الرحيل معه. يجب أن تصدقني. أنني لا أدري ما قالته لك ستيلا، ولكنه أكاذيب".

"أنني أصدقك، ولكني لا أظن أنني كنت مستعدا لأن أتركك ترحلين، ولو كنت راجية في ذلك!"



وشعرت ليلي بهزة سعادة جديدة تسري في كيانها ... بعد أن بدأت ستيتلا ودسها الخبيث يتلاشيان.  
وتساءلت لماذا؟ ولكن الغريزة وشهور السعادة التي قضياها معا، سبقته إلى الاجابة، وهو يقول:  
"لأن الرجل لا يفرط في المزاة التي أحبها دون نضال. وفي اللحظة التالية، كانت بين ذراعيه، وقبلتهما المتبادلة تعبر عن الحب الكامل، وعن ثقة كل منهما بالآخر، وأدركت ليلي أن ذلك انه لم يكن ثمة شيء من ستيتلا في الواقع لأن شهور الفعاشرة ولدت بينهما شيئا لا يمكن تدميره أبداً.  
أبعدها رويز ونظر إلى وجهها بعينه السوداوين الدافقتين، كما يفعل أي رجل حين يريد معرفة متى رفعت حبيبته إلى مقام كل الرجال ... وابتسمت ليلي قائلة:  
"لقد حدث ذلك منذ زمن بعيد، ولكنني لا أحسبني أدركت عن بيبة ما كان يعتريني إلا حين سألتني أن أهبك رويثا لكاراسترانو، فأدركت أن كل ما قلته لك بصدد تحاليلك على شروط الوصية، إنما صدر في الواقع عن رغبة في عقلي الباطن في أن يكون زواجنا حقيقياً. كنت أخدع نفسي بكل حديثي عن كاراسترانو ..."

فضحك بلطف، ضحكة الرضا الكامل، وقال:  
"أحسبني بدوري كنت أخدع نفسي. ومع ذلك فلا بد أنني كنت أريدك دائماً زوجة إلى نهاية العمر."  
"لكنك كنت تقول أن ذلك أنك لا تؤمن بالحب؟"  
"كنت أحمق. فالرجل الذي لا يحب لا يكون مكتمل الحياة".  
"وكذلك أية امرأة".  
"أذن فنحن متفقان على أننا مكتملا الحياة".  
وابتسمت عيناه السوداوان، ثم اختفت الابتسامة فجأة، وبدأ جادا وهو يقول:  
"لقد ذكرت أختك منذ لحظة ... هناك ما تبغيه أن تقوله عنها؟"

فغضت ليلي بصرها، وقالت:  
"كلا ... ليس الآن". ذلك أن ستيتلا لم تعد في وضع يتيح لها إثارة المتاعب، فما من حاجة لأن يعرف رويز حقيقة اختها، ومدى ما سمعته هي نفسها عفواً. وأمسك بذقنها ورفع وجهها وراح يتفحص لحظة في محياها، ثم هز رأسه. وقال:  
"أظنك عرفت أخيراً حقيقتها".  
فانفرجت شفها دهشة، وهتفت:

"أكنت تعرف يا رويز؟"  
"عرفت من البداية. ولا أظن أنك تنزعجين أن تعرفني أنني سألتها أن ترحل".  
فضحكت ليلي قائلة:  
"سألتها أن ترحل؟ أنني أمرتها بذلك قبل أن تفعل".  
فابتسم قائلاً:  
"ما أطيّب أن نتشابه في تفكيرنا".  
"تشابه؟"

كانت ليلي مستعدة لأن تنازل ستيتلا في المجال الذي اختارته، والآن يبدو أن رويز عاد من كاراسترانو وقد عقد عزمه على ألا يدع زواجهما يتهار. وسألته:  
"ولكن، إذا كنت عرفت حقيقة ستيتلا من البداية، وأدركت أنها تحاول عن قصد أن توقع بنا سوءاً، فلماذا رحلت إلى كاراسترانو على النحو الذي حدث؟ ألم يكن رحيلك بسبب شيء قالت؟"  
"رحلت لأنني كنت أعرف أن في ما قالت قدراً كبيراً من الحقيقة، وبالرغم من جهودها كي تلوي هذه الحقيقة للناسب اغراضها ..."

وتوقف مقطعا جبينه قليلاً، ثم استأنف الحديث:  
"أنت عندما تزوجتني، كنت تحبين ذلك ال... بروس".  
ونطق الاسم في أذراء غاضب، تحول إلى ابتسامة إذا رفعت يدها تخفف عنه، فأمسك اليد وطبع على كفها قبلة، وهو يتابع الحديث:  
"ولقد أقنعتك بأن نجعل زواجنا حقيقياً، وبدأ لي أنك سعيدة، ولكن أختك ما لبثت أن جاءت، وأخبرتني بأنك ما زلت تحبين بروس، وبأنه كان يعلم أن زواجنا زواج عمل - أو هكذا كان - وبأنه جاء إلى المكسيك ليحاول أن يستردك، ولكنك صدته بسبب ولاء نحوي نشأ عن اعتقاد خاطئ. وبدا أن في هذا قدراً من الحقيقة. واكتشفت - في تلك اللحظة - كم كنت قد خدعت نفسي. لم يكن ما بيننا مجرد تكافؤ عقلي وقدر معين من الجاذبية الجسدية، بل أنني كنت أحبك ..."  
وفوجئت بفكرة احتمال أن اضطر إلى التخلي عنك. كنت تبدين سعيدة معي، ولكنني لم أكن أعرف ما إذا كنت - تحت هذا الظاهر - تحبين إلى ذلك الرجل في أنخلترا. لهذا عدت إلى كاراسترانو لأحاول أن أصل إلى قرار. ولكنني لم أكن بحاجة إلى أن أبحث عن الحقيقة في كاراسترانو ..."



كانت الحقيقة تحيط بي هناك... ذكريات سعادتنا، فأدركت  
اننا ما كنا نسعد بهذا القدر ما لم نكن متحابين...  
كانت ليلة واحدة هناك كفيلة بأن تخبرني بالحقيقة. لعلك  
لم تتبينني هذا، ولكني موقن منه، لهذا عدت معتزما أن  
أرفض التفريط بك، حتى لو سألتني أن أحلك من زواجنا  
كنت على يقين بحيث أنني كنت على استعداد لأن أواجه  
الشقاء الى فترة... الى أن تتبينني أنك انما تنعمين لي، وأن  
الآخر كان مجرد بقايا راسبة من تعود قديم... تعود الوطن  
بأنك تحبينه!

ضحكت ليلى، وقالت:

"تعود! كحذاء قديم نسيت أن ترميه ما كان أشد أسي برهس  
لو أنه سمع هذا الوصف. ومضت تقول...  
"ما شعرت الا بتوتر عصبي من الضيافة التي أحدثها... ثم  
بالخوف، حين تبينت ما كانت عليه ستيتا حقا، وما كانت  
تحاول أن تفعله..."

وتوقفت لحظة، وهي تهز رأسها في عجب، ثم أردفت:  
"أليس غريبا أن تساورنا معا فكرة واحدة؟ أنك كنت مستعد  
لاحتمال كراهيتي اياك لفترة، ولكنك كنت ترفض ان تدعني  
أعود لبروس... كذلك كان شعوري أنا ازاء ستيتا!"  
قال في هدوء:

"ليس غريبا، في الواقع. فكل منا يعرف أنه مرتبط بالآخر،  
ويؤمن بهذا كل الايمان بحيث أنه على استعداد لاحتمال أي  
شيء آخر. لعل قدومها الى هنا كان ضروريا، حتى نعلم مدى  
قيمة كل منا للآخر!"

وشدها الى احضانه ثانية، ومضى يقول:

"والآن... لننس كل شيء عنها. فلن تلبث ان ترحل عن الدار  
بعد قليل، وسنعود الى كاراسترانو معا..."

العودة الى كاراسترانو الى السعادة الكاملة والدائمة!  
وابتسمت ليلى له، مدركة أن زواجهما الذي بدأ على ذلك  
النحو الغريب، واحتجاز بحارا غريبة قد بلغ أخيرا المرفأ الذي  
ينشده كل أمرىء...

وغربت... النجمة الداكنة من سماء حياتهما!